

الرقم الدولي: 2321-7928

بدأ صدورها في 2012م

مجلة الهند

مجلة فصلية محكمة

المجلد: 10 العدد: 2

أبريل-يونيو 2021م

العدد الخاص

بسيرة وأعمال الأستاذ فيضان الله الفاروقي رَحِمَهُ اللهُ

مدير التحرير

د. أورك زيب الأعظمي

المشارك في التحرير

د. هيفاء شاكري

نائب مدير التحرير

د. محمد معتصم الأعظمي

تصدر عن

مولانا آزاد أنيديل إيجوكيشنال ترست

بولفور، بنغال الغربية

المراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:

عنوان البريد:

مولانا آزاد آئيديل إيجو كيشنال ترست، بولفور، بنغال الغربية رقم البريد: 731235

الهيئة الاستشارية

د. مثنى حارث الضاري (العراق)	د. سناء شعلان (الأردن)
د. صالح البلوشي (عمان)	السيد محمد دأنش الأعظمي (البحرين)

هيئة التحكيم

د. بشري زيدان (مصر)	د. حسن يشو (قطر)
د. عامر خليل الجراح (تركيا)	د. محمد فضل الله شريف (الهند)

هيئة التحرير

د. أورنك زيب الأعظمي (مدير التحرير)	د. هيفاء شاكري (المشارك في التحرير)
د. محمد معتمم الأعظمي (نائب مدير التحرير)	محمد شفاء الرحمن المديني (عضو)

عنوان البريد الإلكتروني:

(1) aurang11zeb@yahoo.co.in

(2) azebazmi@gmail.com

موقع المجلة: www.azazmi.com

الاشتراك السنوي:

1000 روبية (للطلاب) 1500 روبية (للأساتذة والمكتبات)

قواعد النشر في المجلة

بالنسبة للبحوث التي ترسل للنشر في المجلة، يرجى مراعاة القواعد الآتية:

1. تقبل المجلة نشر البحوث باللغة العربية، إذا توافرت فيها الشروط التالية:
أ. أن يتسم البحث بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه.
ب. أن يلتزم بالمتاح والأدوات والوسائل العلمية والمعتبرة في مجاله.
ج. أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
د. أن يتسم بالسلامة اللغوية.
هـ. الأفضل أن يتناول البحث موضوعاً جديداً ذا صلة بالعلوم العربية والإسلامية ومساهمة الهند في مختلف العلوم والفنون والآداب وما إليها.
 2. ألا يزيد البحث عن خمسين صفحة، والرجاء من الباحثين استخدام (Amiri) على حجم 11.5.
 3. ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدّم لأي جهة أخرى من أجل النشر.
 4. يرفق بالبحث ملخص له في حدود صفحة.
 5. أن يقر صاحب البحث بأن بحثه عمل أصيل له.
 6. تخضع البحوث إلى تحكم لجان علمية أكاديمية متخصصة وفق المعايير المعتبرة.
 7. تحتفظ المجلة بحقوقها في حذف أو إعادة صياغة بعض الكلمات والعبارات التي لا تناسب مع أسلوبها في النشر.
- تعبّر الآراء العلمية المنشورة عن آراء كاتبها، واجتهاداتهم الشخصية

في هذا العدد

الصفحة	الكاتب	العنوان
7	- د. أورنك زيب الأعظمي	الافتتاحية
		مقالات وبحوث:
11	- أ. د. مجيب الرحمن	البروفيسور فيضان الله الفاروقي رحمه الله: حياته وآثاره العلمية
30	- د. زهرة خاتون ترجمة: د. منير الإسلام	عمنا الكريم
37	- د. أورنك زيب الأعظمي	البروفيسور فيضان الله الفاروقي
58	- د. محمد معتصم الأعظمي	المعاهد التعليمية التي تعلّم فيها البروفيسور فيضان الله الفاروقي
72	- د. عبيد الرحمن الطيب	الأستاذ فيضان الله الفاروقي ومساهمته في نشر الحديث النبوي
91	- د. محمد البويسفي	قراءة في "لکاؤ مرکزاً للدراسات العربية والإسلامية"
102	- د. محمد فضل الله شريف	کتاب "An Applied Grammar of Standard Arabic" (دراسة تحليلية)
114	- د. منظر عالم	جمع وترتيب المعلومات المتعلقة بالخطوط
127	- د. محمد أجمل	البروفيسور فيضان الله الفاروقي وكتابه: "لکاؤ مرکزاً للدراسات العربية والإسلامية"

145	لكاؤ مركزاً للدراسات العربية - د. جمشيد أحمد الندوي والإسلامية (استعراض وتحليل)
	مقالات الفاروقي:
162	تدريس اللغة العربية لغير الناطقين - أ. د. فيضان الله الفاروقي بها، دراسة تحليلية
176	تدريس اللغة العربية في الفصول المسائية - أ. د. فيضان الله الفاروقي والجزئية في ضوء الأهداف والمنتجات
189	العلاقة بين الجامعات الهندية - أ. د. فيضان الله الفاروقي والمدارس الإسلامية
194	مساهمة فرنسي محل في تطور - أ. د. فيضان الله الفاروقي الدراسات العربية والإسلامية
219	العلامة زين الدين المهائي وكتابه - أ. د. فيضان الله الفاروقي "تبصير الرحمن"، دراسة تحليلية
231	الشيخ حبيب ربحان خان الندوي - أ. د. فيضان الله الفاروقي الأزهري عالماً ربانياً
238	محمد إقبال بين الشعر والتجديد - أ. د. فيضان الله الفاروقي
	ترجمات مقالات الفاروقي:
250	تعليم اللغة العربية في الجامعات الهندية - أ. د. فيضان الله الفاروقي ترجمة: د. هيفاء شاكري
262	النقد عند عبد القاهر الجرجاني - أ. د. فيضان الله الفاروقي ترجمة: د. عظمت الله
279	الغالب والمتنبي شاعران كبيران - أ. د. فيضان الله الفاروقي ترجمة: د. أورتك زيب الأعظمي
301	كل حرف من الكتاب....كتاب - أ. د. فيضان الله الفاروقي ترجمة: د. محفوظ الرحمن

ذكریات		
311	- المفتي محمد ثناء الهدى القاسمي ترجمة: حامد حسن	لن ننساك يا فاروقي!
315	- أ. د. مقصود أحمد	صديقي الوفي- فيضان الله الفاروقي
318	- د. عرفان الله الفاروقي ترجمة: شائسته بروين	والدي
329	- د. عرفان الله الفاروقي ترجمة: حنا فاطمة سيد	وداعاً للمرحوم فيضان الله الفاروقي
333	- د. آمنة الفاروقية ترجمة: أ. د. شوقية فايق حوارة	أي
336	- د. محمد نعيم	وقفات مع الأستاذ الفاروقي
340	- د. معراج أحمد الندوي	رحيل الفاروقي.. خسارة هندية-عربية
342	- د. معراج أحمد الندوي	يموت العالم.. والعالم يفوته
		حوار مع الفاروقي:
344	أجراه: د. محمد ربحان الندوي	حوار مع البروفيسور فيضان الله الفاروقي
		قصائد:
350	- د. أورنك زيب الأعظمي	قصيدة في مدح البروفيسور فيضان الله الفاروقي
352	- د. أورنك زيب الأعظمي	رثاء البروفيسور فيضان الله الفاروقي رحمه الله
355	- أ. د. زبير أحمد الفاروقي	في رثاء البروفيسور فيضان الله الفاروقي

الافتتاحية

الكورونا، بضربتيه الاثنتين، أemat رجالاً كثيرين ونساء، في كلّ بقعة من بقاع العالم. وكانت ضربته الثانية أشدّ من الأولى بل أنكر حُرْمنا بل سُلْبنا بكار الشخصيات في كلّ مجال من مجالات الحياة البشرية، حتى صرنا نقول:

الموتُ لا والدًا يُبقي ولا ولدًا هذا السبيلُ إلى أن لا ترى أحدًا وفي موجة الموت الشديدة هذه فقدت اللغة العربية وعلومها الكثير ممن كان يجلّها بل يجبّها أكثر من أولاده وذوي قربه.

فالأستاذ فيضان الله الفاروقي والأستاذ ولي أختر الندوي والأستاذ محمد راشد الندوي والأستاذ عبيد الله الفراهي والأستاذ أشفاق أحمد الندوي والأستاذ أنيس أحمد الإصلاحي والشيخ حمزة الحسني والشيخ نور عالم خليل الأميني والأستاذ إشتياق دانش والشيخ ولي رحمان والعلامة وحيد الدين خان والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي والشيخ المقرئ محمد عثمان المنصوربوري كانوا أساتذة بكاراً خدموا اللغة العربية وعلومها خدمة لا يستهان بها. تعزّ بهم وبخدماتهم الهند وأبنائها والمسلمون في كلّ بقاع العالم:

فما كان قيسٌ هلكه هلكَ واحدٍ ولكنه بنيانُ قومٍ تهدّما
و:

هؤلاء آباي جفني بمثلهم إذا جمعنا يا جريرُ المجامعُ
و:

فعرّ عليّ فقدهُمْ جميعاً وما لي عنهم عزم وصبر

أردنا بعد رحيل أستاذنا العظيم فيضان الله الفاروقي أن نصدر عددًا خاصًا بسيرته وأعماله فنشرنا الإعلان وأجاب دعوتنا العديد من أصدقاء الأستاذ المرحوم وزملائه وتلامذته وذوي قريبه كما قام بعض الكُتاب والباحثين بالدراسة التحليلية لمؤلفاته. كل هذه الكتابات تجدونها ضمن هذه المجموعة كما ستجدون بعض الكتابات الوجيزة التي نشرت بعد وفاته فوراً.

هذه أول لبنة وضعناها لبناء صرح جميل شامخ لسيرة أستاذنا وأعماله، سيرفع قواعده ويفضّل بإتمامه باحث من الباحثين أو كاتب من كتّاب التراجم والسير، فقد بقي الكثير مما يلفت أنظارهم ويتطلب منهم أن يبحثوا عنه ويرزوه للقراء المدققين الذين لا يشفي غليلهم هذا الغيض من فيض السيرة الفاروقية:

فلئن هلكْتُ لقد بنيتُ مساعياً تبقى لكم منها مآثرُ أربع
ذكرُ إذا ذُكرَ الكرام يزينكم ووراثه الحسب المُقدّم تنفع
ومقامُ أيام لهنّ فضيلةٌ عند الحفيظة والمجامع تجمع
ولهُ من الكسب الذي يُغنيكم يوماً إذا احتصر النفوس المَطعمُ
ونصيحة في الصدر صادرة لكم ما دمتُ أبصرُ في الرجال وأسمع
يحتوي هذا العدد نحو ستين بحثاً ومقالاً فيها ما كتبه الأستاذ الفاروقي بنفسه باللغة العربية، ومنها ما عرّبه من كتاباته الأردوية، ومنها ما قام به أصدقاؤه وزملاؤه وتلامذته والكتّاب الآخرون من الهند وخارجها من تعريف بشخصيته، وتحليل لكتاباته، ونقد لمؤلفاته، وانطباع عن محاسن أخلاقه وعظيم معاملاته. وأنبينا هذه المجموعة بالقصائد التي قرّضتُ عنه إذ كان حياً يرزق وبعد أن ضُمت عليه الصفائح:

يَمّتُ خيرَ فتى في الناس كلهم الشاهدين به أعني، ومن غابا

وَحَقًّا:

تحوي بوحدك ما أعبي جماعاتٍ

اللهم اغفر له خطاياہ وكفر عنه سيئاته وأمطر عليه شآيِبَ رحمتك، ووفقنا أن نأخذو
أخذه فيما أسلفه من رضي أعماله وأخلاقه لديك يا رب العالمين.

د. أوزنك زيب الأعظمي

البروفيسور فيضان الله الفاروقي رحمه الله: حياته وآثاره العلمية

- أ. د. مجيب الرحمن¹

لا بدّ أنه من الصعب لتلميذ أن يدوّن خواطره عن أستاذه بعد وفاته على نحو مفاجئ متأثراً بوباء كورونا هذا الأخير الذي عاث في الأرض فتكاً ودماراً؛ تلميذ تربّى على يدي أستاذه الحنون وتعلّم منه دروس العلم والحياة، ثم شاءت الأقدار وتيسّر له أن يتشرف بالعمل برفقته مدة من الزمن في نفس القسم ساعياً بكل جهد أن يوازن بين دوره كـتلميذ وزميل في العمل، ولكنه سيقوم بذلك عسى أن يروّج عن بعض ما أصيب به من همّ نفسي وإحساس عميق بالفقد والخواء الروحي، ويؤدي واجب العرفان بالجميل نحو أستاذ شفوق وزميل حنون في العمل.

كان أول لقاءني بالأستاذ الفاروقي في عام 1993م عندما التحقّت بالمجستير في جامعة جواهر لال نهرو، وأول مرة دخلت غرفته في الطابق الثالث في المبنى القديم لكلية اللغة والأدب والثقافة لسماع محاضراته في مادة الشعر العربي، ولما جلسنا أمامه، وكنا ثمانية أو تسعة طلبة فقط، عرفّ الأستاذ نفسه، ثم طلب منا أن نعرف بأنفسنا، ولما ذكرت أنني أكملت شهادة الماجستير في مادة التاريخ وقبله البكالوريوس في التاريخ في الجامعة الملكية الإسلامية استغرب من أمر التحاقني بالمجستير في الأدب العربي من جديد، فقلت له إنني أعتزم المشاركة في الامتحان التنافسي لخدمات الإدارة المدنية ولذلك التحقت بهذا القسم حتى أستطيع أن أركز على الاستعداد، ففرح فرحاً شديداً وشجّعني تشجيعاً كبيراً على الاستعداد بكل جدّ وإخلاص لتحقيق ما وضعت أمام عينيّ من طموح، وكان دائماً يحرض الطلاب على الاستعداد للامتحانات التنافسية العليا ويشجّعهم على خوض غمارها ويساعدهم قدر الإمكان،

¹ أستاذ مركز الدراسات العربية والأفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

وكان يردد دائماً بيتين من قصيدة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

بقدر الكدّ تكتسب المعالي ومن طلب العلى سهر الليالي
ومن رام العلا من غير كدّ أضاع العمر في طلب المحال
وكان يحث الطلبة على أن يضعوا الطموحات العليا نصب أعينهم، فإنّ المرء قد لا
يبلغ المستوى المنشود لكنه حتماً سيبلغ مستوى أدنى منه، ولكن إن كانت
طموحات المرء أدنى فأنتى له أن يحقق طموحاً أعلى؟

أما أنا فبعد أن أكملت الماجستير والسنة الأولى من شهادة ما قبل الدكتوراه غيرت
طموحي حيث لم أعد أرغب في المشاركة في هذه الامتحانات التنافسية، وكتب الله
لي وظيفة الأستاذ المحاضر في قسم اللغة العربية في جامعة آسام بمدينة سيلتشار بولاية
آسام شمال شرق الهند في مطلع عام 1997م، وبذلك انقطعت صلتى مع الأستاذ
مؤقتاً، ولما انضمت إلى هيئة الأساتذة بالقسم كأستاذ مساعد في أواخر عام
2001م، تشرفت بالاستفادة من الأستاذ من جديد وما زال لنا معيناً علمياً سلسلاً
ومنهلاً فياضاً في القسم وخارجه إلى حين وفاته.

لقد وجدته دائماً حريصاً على الإفادة وكشف مغاليق العلم وأسراره وكنوزه على الطلبة
والزملاء والمستفيدين منه، كما نزوره في غرفته فكان يرحّب بنا بوجه بشوش ويطلب
الشاي والمأكولات لنا ولا يفرّق في معاملته بين الأستاذ والطالب، بالنسبة لنا نحن
الأساتذة الشباب لقد كان معلماً ومربياً حنوناً، كما تتصل به كلما أشكل علينا أمر علمي
خصوصاً في مادة الشعر وفن العروض والبيان والنقد الأدبي، فقد كان مرجعاً لنا في
هذه العلوم ليس في القسم وحده بل في مدينة دلهي كلها، ولذلك كما تنقياً بظلال
شخصيته العلمية الوارفة ما أعطانا ثقة بالنفس وراحة بال، وقد أحسنا إحساساً عميقاً
بفقدته بعد تقاعده من الخدمة قبل ثلاث سنوات حيث قلّت زيارته للقسم بسبب بُعد
إقامته من الجامعة، فكان نتواصل هاتفياً ونستشيره كما في السابق ولم يخجل علينا بنصائحه

ومشوراته المفيدة. للأسف الشديد حرم قسمنا من خدمات الأساتذة الكبار مثل الأستاذ بشير أحمد الجمالي الذي تقاعد قبل سنتين، والأستاذ فيضان الله الفاروقي رحمه الله، والأستاذ محمد أسلم الإصلاحي الذي تقاعد قبل ثلاثة شهور، وقد خلا القسم الآن من أساتذة كبار، ومن بقي فيهم من الأساتذة كلهم شباب دون الخمسين من العمر، وأدنى علماً وتجربة من دون شك من الأساتذة الكبار الذين سقوا القسم بماء علمهم الغزير ونموه إلى أن صنف أحد أفضل أقسام اللغة العربية في الهند.

ولد البروفيسور فيضان الله الفاروقي بن السيد سبحان الله في 5 يوليو 1952م في قرية كوريا بار، في مقاطعة أعظم جراه الشهيرة (مقاطعة ماؤ حالياً)، في أسرة علم ودين، اكتنفها جو علمي وديني كان له أعظم الأثر في تربيته وتكوين مزاجه العلمي والديني، وبهذا الصدد قال في أحد الحوارات لصحيفة إلكترونية "كان والذي المحترم من خريجي المدارس الإسلامية؛ كان رجل دين وتواضع، فعلني أبي أبجدية العلوم الإسلامية والقرآن المجيد، ثم التحقت بمدرسة إحياء العلوم القرية من قريتي (قرية كوريا بار، أعظم جراه) وقضيت سنتين كاملتين فيها، وقد حفظت كتاب الكافية وهداية النحو من البداية إلى النهاية حتى الحاشية ففي أثناء الاختبار كان الأساتذة يتعجبون مني بأنني وضحت لهم حتى الجزئيات"¹.

كانت أمه تنحدر من قرية "سُنهي" من نفس المقاطعة. وكان خاله السيد حفيظ الرحمن أيمن موظفاً حكومياً في مدينة كانبور، لكنه ترك الخدمة الحكومية بسبب مزاجه الإسلامي وإحساسه بضرورة توفير بيئة دينية لأطفاله، وتولّى مسؤولية إدارة شؤون المكتب في دار العلوم بمؤنث بهانجان، كما قام بتدريس بعض الدروس في الصفوف العليا. كان خاله شاعراً بارعاً في الأردية. ولما بلغ الأستاذ فيضان الله الفاروقي ست سنوات من عمره لجأ إلى كنف خاله الحنون ليلتحق بدار العلوم

¹ مجلة أقلام الهند- مجلة إلكترونية فصلية محكمة، العدد الرابع أكتوبر - ديسمبر 2017، <https://www.aqlamalhind.com/?p=845>

مؤنث هنا منذ عام 1959م إلى عام 1965م حيث تلقى تعليمه الابتدائي وتعلم في مدرسة إحياء العلوم بمباركفور بين عامي 1965م و1967م، وفي عام 1967م التحق بدار العلوم بديوبند في الصف السابع وقرأ صحيح البخاري على الأستاذ نغر الدين رحمه الله حيث أكمل دورة الحديث وتخرج منها عام 1968م حاملاً شهادة الفضيلة.

بدأ الأستاذ فيضان الله الفاروقي مسيرته في مجال التدريس في دار العلوم ماؤ في عام 1969م واشتغل بالتدريس هناك حتى عام 1971م، ثم ترك التدريس ليلتحق بكلية شبلي بأعظم جراه لتحصيل التعليم العصري حيث اجتاز درجة البكالوريوس في عام 1974م بتفوق درس خلالها العربية والإنجليزية والتاريخ، ثم أكمل الماجستير في اللغة العربية في عام 1976م من جامعة إله آباد وأكمل الدكتوراه من نفس الجامعة في عام 1984م تحت إشراف البروفيسور سيد رفيق أحمد، وقد سبق تعيينه محاضراً في قسم اللغة العربية بالجامعة المليية الإسلامية عام 1979م واشتغل هناك لسنة واحدة، وفي عام 1980م انتقل إلى جامعة بارودا حيث تعين محاضراً في قسم العربية والأردية والفارسية المشترك بجامعة بارودا وظل يخدم اللغة العربية في هذه الجامعة ثم قرر أن يشد رحاله إلى مدينة حيدرآباد حيث انضم إلى قسم اللغة العربية في كلية اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية (جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حالياً) وشاءت الأقدار أن يرتحل إلى دلهي فانضم إلى هيئة أساتذة مركز الدراسات العربية والأفريقية بجامعة جواهر لال نهرو في عام 1987م كأستاذ مشارك ورتقي إلى منصب البروفيسور في عام 1997م إلى حين تقاعده من الوظيفة في يوليو 2017م، وقد ترأس القسم عدة مرات وقدم مساهمته القيمة والغالية في الارتقاء بمستوى القسم إلى أن صنف أحد أفضل قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعات الهندية.

لقد قضى البروفيسور فيضان الله الفاروقي رحمه الله حياته كلها في خدمة اللغة العربية تدريساً وتأليفاً فقد قام بتدريس اللغة العربية وآدابها لطلبة الكليات والجامعة العصرية،

وصقل مواهبهم وشخّذ هممهم وتربيتهم تربيةً حسنةً، وما من شك في أنّ الأستاذ الفاروقي قد امتاز بين أقرانه من أساتذة اللغة العربية في الجامعات الهندية باطلاعه الواسع وفهمه العميق للأدب العربي القديم خصوصاً الشعر العربي القديم وفن العروض والنحو العربي والنقد الأدبي الكلاسيكي، وقد وهبه الله ذكاءً حاداً ساعده في حفظ مئات من قصائد الشعر العربي القديم كان يستشهد بها ارتجالاً بحيث يخل للسامع أنه يحفظ دواوين كل الشعراء، ويأتي بنكات علمية دقيقة وطريفة يندهش لها السامع أو القارئ، كما كان يتمتع بفهم عميق لمعاني القرآن الكريم ما دلّ بوضوح على شغفه الكبير بفنون التفسير والحديث من خلال مطالعته الواسعة والعميقة لأهيات الكتب الدينية في شتى الفنون الإسلامية، وقد استطاع بكل ذلك أن يكون مرجعاً لكل المهتمين باللغة العربية وآدابها والفنون الإسلامية من التفسير والحديث وفنون اللغة كالنحو والصرف وفنون الأدب والنقد، أستحضر أنه طرح علينا سؤالاً في إحدى محاضراته أمامنا نحن الطلبة: هل الصدق هو مطابقة الشيء مع الواقع أو المطابقة مع اعتقاد المرء وإيمانه؟ فأجبنا ما هو الظاهر، أي مطابقة الشيء مع الواقع، فقال: لا، هذا خطأ، ودليل ذلك ما جاء في القرآن الكريم: "إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ" (سورة المنافقون: 1) فشهادة المنافقين أنّ نبينا محمداً (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، هو رسول الله هي مطابقة لواقع الحال، ولكنه ليس صدقاً بل هو كذب لأنهم لا يؤمنون بذلك، هذه وغيرها من الملاحظات العلمية والحادة كان يطرحها أمام الطلبة ويحثهم على التدبر في معاني القرآن الكريم ومطالعة كتب الأقدمين.

يُروى أنّ البروفيسور عبد الحليم الندوي (1926-2005م) رحمه الله الذي عدّ من كبار أساتذة اللغة العربية في الهند وكان زميلاً للفقيه في القسم العربي بجامعة جواهر لال نهرو، وهو صاحب مؤلفات قيمة في تاريخ الأدب العربي والثقافة العربية في الهند كان يقدر البروفيسور فيضان الله الفاروقي عالياً ويعده في طليعة أساتذة اللغة العربية

في الهند الذين يملكون فهماً عميقاً للغة العربية في حين لا يحسب حساباً لأساتذة اللغة العربية الآخرين.

المؤثرات في تكوين شخصيته: ثمة مؤثرات عديدة أثرت في تكوين شخصيته ومزاجه العلمي والفكري والديني شأنه في ذلك شأن جميع العلماء وقد أشار إلى تلك المؤثرات في أحاديثه إلى الطلبة وخصوصاً في أحد حواراته المنشور في صحيفة إلكترونية حيث قال إنّ الشخصيات التي تركت أكبر الأثر في نفسه هي شخصية خاله المكرم حفيظ الرحمن الأمين رحمه الله الذي كان شاعراً "مطبوعاً وبارعاً" على حدّ تعبيره ومتمكناً من العربية والفارسية والأردية والإنجليزية وقد استفاد منه في مدرسة مؤنث التي تعلّم فيها سنوات تحت إشراف خاله المكرم، كما تأثر تأثراً كبيراً بالأستاذ محمد يسين واعترف بفضله عليه بهذه العبارة: "وبعد ذلك إنني تأثرت كثيراً بأستاذي الجليل مفتي يسين، كان رجلاً سهلاً ساذجاً إماماً في العلوم الإسلامية ومفتياً وفقهياً نادراً في الفقه الإسلامي، وكان من صدور الفقهاء حيث دُعي إلى دار العلوم أن يكون أستاذاً فيها، ولكنه منع ذلك. إنه كان معلماً ناجحاً مقبولاً تأثرت بعلمه وفضله وعلوّ كعبه في الفقه الإسلامي حيث ما صدر من الفتوى ما قال أحد قط خطأ لفتياه لا في الهند ولا في الخارج. لازمته في بيته وسوقه في حلّه وترحاله في ذهابه وإيابه، فله فضل كبير على تربيتي وثقيفي"¹ كما أثرت شخصية البروفيسور رفيق أحمد المشرف على رسالة الدكتور في جامعة إله آباد في تطوره العلمي والفكري، وجاء ذلك صريحاً في الحوار المذكور "أما في الجامعات العصرية فعليّ فضل لا يستهان به للأستاذ الفاضل العبقري السيد رفيق أحمد الذي كان مشرفي في الدكتوراه كان يعرف تسع لغات كتابة وحواراً من العربية والفرنسية والتركية والإنجليزية إلى الفارسية واللغات الوطنية المختلفة، كنت أألزمه في بيته ومكتبه وسفره. كان من عادته أن يتكلم العربية مع كل شخص حتى من شيخ الجامعة

¹ مجلة أقلام الهند- مجلة إلكترونية فصلية محكمة، العدد الرابع أكتوبر - ديسمبر 2017،

<https://www.aqlamalhind.com/?p=845>

والبقال، يبتدئ كلامه من العربية ثم يترجم ما قاله إلى الأردية، حتى بدأ الناس يقولون: هو رفيق مجنون. لو تكلم العربية ظننت أنه عربي فخ ولو تكلم الفرنسية اعتقدت أنه نزل حالاً من فرنسا للمحاضرة والمحاضرة. قضيت معه خمس سنوات كاملات، وتعلمت علوماً جديدة وفنوناً حديثة منه".¹

ومن الكتب المهمة التي أثرت تأثيراً كبيراً في تكوينه العلمي والفكري بعد كتاب الله سبحانه وتعالى- بحسب اعترافه- "حجة الله البالغة" للإمام الشاه ولي الله الدهلوي (1703-1762م)، وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي (1058-1111م)، وديوان السبع المعلقات لأبي تمام (845م) وكان يعدّ الشاعر الجاهلي امرء القيس (500-540م) أعظم شعراء العربية على الإطلاق، وفي العصر الإسلامي يفضل الفرزدق (641-732م)، وجريراً (653-728م) على سائر الشعراء، وفي العصر الحديث يفضل أبا القاسم الشابي (1909-1934م) على الشعراء الآخرين، أقتبس هنا من الحوار المذكور: "أفضل امرء القيس على جميع الشعراء الجاهليين فإنه شاعر عبقرى مطبوع من حيث الفكر والإبداع، أما الشاعر زهير بن أبي سلمى فإنه شاعر كبير ولكنه ما كان شاعراً عبقرياً بل كان يفكر ويدبر ثم يقرض الأبيات، ولم يصل أحد فوق امرئ القيس. وفي العصر العباسي الشاعر الفرزدق شاعر عبقرى وجري نابع، تجد في شعر الفرزدق طراوة ولذة وإبداعاً. أما في العصر الحديث فكان أبو القاسم الشابي التونسي شاعراً عبقرياً ممتازاً، ولكن لم يمض إلا وقت قليل من عمره حتى رحل إلى الآخرة، فكان في شاعريته جذوة النار والفكرة والإبداع والجد".²

رداً على سؤال عن المقارنة بين الشاعر العربي "المتنبي" (915-965م) والشاعر الأردوي "غالب" (1797-1869م) والشاعر الفارسي "حافظ" (1315-1390م)

¹ المرجع أعلاه

² المرجع أعلاه

أجاب أنه يعتبر غالب وحافظ متفوقين على المتنبي الذي أضاع قريحته في المدح والفخر والمبالغة في مدح الملوك والأمراء "أعتقد أنّ غالب وإقبال لهما الفضل على شعراء العربية والفارسية، ولم يولد شاعر في هاتين اللغتين، يتفوق عليهما. ولا شك في أنّ المتنبي شاعر كبير ولكنه لم يبلغ درجة غالب وإقبال، بل إنه أضاع قريحته في المدح والفخر وفي مبالغة مدح الملوك والأمراء، أما حافظ فكان غالب يتنّى أن يبلغ شهرة حافظ ولكن أعطاه الله القريحة السليمة ففاق حافظ".¹

وقد كان شغوفاً أيما شغف بالمقارنة بين المتنبي وغالب في معانيهما الشعرية وخيالهما الشعري، ومن شدة حرصه على ذلك اقترح على أحد طلابه (د. طلحة فرحان، أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بجامعة مولانا آزاد الأردية بجيدرآباد) أن يختار المقارنة بينهما موضوعاً لرسالة الدكتوراه وأشرف على هذه الدراسة وأنجزت الدراسة وقُدِّمت إلى جامعة جواهر لال نهرو تحت عنوان "البراعة الشعرية بين أبي الطيب المتنبي ومرزا أسد الله خان غالب: دراسة تحليلية ونقدية" في عام 2013م.

مساهماته العلمية: هنالك العديد من العلماء الذين لم يعيروا اهتماماً كافياً بالتصنيف والتأليف، ومنهم أستاذنا فيضان الله الفاروقي رحمه الله الذي وهبه الله ذكاءً حاداً كان بإمكانه أن يستخره لغرض التأليف العلمي، ولو كرّس نفسه لذلك لأتى بما لم يستطع الآخرون أن يأتوا به، ومع ذلك يمكننا القول إنّ كل ما أسهمه الأستاذ فيضان الله الفاروقي في مجال التأليف يتمتع بقيمة علمية كبيرة.

لقد ألّف أستاذنا الفاروقي رحمه الله عدداً من المؤلفات القيمة وفيما يلي ذكرها:

- Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies: ونشر في عام 1999م، قد نقله الدكتور أورنك زيب الأعظمي إلى اللغة العربية بعنوان:

¹ مجلة أقلام الهند- مجلة إلكترونية فصلية محكمة، العدد الرابع أكتوبر - ديسمبر 2017،

<https://www.aqlamalhind.com/?p=845>

“لكتاؤ: مركزاً للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر” ونشر الكتاب أيضاً في نسخته العربية.

- An applied Grammar of Standard Arabic-part 1: نشر الجزء الأول من الكتاب في 2000م فيما الجزء الثاني والثالث لم يبصر النور بعد.
- الترجمة الأردنية لكتاب "دليل الباحث" لمؤلفه الدكتور ظفر الإسلام خان بعنوان "أصول تحقيق"، ونشرت الترجمة في عام 1998م من دلهي.
- ترجمة إنجليزية لكتاب "منتخب أحاديث" لمؤلفه العلامة محمد يوسف البنوري تحت عنوان "Muntakhab Hadith"
- واطلعنا على إنجازاته لترجمة وتحقيق كتاب الشيخ مصطفى الأعظمي في تفسير القرآن الكريم تحت عنوان "تاريخ قرآن"، وهو كتاب ضخم يقع في ثمانمائة صفحة، وقد قدم مسودته إلى المولانا المفتي سعيد أحمد البانوري الذي أعرب عن حرصه على نشر الكتاب من مكتبة دار العلوم بديوبند، ولكن مشيئة الله حالت دون ذلك، فقد توفي كل من الشيخ مصطفى الأعظمي والشيخ البانوري والأستاذ فيضان الله الفاروقي، رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جناته.
- كان الأستاذ الفاروقي ضمن هيئة المراجعة للموسوعة الإسلامية المعنونة "The Encyclopedia of Islam" في 100 مجلد، ونشرت في عامي 2005م و2006م.
- غالب والمتنبي شاعران عظيمان (كتاب في الأردية)، ولم يُنشر إلا أجزاء من ترجمته العربية التي قام بها تلميذه الكاتب الشهير أورك زيب الأعظمي، ونشرت الترجمة على موقع شبكة الألوكة الإلكترونية.
- قام بتحقيق ومراجعة الجزء الأول من كتاب "قديم تملناؤو كي چارسو ساه تاريخ أدب فارسي-عربي"، وطبعه المجلس القومي لترويج اللغة العربية بنو دلهي في عام 2003م.
- وكتب الأستاذ الفاروقي مراجعة شاملة باللغة الإنجليزية لكتاب "A critical survey of the book "The Cambridge History of Arabic

Literature to the End of Umayyad Period” ولم يتمكن من تكميل تأليف الكتاب ولكن تلميذه الوفي الدكتور أورنك زيب الأعظمي نشر أجزاء منه في مجلته الفصلية The Indian Journal of Arabic & Islamic Studies ولقى المنشور قبولا حسنا واستعراضا نقديا.

- جامع أردو انسائكلوبيديا: قام بمراجعة الجزء الخاص باللغة العربية وهي نشرت من المجلس الوطني لترويج اللغة الأردنية في 2003م.

هذا وقد كتب الأستاذ الفاروقي مقالات عن اللغة العربية وآدابها، والتي قدمها في الندوات والمؤتمرات الوطنية والدولية، ونُشرت في المجلات العلمية المرموقة الصادرة بالعربية والإنجليزية والأردية.

كان الأستاذ الفاروقي شاعرا قديرا في الأردنية، ويبدو أنه توارث القريحة الشعرية من طرف أمه، فقد كان خاله، كما سبق ذكره، شاعرا مجيدا في الأردنية، ولكنه لم يُعِرْ اهتماما كبيرا بالقريض، ولم يدون منظوماته الشعرية إلا ما فاضت به قريحته أحيانا، وكل ما نشر من قصائده بالأردية هي على مستوى راقٍ جدا تدلّ على ذوقه الشعري الراقي ومكانته الشعرية السامقة.

كان الأستاذ الفاروقي عضواً في عدد كبير من الهيئات واللجان العلمية في الكليات والجامعات الحكومية كما كان عضواً في اللجنتين العلمية والاستشارية في عدد من المجلات الدولية المرموقة. وقد أشرف على عدد كبير من البحوث والرسائل الجامعية في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة جواهر لال نهرو، أسرد فيما يلي بعضاً من الرسائل الجامعية التي أشرف عليها وقدمت إلى جامعة جواهر لال نهرو بنيو دلهي:

- "القيم الماثلة (المشابهة) في شعري معروف الرصافي وميثلي شاران غوبتا" (1995م)، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدم بها الباحث رضوان الرحمن، وهو الآن بروفيسور ورئيس مركز الدراسات العربية والأفريقية بجامعة جواهر لال نهرو.

- دراسة مقارنة بين أبي الطيب أحمد بن الحسن المتنبي ومرزا أسد الله غالب في ضوء ديوانيهما" رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث أبو سعد (1996م).
- الاتجاهات الجديدة للدراسات العربية في الهند خلال القرن العشرين: أهميتها وعلاقتها، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث جاويد نديم (1997م).
- بين مومن خان مومن وأبو عبادة البحري: المماثلات الفكرية والفنية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث راشد عالم (1997م).
- نظام التعليم العربي والإسلامي للنساء في الهند خلال القرن العشرين: دراسة تحليلية (باللغة الإنجليزية) رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث نسيم اختر (1998م)، أستاذ مرموق في قسم اللغة العربية بالجامعة المليية الإسلامية بنيو دلهي.
- النزعة الإنسانية في كتابات جبران خليل جبران، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث عبيد الرحمن (1999م)، وهو الآن أستاذ مشارك في مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو، وأستاذ قدير مقبول جداً بين الطلبة.
- محمد إقبال بين الشعر والتجديد في ضوء نظرية "خودي"، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد أنوار الحق (1999م)
- الرومنطيقية في شعر نازك الملائكة وفروخ فرخ زاد وبروين شاكر: دراسة مقارنة، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث مرزا نهال أحمد بك (2000م)، وهو يحمل منصباً إدارياً رفيعاً في جامعة إنديرا غاندي المفتوحة بنيو دلهي.
- الشعر العربي في الهند خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد شاهد (2000م)
- نبوغ أبي الكلام آزاد في اللغة العربية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث ضياء الرحمن الأعظمي (2000م)

- أسلوب أدب المهجر، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد شهاب الدين (2002م).
- نازك الملائكة ومساهمتها في الشعر العربي الحر، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث صبغة الله (2003م).
- رفاعة رافع الطهطاوي ومساهمته في الأدب العربي الحديث، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث ذاكر حسين جمشيد (2004م).
- الجامعة السلفية ببنارس ودور أساتذتها في ترويح اللغة العربية والدراسات الإسلامية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث ذاكر حسين (2007م).
- رضاء الله المباركفوري حياته وأعماله، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث معين أختر (2007م).
- دور علماء أعظم جراه في ترويح الدراسات العربية والإسلامية في القرن العشرين، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث عزيز الرحمن (2010م).
- الدراسات العربية في لداخ، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث عبد العزيز (2010م).
- دار العلوم ديوبند، مقارنة نقدية لأسلوبها في المقررات الحديثة مع التركيز الخاص على تعلم اللغة الإنكليزية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث عبد الرحمن (2010م).
- مساهمة دار المصنفين في إثراء الدراسات العربية مع التركيز الخاص على الأعمال التاريخية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد تابش خان (2010م).
- مساهمة المدارس الشرقية والكليات العربية في كيرالا في تطوير اللغة العربية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث شهاب الدين تي (2011م).
- مساهمة جامعة الفلاح في الدراسات العربية والإسلامية، رسالة ما قبل

- الدكتوراه، تقدّم بها الباحث رضوان أحمد (2011م).
- واضح رشيد الندوي وإسهاماته في الصحافة العربية الجديدة، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث عياض احمد (2011م).
- تطور الشعر العربي في مديرية أعظم جراه: دراسة نقدية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد معتصم (2012م). وهو الآن أستاذ مساعد في كلية سيورهي التابعة لجامعة بردوان (بنغال الغربية) ونائب مدير "مجلة الهند" الفصلية المحكمة.
- مساهمة عبد الرحمن الشراقوي في تطوير الأدب العربي الحديث: دراسة تحليلية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد موسى رضا (2012م).
- مساهمة ابن القيصراني الأدبية في مكافحة الحروب الصليبية: دراسة تحليلية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث مجيب بي (2012م).
- تصور مهاتما غاندي ومحمد علي جناح كما ينعكس في "روح عظيم المهاتما غاندي" و"القائد الأعظم" لعباس محمود العقاد: دراسة تحليلية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث نياز أحمد (2012م).
- مساهمة الشيخ محمد إدريس الكاهلي في الدراسات العربية والإسلامية: دراسة تحليلية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد أعظم (2012م).
- الفكاهة في كتابات الجاحظ مع إشارة خاصة إلى كتابه "كتاب البخلاء" رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد شاكر عالم (2012م).
- مساهمة الشيخ حبيب الرحمن العثماني في الأدب العربي في ضوء كتاباته الأدبية والشعر العربي: دراسة تحليلية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد أبو تراب (2013م).
- الواقعية في الرواية العربية المصرية في النصف الأخير من القرن العشرين: دراسة

- تحليلية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث كاشف جمال (2013م).
- مساهمة مدرسة الإصلاح في مجال التفسير مع إشارة خاصة إلى أعمال الدكتور أجمل أيوب الإصلاحي، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد كليم (2013م).
- الشعر العربي في مديرية أعظم جراه خلال القرن العشرين: دراسة تحليلية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد معتمصم (2013م). تقدّم ذكره.
- مدائح النبي الكريم في الشعر العربي الحديث في مصر مع التركيز على أحمد شوقي، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد نعيم (2013م).
- أهمية "التوقيعات" الأدبية في الأدب العربي خلال العصر العباسي الأول: دراسة تحليلية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث رفيع أحمد (2013م).
- مساهمة د. يوسف إدريس في الأدب العربي الحديث: دراسة انتقائية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث وسيم أحمد (2013م).
- الوجهات الإصلاحية في أعمال على أحمد باكثير: دراسة تحليلية وانتقائية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث غلام نبي (2014م).
- مساهمة الشيخ عبد الحق محدث الدهلوي في نشر الحديث عن طريق اللغة العربية في الهند: دراسة تحليلية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد يونس عالم (2014م).
- تطور الخط العربي في القرنين السابع والثامن: دراسة تحليلية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث فرحان أنصاري (2015م).
- عبد الحكيم قاسم في ضوء رواياته: دراسة تحليلية للروايات المختارة، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث أحمري غني (2015م).
- إسهامات الشيخ وصي أحمد المحدث السورقي في علم الحديث النبوي: دراسة تحليلية، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد مبشر حسن (2015م).

- دور نوابات بهوفال في إثراء الدراسات العربية والإسلامية في القرن العشرين، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد صادق (2015م).
- دراسة لمبادئ علم التفسير في كتاب "الفوز الكبير في أصول التفسير" للشاه ولي الله الدهلوي، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحثة نسيم فاطمة تشودھري (2015م).
- صورة المرأة في روايات غازي عبد الرحمن القصيبي، رسالة ما قبل الدكتوراه تقدّم بها الباحث طارق عمران (2015م).
- التراكيب العربية والهندية: دراسة تقابلية، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث رضوان الرحمن (1999م)، وقد تقدم ذكره، وأستاذ في القسم ورئيسه الحالي.
- فكرة الاستقلال ضد السيطرة البريطانية في المؤلفات العربية لعلماء الهند، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث جاويد نديم (2001م)، أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بجامعة مولانا أبو الكلام آزاد الأردية بجيدرآباد.
- مناهج الدراسات العربية والإسلامية للنبات في الهند خلال القرن العشرين، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث نسيم اختر (2002م)، أستاذ مشارك في الجامعة المليّة الإسلامية، وتقدم ذكره.
- مساهمة النواب صديق حسن خان في الأدب العربي: دراسة تحليلية، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث عبيد الرحمن (2003م)، وتقدم ذكره.
- الأفكار الاجتماعية والسياسية والدينية للشاه ولي الله الدهلوي من خلال كتابه "حجة الله البالغة"، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث ضياء الرحمن (2005م).
- انعكاسات حركة تحرير المرأة المسلمة خلال الربع الأخير للقرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث مبشر عالم (2007م).
- فكرة القومية في الشعر العربي والأردني خلال فترة 1920-1975م دراسة

- نقدية مقارنة، رسالة الدكتوراة، تقدّم بها الباحث محمد عليم (2007م).
- عبقرية الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي في مجال الدين والفلسفة في ضوء رسائل نور: دراسة تحليلية، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد واثق الحق (2010م).
- الأصل وتطور الصحافة في المملكة العربية السعودية منذ بداية العام 1926م لغاية 2000م، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمود حافظ عبد الرب مرزا (2010م)، أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية والأردية والفارسية بجامعة إله آباد.
- مساهمة النساء العرب في الروايات العربية الحديثة، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث معراج أحمد (2010م)، أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بجامعة عالية كولكاتا، وكاتب وصحفي.
- المسلمون الهنود: عاداتهم وتقاليدهم خلال خمسين سنة الماضية، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد جليس اختر نصيري (2010م).
- اللهجات بين الفلسفة والدين: دراسة عن السببية في الفكر الإسلامي، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث عاشق تي كيه (2010م).
- التفاسير العقلية للقرآن الكريم في الهند، مع إشارة خاصة إلى تفسير نظام القرآن للفراهي: دراسة تحليلية، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد قاسم (2012م).
- البراعة الشعرية بين أبي طيب المتنبي ومرزا أسد الله خان غالب: دراسة مقارنة وتحليلية، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث طلحة فرحان (2013م)، أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بجامعة مولانا أبو الكلام آزاد بجيدر آباد، وقد تقدم ذكره.
- الربا والربح في المنظور الإسلامي، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد أظهر صابر (2014م).
- دور أحمد عبد الغفور العطار في تطوير الاتجاهات الأدبية العربية الحديثة في

المملكة العربية السعودية: دراسة تحليلية، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث عزيز الرحمن (2015م).

○ مساهمة المؤرخين العرب في كتابة تاريخ الهند (الفترة الوسطى): دراسة تحليلية، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد قرعالم (2015م).

○ طبيعة الحداثة في الأعمال الشعرية للرابطة القلبية في أميركا الشمالية ومدرسة الديوان في مصر: دراسة انتقائية تحليلية، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث محمد تابش خان (2015م).

○ الكتابات العربية لعلماء دار العلوم ديو بند حول الدراسات العربية والإسلامية خلال القرن العشرين: دراسة انتقائية، رسالة الدكتوراه تقدّم بها الباحث عبد الرحمن (2015م).

القائمة أعلاه ليست حصرية، فإنها تضم عناوين البحوث التي أجريت تحت إشرافه في جامعة جواهر لال نهرو حتى عام 2015م، وهي لا تشمل البحوث التي أجريت بعدها، كما لا تشمل البحوث والرسائل التي أشرف عليها في معهد اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد، وإن كان عددها قليلاً.

تفيدنا إطلالة سريعة على العناوين أعلاه بتنوعها وثرائها وتفردا وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مدى تنوع اهتماماته العلمية فضلاً عن ارتباطه العميق بالباحثين الذين كان يشرف عليهم ارتباطاً علمياً وروحياً وشخصياً أيضاً، ويشهد الباحثون الذين عملوا تحت إشرافه على مدى إخلاصه وحبّه للطلبة والباحثين، ويندر نظير مثل هؤلاء الأساتذة في عصرنا هذا، كان معلماً مثالياً ونموذجاً لسلفنا الصالح وهو ما يتجلى بوضوح في تربيته لابنيه الورثين العلميين له.

لم يضع قط المكتسبات المادية نصب عينيه، ولذلك، ما رأيناه قط يجري ويلهث وراء المادة والمال، بل قضى حياة بسيطة ومتقشفة بعيداً عن الأضواء والشهرة،

ووظف ما تبقى لديه من الوقت بعد الفراغ من التدريس الجامعي والعودة للبيت لتعليم القرآن الكريم لأطفال الحي وفتح لهذا الغرض التبيل كُتَّاباً في منزله على حسابه الشخصي، خالصة لوجه الله، وتفرغ لهذا العمل بعد تقاعده من الخدمة الجامعية.

لقد أعلنت الحكومة الهندية في 15 أغسطس 2019م منحه جائزة رئيس جمهورية الهند على خدماته المتميزة للغة العربية ولكن المنية حالت دون استلام الجائزة من يد نخامة رئيس جمهورية الهند، وتلك مشيئة الله سبحانه وتعالى لا حول فيها ولا قوة لأَيِّ بشر.

لقد مثلت وفاته إثر إصابته بكورونا خسارة فادحة لأوساط اللغة العربية في الهند، فقد كان أستاذاً للأساتذة ومرجعاً للخلائق ومصدر إلهام لكثير من خريجي المدارس الدينية الذين يتجهون إلى الجامعات العصرية للتعليم الحديث.

رحم الله أستاذنا الفاروقي رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وتقبل منه خدماته المشرقة للغة الضاد وخدماته للإسلام والمسلمين وجعل ما قدمه من خدمات علمية ودينية في ميزان حسناته وصدقة جارية له.

المراجع

1. بعض المنشورات على صفحات الفيسبوك
2. مجلة أقلام الهند-مجلة إلكترونية فصلية محكمة، العدد الرابع أكتوبر - ديسمبر 2017، <https://www.aqlamalhind.com/?p=845>
3. معلومات موفرة من الدكتور أورنك زيب الأعظمي
4. مؤلفات الأستاذ فيضان الله الفاروقي المذكورة أعلاه في المقال.
5. موقع جامعة جواهر لال نهرو على الشبكة العنكبوتية، صفحة مركز الدراسات العربية والإفريقية <https://jnu.ac.in/sites/default/files/Dissertation.pdf>

عمنا الكريم

- د. زهرة خاتون¹

ترجمة من الأردوية: د. منير الإسلام²

ولو أن كتابة مقال عن شخصية جليلة كعمي الكريم (البروفيسور الفاروقي) أمر لا أقدر عليه ولكن كلما أتذكر معاملته الشفيقة الخالية من التكلف التي حرمت منها أنا وأسرتي فيثرن قلبي على أن أكتب شيئاً ولو بكلمات مفككة فأقدمه كهدية شكر له.

أبدأ كلامي هذا بنسبه الذي ينتهي إلى عمر الفاروق رَحِمَهُ اللهُ وَهُوَ كما يلي:

فيضان الله الفاروقي بن الشيخ سبحان الله الفاروقي بن الشيخ خادم الحق بن الشيخ علي بخش بن الشيخ غلام مصطفى بن الشيخ غلام أعظم بن الشيخ شميم بن خان تاج الدين بن خان علاء الدين بن إسماعيل خان بن الشيخ محمد أعظم خان بن جمال الدين بن نظام الدين بن بايزيد بن حبيب الله بن الشيخ محمد بن برهان الدين بن نظام الدين بن تاج الدين بن بهاء الدين بن سراج الدين بن حسن بن عبد الله بن عمر الفاروق أمير المؤمنين رَحِمَهُ اللهُ عَنَّهُ.³

كان العم فيضان الله الفاروقي المولود في 28/ مارس 1952م أصغر شقيق لوالدي رضوان الله الفاروقي، وكان من أهالي بلدة كوريا بار في مقاطعة أعظم غره. وبما أنه كان أصغر أشقائه وشقيقاته نفاطبه كل من جدنا وجدتنا وأفراد الأسرة بـ"بابو"،⁴ وكانوا خمسة أشقاء وأربع شقيقات. وإضافة إلى والدي، كان أشقاؤه الآخرون:

¹ أستاذة مساعدة، قسم اللغة الفارسية، الجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي

² أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية ديوان عبد الغني التابعة لجامعة غور بنغا، بنغال الغربية

³ الشيخ خليل الرحمان الفاروقي: قصص الجليل في سوانح الخليل، ص 741.

⁴ البابو (Bābū) كلمة هندية تعني أحب الأولاد الذكور صغيراً كان أو كبيراً ولكن كثيراً ما يلقب بهذا أصغر الأولاد الذكور. (الأعظمي - مدير تحرير المجلة)

مطيع الله وأمان الله وثناء الله ثم عمنا. وكانت الأخوات الأربع الأكبر من عمنا سناً: عمّتنا قدسية وحسنى وسلوى ونجمة. وقد توفيت الأولى مؤخرًا، إذ توفيت عمّتي الأخرى في سنّهما المبكر، كما توفي عمنا أمان الله قبل مدة قصيرة، وتوفي عمنا مطيع الله مؤخرًا. وبفضل الله تعالى عمّتنا نجمة وعمنا ثناء الله على قيد الحياة، وهما يعيشان في أعظم غره.

ولقد اختصت كلمة الـ"بابو" بشخصية عمنا إلى درجة أنّ كلّاً منا كان يخاطبه بهذا اللقب، ولم يكن يعلم الكثير من الناس باسمه الحقيقي فيضان (فيضان الله).

ولما بلغنا أشدنا أضفنا كلمة "العمّ" إلى كلمة الـ"بابو" نظرًا للاحترام، والتي بدأت بها شقيتنا الكبرى قرجين، وكانت أكبر من عمنا بضع سنوات. يمكن تقدير ذلك أنه عندما جاءت والدتنا "كوريا بار" بعد الزواج كان عمنا الـ"بابو" ابن نحو أربع أو خمس سنوات. وعلى كل حال، كان كلّ فرد من أفراد الأسرة يحبه حباً جمًّا.

كانت جدّة عمنا للأم تنحدر من أقصى قرية من أعظم غره، تسمى "سُمبهي" (Sumbhi) حيث كان جدّه من الأم المرحوم أحمد الله وشقيقه الأصغر الشيخ سعيد الله رجلين يمتنعان بكل الوقار والاحترام من القرويين.

تقع قرية "سُمبهي" على بعد حوالي ستة أميال في جنوب مدينة أعظم غره، حيث يمكن رؤية صفوف من أشجار الـ"تار"¹ الطويلة من بعيد، ولعلّ مناخ هذه المنطقة كان ملائمًا لهذه الشجرة، وكان يسكن بها معظم الإقطاعيين المسلمين، كما كان يقطنها طبقات دنيا من النّسّاجين والحلّاقين والحيّاطين والفخّاريين والهندوس من التجّار ومرّيّ الجواميس وغيرها.

وكوريا بار التي كانت قرية أجداده، كانت أيضًا قرية نائية من محافظة أعظم غره

¹ التار (التار) شجرة تشبه شجرة النخيل إلا أنّ ثمارها أشبه بكثير بثمار النارجيل، وعلى ثمارها تكون قشور بعضها فوق بعض. وهذه القشور عندما تمرّها بالخشب اللطيف تقطر عصيرًا حلواً نشربه بل نأكله. ولقد تناولت عصيرها مرارًا. (الأعظمي)

كمثل "مُنبهي"، وكانت تقع ضمن محافظة "كهوسي" (Ghosī) ولكنها الآن تأتي ضمن محافظة مئو (مئونات بهنجن) التي تم تشكيلها حديثاً، وهي تقع على بُعد حوالي خمسة أميال من بلدة محمد آباد كوهنه (Gohnā) شرقاً، وكان نهر "نونس" (Tanvas) حاجزاً بينهما، لم يكن يوجد أي جسر عليه من قبل، ولكن الآن بني عليه جسر جميل بالقرب من حي محمد آباد. ويُقال عن اسم هذه القرية أنها سميت على اسم رجل صالح يُدعى "كوريا شاه" (Kauriyā Shāh) الذي كان يسكن فيها، ويوجد ضريحه في الجانب الشمالي الشرقي منها، فسميت "كوريا بار". ويسكن فيها كل من الهندوس والمسلمين مع بعضهم البعض.

كان والد عمنا، أي جدنا الراحل، هو الثالث من بين أربعة أشقائه، وقد توفي ثلاثة منهم في شبابهم بمن فيهم جدنا بسم الله الذي كان حافظاً للقرآن الكريم، ووجدنا حبيب الله المتخرج من دار العلوم بديوبند قد توفي، وتلقى جدنا سبحان الله تعليمه التقليدي في قرية جدّه من الأم. وبصرف النظر عن الدراسات الدينية، فقد تفوّقوا أيضاً في علم الطب. والسبب في ذلك أنّ أعمام جدنا الثلاثة، الشيخ محمد عمر والشيخ عبد العزيز والشيخ عبد الحفيظ كانوا علماء وأطباء معاً، وكانوا ينتمون إلى عائلة السادات التي أعطيت قرية باسم "راجن بور" كإقطاع، وكان لهم بيت واسع في حيّ "أورنك آباد" من بلدة "مئونات بهنجن"، والذي لا يزال باقياً وسليماً حتى الآن.

ولما بلغ عمنا من العمر ست سنوات أتى إلى عمه الشيخ حفيظ الرحمن أيمن في دار العلوم بـ"مئو" للتعليم والتدريب الابتدائي. وكان الشيخ حفيظ الرحمن موظفاً حكومياً في كانبور، ولكنه ترك وظيفته لمتابعة التعاليم الإسلامية وإعطاء أطفاله بيئة دينية، فحُجّاء إلى دار العلوم بمئونات بهنجن، وتولّى فيها منصباً في مكتب المدرسة، بالإضافة إلى ذلك كان يدرّس طلابها اللغة العربية والفارسية والموادّ الأخرى، كما كان لديه تهمام بالشعر فكان شاعراً جيداً، وكان يلقّب نفسه

ب"أيمن"، وقد تلهذ والدي والعمّ لديه.

أقام بها عمنا حتى عام 1965م وحصل بها تعليمه من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية للغة العربية. وفي عام 1967م دخل في إحياء العلوم بمباركپور، وفي عام 1968م التحق بالصف السابع في دار العلوم بديوبند، وقرأ صحيح البخاري على الشيخ نضر الدين رحمه الله، ثم حصل منها على شهادة الفضيحة.

وقد بدأ عمنا حياته الأكاديمية والتعليمية من دار العلوم بمئو، حيث حظي فيها بتدريس طلاب صف "منشي" (Munshi).

وفي عام 1972م التحق بكلية العلامة شبلي بأعظم غره للحصول على التعليم الحديث، فحصل على درجة البكالوريوس في عام 1974م بدرجة الامتياز في مواد العربية والإنجليزية والفارسية والتاريخ. ثم حصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة الله آباد عام 1976م، وكذلك حصل على شهادة الدكتوراه بعنوان "علماء لكناؤ وخلفيتهم الأدبية والثقافية بخصوص اللغة العربية وآدابها" من نفس الجامعة عام 1984م وتلك تحت إشراف الأستاذ إيس. إيم رفيق رحمه الله.

وفي غضون ذلك أصبح محاضراً مؤقتاً في الجامعة الملية الإسلامية (بنو دلهي) عام 1979م، فاستمرّ بخدمة التدريس هناك حتى عام 1980م. وبعد ذلك انتقل إلى بروده، وانضمّ إلى قسم اللغة العربية بجامعة بروده حيث مكث حتى عام 1983م. وبعد بروده سافر إلى حيدر آباد، واستمر في خدماته الأدبية حتى عام 1987م في قسم اللغة العربية بالمعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية (CEFL) بحيدر آباد.¹

وفي مارس العام 1987م قدّم الطلب إلى جامعتين كبيرتين لدلهي - جامعة دلهي وجامعة جواهر لعل نهرو، ولحسن الحظ كان ناجحاً في كليهما، ولكنه رجّح جامعة

¹ جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية (EFLU) English and Foreign Languages /EFLU) حالياً (University)

جواهر لعل نهرو حيث تم تعيينه في مركز الدراسات العربية والإفريقية كأستاذ مشارك (Reader).¹

وفي عام 1997م تمت ترقيته إلى درجة الأستاذية (Professorship) المنصب الذي بقي عليه حتى عام 2017م عندما تقاعد بانتظام من واجباته التدريسية. وأثناء ذلك، قام بتوجيه نحو 60 أو 65 باحثاً الذين منحوا شهادات الماجستير في الفلسفة (M.Phil.) والدكتوراه (Ph.D.) تحت إشرافه.

وقد تم نشر عدد من كتبه ومقالاته التي اكتسبت قبولاً حسناً، بما فيها "قواعد اللغة العربية" و"لکاؤ کمرکز للدراسات العربية" وما إلى ذلك، وكان عضواً في عشرات المؤسسات التعليمية، وكان من مدوّني موسوعة الإسلام، وموسوعة اللغة الأردية أيضاً. خلاصة القول أنّ نطاق مساعيه وإنجازاته العلمية واسع لدرجة أنه من المستحيل أن تحيط بجميعها كاتبة بسيطة كمثل. هنا وطنت نفسي فقط للتعبير عن انطباعاتي، والحقيقة أنّ كلماتي هذه عندما تخرج من فمي وقلبي تخرج معها نفساتي.

كنا جميعاً الإخوة والأخوات قريين منه لدرجة أننا عندما بلغنا أنه وقع ضحية هذه الكارثة العالمية (COVID-19) التي انتشرت في جميع أنحاء العالم بشكل العدوى، لم تكن قلوبنا مستعدة لقبول هذه الحقيقة. قضينا ثلاثة أيام أو أربعة في السؤال عن صحته وتطوراتها، ولكن اليوم الخامس ثبت يوم نحس بالنسبة لنا إذ بلغنا خبر وفاته- الذي لا يزال يصعب تصديقه- يبدو أنه ذهب إلى مكانٍ ما، وسيعود قريباً.

لقد قضينا وقتاً ممتعاً مع عمّنا منذ الطفولة. وعندما كنا صغاراً اعتدنا الذهاب إلى أعظم غره في العطلة الصيفية، على الرغم من أنّنا كنا قاطنين في دلهي. وفي ذلك

¹ لم يرحّج أستاذي هذه الجامعة بل حينما لم يرض البروفيسور سليمان أشرف بضمّه إلى القسم بناء على وثيقة الإجازة من المعهد المركزي بجيدر آباد التي لم يكن يحملها أستاذي ذهب به البروفيسور ضياء الحسن إلى جامعة جواهر لعل نهرو وضمّه إليها. (الأعظمي)

الوقت، كان جميع الأقارب الأعزاء يجتمعون، وكان عمّنا يعيش أيضاً في مئو (مئو نات بهنجن)، ولكنه كان باستمرار يأتي إلى "كوريا بار" (بلدتنا)، وكان الأطفال دائماً يلتفون حوله، وأحياناً كان يذهب بنا إلى المزرعة، وأحياناً يذهب إلى الحديقة، ويأكل الأثمار ويُطعمنا إياها، وإذا جاء المساء كان يطلب الشاي من السوق، وأحياناً يطلب البكوري،¹ ويطعم الجميع، وإذا كانت الليلة، يجذب إليه كلّ الأطفال بقصة شقيقة يذكرها لهم. وهذه غيض من فيض من عاداته وروتيته.

وعندما جاء إلى دلهي في عام 1979م بدأ بالتدريس في الجامعة (الجامعة المليّة الإسلامية) وفي ذلك الوقت كان يعيش مع والدنا. وفي تلك الأيام، كانت أختانا تعيشان في كولكاتا ثم في الله آباد بعد الزواج، ولكننا الثلاث الأخريات أي أنا وشقيقتاي كما ندرس في الجامعة المليّة الإسلامية. وفي مثل هذه المناسبة، تعلّنا من عمّنا كثيراً، لأنّ والدنا كان مشغولاً من الصباح إلى المساء بأعمال مكتبه أو في كثير من الأحيان كان في جولة إلى مدينة أخرى، وفي هذه الحالة، كان العمّ هو المرشد لنا والمعلم. وفي عام 1980م عندما تحدّثوا عن زواج العمّ اكرتري منزلاً منفصلاً بالقرب منا، وتم العقد مع بنت لذوي قربانا في "باره بنكي"، فتزوج في 25 ديسمبر عام 1980م من "فرزانه سلّهما"، ثانية بنات محمد مصطفى المحترم.

في تلك الأيام كان والدنا مريضاً، لذلك لم نتمكن من حضور ذلك الحفل، فقام عمّنا أيضاً بتأجيل حفل الزفاف. وعندما اجتمعنا جميعاً في وطننا خلال العطلة الصيفية لعام 1981م، تم الاحتفال بالزفاف في حفلة عظيمة، وفي نفس الحفل تزوجت أختنا الثالثة.

عندما اختار عمّنا جامعة بروده في عام 1981م صحبته زوجته ثم إلى حيدر آباد ومن ثم إلى دلهي. وهكذا كانت هناك مسافة بيننا وبين عمّنا لبضع سنوات، ولكن

¹ البكوري (Pakaurī) مؤنث البكورا (Pakaurā) والأخير معروف في البلاد العربية. (الأعظمي)

بعد مجيئه إلى جامعة جواهر لعل نهرو (JNU)، استؤنفت علاقتنا، وكان الآن مع زوجته أولاده عرفان الله وأبو طلحة الملقب بـ"ثاني" والأخت آمنة. وكانت علاقتنا جيدة للغاية مع بعضنا البعض، وكنا نحتفل معاً بعيد الفطر وعيد الأضحى أو أيّ حفل زفاف، وإذا مرض أيّ شخص في المنزل أسرع عمّنا إليه على الفور.

وفي هذه الفترة قام ببناء منزل خاص على بعد مسافة قصيرة من منزل والدنا المحترم، فلم تحل بيننا جدّة المنزل. وأثناء ذلك تزوّجنا، أنا وشقيقتي الكبرى، وبقي والدانا وحيدين، ولكن ابن أختنا الثانية، طارق، الذي كان تحت رعاية والدنا منذ سنّه المبكر، اعتنى بهما وتولّى مسؤوليتهما، وكان عمّنا يشرف على هذه العناية، ولكن الموت كان القدر منذ سنتين فودّعتنا والدتنا قبل عامين، ولم نكد نخرج من هذه المحنة إذ هزّنا موت عمّنا هزّاً عنيفاً من داخلنا، وكنا نحاول أن نعزي أنفسنا إذ غادرتنا شقيقتي الكبرى. إنا لله وإنا إليه راجعون.

بالإضافة إلى ذلك، يبلغنا بالاستمرار نعي العديد من أقربائنا وأوليائنا، اللهم ارحم جميعنا واحفظنا من هذه العدوى. (آمين)

البروفيسور فيضان الله الفاروقي

- د. أورك زيب الأعظمي¹

مدخل: الكورونا كالتاعون جاء فجرف رجالاً من بيننا عباقة، رجالاً كما نحبهم شديداً ونكرمهم كبيراً ويعظم شأنهم كل من له أدنى إلمام باللغة العربية وعلومها. ومن هؤلاء الرجال العباقة من كان شهيراً على مستوى الوطن ومنهم من كان معروفاً على مستوى العالم فن الرجال المعروفين على مستوى العالم الشيخ ضياء الرحمن الأعظمي الذي توفي في الثاني من أغسطس 2020م، ومن الرجال المعروفين على مستوى الوطن شيخنا فيضان الله الفاروقي الذي قد عرفه كل من تعلم اللغة العربية أو عرف بآدابها.

كان شيخنا الفاروقي من أساتذة اللغة العربية الهنود الذين شغلوا أنفسهم، طول حياتهم، بنشر اللغة العربية وتطويرها إما بمحاضراته أو مؤلفاته أو بمراجعاته لبحوث الأساتذة ورسائل الباحثين. ولقد كان، أيام حياته، مرجعاً للأساتذة ومصدراً للباحثين الهنود والأجانب في جامعته وفي بيته بدلهي الجديدة. فاستفاد منه جيل علمي ممتاز في جامعات الهند وخارجها، واعترفوا بجانبه العلمي الجليل هذا. خلف الأستاذ المرحوم آثاراً قيّمة في اللغة العربية والإنجليزية والأردوية. فنود في هذه العجالة أن نلقي بعض الأضواء على حياته وأعماله البارزة:

خلفيته الثقافية: كان الأستاذ فيضان الله الفاروقي منحدرًا من قرية تسمى "كوريابار" (Kauriyāpār) والتي هي إحدى قرى مدينة مئو التي كانت جزءًا من أعظم كره. وأعظم كره كانت في زمن السلاطين المسلمين جزءًا من منطقة جونور. فلقد سميت علماء أعظم كره ومن علماء كوريابار بالجونوريين نسبة إلى هذه جونور.

¹ مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المالية الإسلامية، نيودلهي

سميت هذه القرية (كورياپار) على اسم شيخ يوجد قبره على شاطئ غدير يقع على شمال شرق هذه القرية وكان اسم ذلك الشيخ كوريا شاه (Kauriyā Shāh). وبعد مرور الزمان عرفت القرية بـ"كورياپار" فلعل هذا الشيخ كان أول عالم وداع نزل بهذه القرية.¹ يتخمن أنّ أجداد الأسرة الفاروقية قد نزلت بكورياپار عندما انتشر علماء جونيور للدعوة والتبليغ خارج حدودها، وكانت كورياپار آنذاك جزءاً من منطقة جونيور لكون أعظم كره جزءاً منها.

ينتهي نسبه كما ذكره خليل الرحمن صاحب كتاب "قصص الجليل في سوانح خليل"، إلى عبد الله بن عمر الفاروقي وبناء على معلومات قدمها رضوان الله الفاروقي أكبر أشقاء البروفيسور الفاروقي أنّ جدّه سمي الشيخ علي بخش الفاروقي الذي رزق ثلاثة أولاد محمد أكرم الفاروقي وبخاوت علي وخادم الحق الفاروقي ولحمد أكرم ولد سمي محمد أصغر الفاروقي وللثاني ولد سمي محمد الكافي وللثالث محمد سبحان الله الفاروقي وهو والد البروفيسور فيضان الله الفاروقي. وكان للشيخ أصغر سبعة أولاد وهم الحافظ محمد طه الفاروقي وعبد الله وعبد الرحمن وفضل الرحمن وعزيز الرحمن وحبیب الرحمن وخیل الرحمن الفاروقي.

¹ والسيد رضوان الله الفاروقي تأويل آخر لهذه القرية وهو: "وعندنا قبيلة تهتم بالزراعة تسميها "كوثيري" (Koerī). إنها تزرع الخضراوات وتبيعها ومعظمها ممن لا يؤمن بالله ويشرك به أحداً، ولكن هناك قرية "بهاتكول" (Bhātkaul) على حافات قرية "وليدبور" (Walidpūr) وهي بعد قرية "محمديور" ووراء نهر "تونس" (Tanwas). ففي بهاتكول أسرة "الكوثيري" المسلمين الذين يزرعون الخضراوات ويكتسبون بها معاشهم، ولكنهم يختلفون عن مسلمي الهند الآخرين أنهم لا يزوجون إلا بأولاد أسرهم وبناتهم. وفي كورياپار توضع الأسواق يومين في الأسبوع الجمعة والاثين فيحضرها أعضاء هذه الأسرة بخضراواتهم وبإمكاننا أن نشهدهم وقت العصر والمغرب يغطون خضراواتهم بالثياب ويؤدون الصلاة. وهذا التقليد يشبه تقليد العرب فيروى أن العرب الذين جاؤوا الهند يضمهم الزراع الذين تقدموا كيفما وحيثما تقدم الحكام والتجار حتى وصلوا إلى شرقي ولاية أوتاراڤديش، وسكن بعضهم على شاطئ النهر. والقرية المعروفة بعد "بهاتكول" قريتنا "كورياپار" فنحنم أن القرية التي كانت وراء قرية الكوثيريين هي قريتنا و"كوثيرياپار" تعني ما وراء الكوثيريين". (صحيفة "هندوستاني زبان" الفصلية الأردنية، 9-8/1/7)

الشيخ محمد أصغر الذي ذكره القاضي أظهر في كتابه كان جداً للفاروقيين، وكان ابن عمّ للشيخ سبحان الله والد البروفيسور الفاروقي.

مولده ونشأته وتعليمه: ولد البروفيسور فيضان الله الفاروقي بن المولوي سبحان الله الفاروقي بن الشيخ محمد أكرم بن الشيخ پیغمبر بخش بن الشيخ غلام مصطفى بن الشيخ غلام أعظم بن الشيخ شمیم بن خان تاج الدين بن خان علاء الدين بن إسماعيل خان بن الشيخ محمد أعظم خان بن جمال الدين بن نظام الدين بن تاج الدين بن بهاء الدين بن سراج الدين بن الأمير حسن بن عبد الله بن عمر الفاروق¹ في الخامس من شهر يوليو 1952م² بكوريابار (Kauriyāpār) إحدى قرى محافظة أعظم كره (محافظة مئو حالياً) بولاية أوتارا براديش (الهند). بدأ تعليمه من قريته حيث شدّ من العلم وتعلّم مبادئ اللغة العربية على والده ثم التحق بالصف الثالث الأردوي في "دار العلوم" مئونات بهنجن في الثالث من شهر ذي الحجة 1376هـ ولم يبلغ من العمر ست سنوات إذ التحق بالصف السادس الفارسي في الثاني عشر من شوال عام 1379م وبعد ذلك تم قبوله في الصف الأول العربي عام 1387هـ فدرس كتب الأدب العربي وعلوم القرآن والأحاديث والفقه وما إلى ذلك من 1962م إلى 1965م ثم توجه نحو مباركپور حيث التحق بمدرستها الشهيرة "إحياء العلوم"، ودرس الكتب العربية للدرجات الثانوية ومكث بها من 1965م إلى 1967م ثم التحق بـ"دار العلوم" بـ"ديوبند" من ولاية أوتارا براديش (الهند) في عام 1967م وشفى غليله العلمي فيها متخرجاً منها في 1968م. وبعد اكتساب العلوم القديمة العربية أحبّ أن ينال العلوم الجديدة فالتحق بكلية شبلي الوطنية الحكومية بأعظم كره في 1972م وتعلّم فيها اللغة العربية والإنجليزية والفارسية والتاريخ ونال شهادة البكالوريوس في

¹ صحيفة "هندستاني زبان" الفصلية الأردوية، 7/1/7

² ضبط تاريخ ميلاد الفاروقي 4/ يونيو 1950م في سجلّ دار العلوم بمباركپور، وذكرت ابنة شقيقه الأكبر الدكتورة زهرة خاتون الـ28 من شهر مارس 1952م.

1974م، ثم التحق بماجستير في اللغة العربية وآدابها في جامعة الله آباد التي حاز منها شهادة الماجستير في 1976م كما نال منها شهادة الدكتوراه في 1984م.

خدماته التدريسية: بدأ البروفيسور الفاروقي مسيرته التدريسية من دار العلوم بمئونات بهنجن في 1969م وبقي فيها حتى 1971م مدرساً صف "منشي" ثم غادرها لينال العلوم الجديدة من كلية شبلي وجامعة الله آباد. وخلال قيامه بالبحث في جامعة الله آباد تم تعيينه كمدرس مؤقت للغة العربية وآدابها في قسم الدراسات الإسلامية والآداب العربية والفارسية (Department of Islamic and Arab-Iranian Studies) بالجامعة المليية الإسلامية (نيو دلهي) منذ سبتمبر 1979م¹ وأقام بها حتى فبراير 1980م ثم ارتحل إلى جامعة إيم إيس برودا (Baroda) في فبراير 1980م² وأسس بها قسماً للغة العربية وآدابها متعيناً فيها كأستاذ مساعد. أقام في هذه الجامعة حتى فبراير 1983م ثم ارتحل إلى حيدرآباد حيث تعين أستاذاً مساعداً في مركز اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية (جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حالياً) في مارس 1983م وأقام بها حتى فبراير 1987م. بعد ذلك رجع إلى دلهي واختير أستاذاً مشاركاً من كلتا الجامعتين (جامعة دلهي وجامعة جواهر لعل نهرو)، ولكن لرفض رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة دلهي ضمه إلى جامعته بناءً على بعض الوثائق توجه الأستاذ الفاروقي نحو جامعة جواهر لعل نهرو فقبلته هيوالا رئيسة المركز آنذاك³ فأصبح الفاروقي أستاذاً مشاركاً في مركز الدراسات العربية والإفريقية في مارس 1987م، وفي يونيو 1997م احتل منصب أستاذ في نفس المركز كما عين رئيس المركز. وتقاعد البروفيسور المرحوم عن وظيفته في شهر يوليو 2017م. وأُعلن عن اسمه لجائزة رئيس جمهورية الهند على خدماته للغة العربية وآدابها في 2019م

¹ وضبط السنة على خلاف ترجمة "منتخب أحاديث" الإنجليزية 1980م وهي خطأ

² وضبط السنة على خلاف ترجمة "منتخب أحاديث" الإنجليزية 1981م وهي خطأ

³ أوراقٍ پریشان، ص 27-28

ولكن المنية حالت بينه وبين استلامها. فتوفي في 22 من شهر يوليو 2020م. رحمه الله رحمة واسعة. ولقد تمتع أستاذه بالعمرة فالحج لبيت الله الحرام في 2018م.
رثيته بقصيدة¹ أنشد لكم طرفاً منها:

تعالوا لنبك خير كل أساتذ	توفاه رب الناس إذ كان مُخلصاً
توفاه إذ كان رضيعاً لآله	توفاه إذ ألقى إلى داره العصا
لقد قام بالتعليم طول حياته	وقد قام بالتنبيه كلاً إذا عصا
وكان الفقيد صابراً أي صابر	على كل ما جاء، ولم يتبعصا
وكان غيوراً لم يختر جبينه	فلا في عليّ أو سفيل تبصصا
وكان سديد القول والفعل والنهي	وما كان يهدينا إذا لم يترصا
وكان أديباً ذا لسان يطيعه	أطال الكلام أو إذا شاء حامصا
وكان يقوم ثابتاً ضد آفة	وثيقاً برّب كالبناء مُرصصا
فما فرّ من داء ولا راعه الوباء	وإذ هدّه الكورونا فما هو بلأصا
وجدت أثري ذا حياء وعفة	يخاف الإله، لم يكن متبهلصا
ولم يؤذ أحداً شيخنا في حديثه	ولا بالثقال فوق آخر جصصا
ويكرم كلاً طال سنّاً أو اقتصر	ويرجع تواً إذ رأى الحق حصصا
وكان يضاهي كل فحل وجهيد	ولو كان شليلاً، ولو كان أحوصا
وكان خبيراً بالعروض وما بها	ويدي بياناً في البديع مؤصصا
وإن كان شعر بالبيان معقداً	فزرناه فوراً أنه كان رخصا
وجدت كلاباً لا تهرّ ببابه	بضيف أتاها أو بمن قد تبصصا
وكان تقياً صالحاً ذا كرامة	وكلّ خصال الخير شيخني تتمصا

¹ هذه القصيدة منشورة في هذا العدد الخاص.

أعماله: قام البروفيسور فيضان الله الفاروقي المرحوم بتأليف وترجمة وتحقيق ومراجعة عشرة كتب:

1. Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies during

the 19th Century وهي رسالته للدكتوراه طبعت من فلاح دارين ترست بنيو دلهي في 1999م. تنقسم الرسالة في أربعة أبواب وكلمة المؤلف واختتام وقائمة المصادر والمراجع. فالباب الأول يتحدث عن أصل لكّاؤ وتطورها عبر العصور، والباب الثاني يعرف بالدراسات العربية والإسلامية في الهند بخصوص لكّاؤ منذ القرن الثامن إلى القرن التاسع عشر للميلاد فتناول فيه الكاتب الحكم الإسلامي في الهند وعلماء السند ومحدثيها وتطور الدراسات الإسلامية خلال العهد الغزنوي وتأسيس الدولة الإسلامية في دلهي والدراسات الإسلامية خلال حكم علاء الدين الخلجي ومحمد تغلق وفيروز شاه تغلق وسكندر اللودهي والسلطين المغول كما تناول تطورها بعد أورنك زيب وتحدث عن مساهمة الشرق فيها مبيّنًا تطورها في لكّاؤ، وهكذا بين تطورها في لكّاؤ خلال القرن الثاني عشر ومن هنا خصّ البحث بمساهمة "فرنغي محل" في الدراسات العربية والإسلامية وكذلك كتب عن نشر علم الحديث والمعقول في الهند والمنهاج الدراسي في بداية تاريخ الهند الإسلامية. والباب الثالث ينطق عن تطور الدراسات العربية والإسلامية في لكّاؤ خلال القرن التاسع عشر وقيام مملكة أوده ودور النوابين الآخرين في تطوير هذه الدراسات أمثال سعادت خان برهان الملك وميرزا مقيم أبي منصور صفدر جنغ وجلال الدين حيدر شجاع الدولة هزبر جنغ وغيرهم. ولقد تحدّث الكاتب عن علماء عصر كلّ نواب وعدّد مساهماتهم وبين ميزاتهم. والباب الرابع هو الأخير وهو يلقي ضوءاً على الآثار القيّمة لعلماء لكّاؤ في مختلف مجالات الدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر للميلاد فتناول الكاتب مساهماتهم في علم التفسير

والحديث وأصوله والفقه وأصوله والتصوف والكلام والعقائد والمنطق والنحو والصرف والأدب وكتب التاريخ والتراجم. وفي النهاية قدّم ملخصاً جامعاً وذكر قائمة فنية للمصادر والمراجع التي استفاد منها في الرسالة. هذه رسالة قيّمة تلقي ضوءاً فاضياً على مساهمة لكثاؤ في تطور الدراسات العربية والإسلامية في الهند وخارجها. قُتْ بترجمتها إلى العربية والتي نشرت من باكستان في 2016م.

2. **An Applied Grammar of Standard Arabic**: كتاب ألفه الفاروقي

باللغة الإنجليزية في 103 صفحة وهو جزء أول من كتابه عن قواعد اللغة العربية. يشتمل الكتاب على 17 درساً من مبادئ اللغة العربية إلى المركب التصفيقي. وقد ذكر لي الكاتب أنه أتمّ الجزئين الآخرين منه ولكنه لم ينشرهما حتى وافته المنية. سألت ولديه عنهما ولكنهما لم يجداهما في تراثه. صدر هذا الجزء من فلاح دارين ترست في 2000م. لنقرأ، فيما يلي، درساً كنموذج. يكتب البروفيسور عن الجمع:

“Look at these sentences:

The man is learned.	Sing.	الرجل عالم.
The two men are learned.	Dual	الرجلان عالمان.
The men are learned.	Plural	الرجال عالمون.
The woman is learned.	Sing.	المرأة عالمة.
The two women are learned.	Dual	المرأتان عالمتان.
The women are learned.	Plural	النساء عالمات.

There are four plural nouns in these six sentences. Those are المرأة plural of النساء, عالم plural of الرجل, الرجال plural of المرأة and عالمات plural of عالمة. You may observe that عالم is completely present in عالمون/ات, ون) عالمات and عالمون (عالمات=عالمات while الرجال and النساء do not consist of their singular forms which are المرأة and الرجل. Hence we came to

know that the plural nouns are of two types; the first that in which the singular form be present without any breakage, and that in which the singular form is broken. The later is called the broken plural or الجمع المكسّر as أعلام plural of قلم كُتِبَ plural of كُتِبَ, the former is called the sound plural or الجمع السالم as كُتِبَ plural of كُتِبَ. The sound plural either be feminine or masculine rational being.

The sound masculine plural or الجمع المذكر السالم is formed by adding the terminate وَنَ to singular adjective of proper nouns of masculine, as نائمون from نائم and صادقون from صادق and غافلون from غافل.

Note that this وَنَ is changed into يَنَ if the noun is in accusative or genitive case, e.g.,

The teachers came.	Nominative	جاء المعلمون.
I saw the teachers.	Accusative	رأيت المعلمين.
I learnt from the teachers.	Genitive	درست من المعلمين.

The sound feminine plural الجمع المؤنث السالم is formed by putting أَت to the end of a singular as زينبات from زينب. Nouns which end in ة lose their ة before adding أَت as عالمات from عالمة, سارقات from سارقة. In other two (accusative and genitive) cases الجمع المؤنث السالم takes kasrah (ِ) e.g.,

The lady teachers came.	Nominative	جاءت المعلمات.
I saw the lady teachers.	Accusative	رأيت المعلمات.
I learnt from the lady teachers.	Genitive	درست من المعلمات.

Note that the sound masculine plural is formed from proper names and adjectives being masculines, while the sound feminine is formed:

- (a) From any word ending in ة as طلحة (mas.) makes طلحات, لذات makes لذات and علامات makes علامات.
- (b) Feminine nouns ending in ي or ء or ؤ as حبيبات from حبي, سماء from سماوات and صحراء from صحراوات, ذكرى from ذكريات.
- (c) Every noun denoting a feminine either rational or non-rational beings as the alphabetical letters, infinitives (except إفعال and تفعيل) and non-Arabic words, e.g., ألفات from ألف, تصنيفات from تصنيف, ممارسات from ممارسات, هواتف from هواتف.
- (d) Masculine nouns which have no sound masculine plural as جمادات makes جمادات and حيوانات makes حيوانات.¹

ثم ذكر أربعة تمرينات.

3. A Critical Survey of the Book "The Cambridge History of

Arabic Literature to the End of the Umayyad Period

هذا كتاب بالإنجليزية لم يُوفق الفاروقي لإتمامه ولكن الجزء الذي أنهاه نشرناه في حلقات في مجلتنا الفصلية "The Indian Journal of Arabic and Islamic Studies". وهذه دراسة نقدية قيّمة للكتاب "The Cambridge History of Arabic Literature" أشاد بها ناشر الموسوعة أيضاً.

4. "Muntakhab Aḥādīth": هذه مجموعة 1450 حديثاً اختارها الشيخ محمد

يوسف الكاندهلوي وجمعها في ستة أبواب رئيسية- الكلمة الطيبة (الإيمان)، الصلاة، العلم والذكر، إكرام المسلمين، إخلاص النية، والدعوة. وتمت ترجمتها الأردوية بيد الشيخ محمد سعد ونشرت الترجمة الأردوية في 803 صفحة من

¹ An Applied Grammar of Standard Arabic, 79-78/1

مطبعة مكتبة فيض عام بحجّي نظام الدين أولياء (نيو دلهي) في 2000م. قام أستاذنا الفاروقي بترجمته الإنجليزية بمعونة الدكتور جاويد نديم الندوي، وولده عرفان الفاروقي وهذا العاجز. قام الأستاذ الفاروقي بمراجعة الترجمات كما قام بترجمة بعض الأبواب فهو مترجم ومراجع معاً. ظهرت هذه الترجمة في 722 صفحة وطبعها إسلامك بوك سروس، نيو دلهي في 2002م. تبتدئ الترجمة بإشارات إنجليزية لقراءة الحروف العربية بهذه اللغة، وهي في صفحتين ثم تأتي مقدمة أستاذي في صفحتين ذكر فيها أهمية الترجمة من العربية إلى الإنجليزية ومشكلاتها التي يواجهها المترجم ولا سيما في ترجمة المصطلحات الإسلامية ثم جاء فهرس المحتويات في صفحتين، وفي نهاية الكتاب ذكر معاني الكلمات الصعبة وقائمة المصادر والمراجع. لنقرأ فيما يلي بعض النماذج للترجمة:

<p>‘Amr s/o ‘Abasa (RZA) narrates (part of detailed Hadith); I asked the Prophet (SAW), which Imān is most virtuous. The Prophet (SAW) responded: <i>Hijrah</i> for the sake of Allah. ‘Amr said: So what is <i>Hijrah</i>? The Prophet (SAW) said: Abandon the evil deeds.¹</p>	<p>عن عمرو بن عبسة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: فأَيُّ الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة. قال: فما الهجرة؟ قال: تهجر السوء.</p>
---	---

وأيضاً:

<p>Abu Hurairah (RZA) narrates: I heard the Prophet (SAW) saying: The first and</p>	<p>عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</p>
---	---

¹ منتخب أحاديث، ص 20

<p>foremost a man will be reckoned on the Day of Resurrection about his deeds, will be his prayers. If they are correct he will be successful and pass out. If they are spoilt he will be failed and lost. If the obligatory prayers lack something, the Lord Almighty will say: Look if there are some voluntary prayers in my slave's account? Thus it will be complemented by the obligatory prayers. Then the rest of his deeds will be accordingly (favourable).¹</p>	<p>يقول: إنّ أوّل ما يحاسب العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الربّ عزّ وجلّ: انظروا هل لعبدي من تطوّع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك.</p>
---	---

ومن عظمة الترجمة أنّ عشرة آلاف نسخة قد اشتراها الناس في مومباي فحسب بعد نشرها تواء.

5. **Encyclopedia of Islam**: هذه الموسوعة تمّت في 100 مجلد ونشرتها أنمول بليكيشنز بنيودلهي في 2005 و2006م. البروفيسور الفاروقي كان أحد أعضاء هيأتها للإدارة والمراجعة.

6. غالب اور متني، دو بڑے شاعر: هذه دراسة مقارنة لشاعرين كبيرين الغالب للأردوية والمتني للعربية. قام بها البروفيسور الفاروقي باللغة الأردوية فترجمتها إلى العربية وهي منشورة على شبكة الألوكة. وسننشر أصل المقارنة في مجموعة مقالاته

¹ المصدر نفسه، ص 191

الأردوية إن شاء الله. بدأها الكاتب بذكر أهمية الشاعرين في لغاتهما ثم تناول أبياتهما وقام بالمقارنة بينهما مضموناً وشمولاً. فيقول، مثلاً، في مقارنة بيت: "لقد أكثر الناس باتهام المتنبي بسرقة المعاني من الشعراء الآخرين ولكن تلك السرقات ليست إلا نوعاً من الجدّة والابتكار في المعنى. وهذا ما أدلى به القاضي الجرجاني والثعالبي وأثبتاه بالأمثلة ولكن ما قاله المتنبي نفسه في هذا المعنى هو خيرُ مثال للابتكار والروعة الفنية، وهو كما يلي:

وهاجي نفسه من لم يميز كلامي من كلامهم الهراء
أي من لا يقدر على التمييز بين كلامي وكلام غيري من الشعراء فكأنه يهجو نفسه أي هذا بعيد عن الذوق السليم. فكأنه يقرّ بفساد ذوقه ودناءة مائه. قرض المتنبي أبياتاً عديدة في هذا المعنى فقد هزأ بمعاصريه مرة كما عارض القدماء مرة أخرى فيقول في مكان:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً
فكلام بيتي المتنبي أجود ويعدّ من أبياته الرائعة ولكنه يتمّ عنهما تحقير الآخرين بل هو أساس الشعر. وفي الجانب الآخر يعرف الغالب منزلته في مجال الشعر وهو أيضاً كان يعرف الآخرين وعجزهم عن وصول مكانته وكما اتهم الغالب بسرقة المعاني ولكنه لم يأت بأدنى مرارة أو شدة في لهجته أبداً فبدلاً من تحقير الآخرين إنه خلق معنى آخر لطيفاً يختصّ به فيقول:

مير كان توارد به شعر من كه دزد متاع من ز نهان خانه ازل بر دست
ترجمة: لا تظن بشعري تراثاً مسروقاً لأنّ السارق (المتقدمين من الشعراء) اختطف كلامي من خزانة الأزل.

فورود خيال معيّن في أذهان الشاعرين وذكره يسمّى توارداً ويسمّيه العرب السرقة الشعرية بأنواعها وهذا عامّ بين الشعراء، أما نقل مضمون معيّن بدون أيّ جدة وابتكار في المعنى فهذه هي السرقة فالتوارد ليس بعيب ولكن الغالب

لا يحبّ حتى التوارد فيقول: لا تظنّ بشعري توارداً أي إذا وافق معنى في شعري معنى القدامى فلا تظنوا أنني نقلته منهم بل كان ذلك متواجداً في خزينة العالم الأزلي فمن سبقني سرقة من متاعي فلستُ بسارق بل المتقدمون هم السارقون. هذا معنى لطيف ملؤه الظرافة".

ويقول أيضاً: "يقول المتنبي:

وما كلّ مَنْ قال قولاً وفي ولا كلّ مَنْ سيم خسفاً أبي
أي ليس كلّ رجل مثلي في الإباء فالمعنى جميل وأسلوبه شعري كما أنّ بحره سلس والبيت مليء بالعواطف الثائرة ولكن هل لا يمكن بشأن الإباء أن يتقدّم أحدٌ ويفوق هذا المعنى. اقرأ بيت الغالب التالي:

تشنه لب بر ساحل درياز غيرت جا دهم گر بموج افتد گمان چين پيشانى مرا
ترجمة: إنّ خُيَلَ إليّ أنّ الأمواج (المرتفعة) أسارى على جبهة البحر فأموت من الغيرة والإباء عطشاً على شاطئ البحر (فإنّ أسارى الجبهة مركز الاستكثار والاستكراه).
تأمل رفعة الخيال فتعبير البحر بالناصية ثمّ تعبیر الأمواج المرتفعة فيه بالأسارى ومن ثمّ الاستنتاج بأنّ سقايته من البحر يمكن ألاّ يسرّ البحر خيالاً دقيقاً ولطيفاً".
ويلخصّ مقارنته كما يلي:

"لا نجد تشابهاً كبيراً بين المتنبي والغالب بالنسبة إلى الموضوعات فإنهما مختلفان جواً فكرياً فللغالب ميدانٌ يختلف عن مجال المتنبي ولكن سعة الخيال وفهم الحقائق والقدرة الفائقة على التعبير والتراكيب اللفظية البديعة التي تطوي الأخيالة، كلّ هذه توجد لدى الغالب أكثر مما يوجد لدى غيره من الشعراء والمتنبي ليس بخارج منهم".

7. قديم تملناڈو كي چارسو ساله تاريخ أدب فارسي-عربي: قام البروفيسور الفاروقي بتدوين وتحقيق الجزء الأول الذي طبعه المجلس الوطني لترويج اللغة الأردوية في 2003م. لم أجد عنه أكثر من هذا.

8. أصول تحقيق: هذه ترجمة أردوية لكّاب شهير عن أصول البحث العلمي ألفه الدكتور ظفر الإسلام خان باللغة العربية ونُشِرَ الأصل من بيروت والهند معاً. ترجمته الأردوية نُشِرَتْ من فيروس ميديا بنيو دلهي في 1998م وهي متداولة بين الباحثين ولا تحتاج إلى أيّ تعريف.

9. جامع أردو إنساكلوپيڊيا: هذه موسوعة بالأردوية شاملة تحفل بمختلف الآداب والفنون. قام البروفيسور فيضان الله الفاروقي بمراجعة ما يختص باللغة العربية من المجلد الأول وهي نُشِرَتْ من المجلس الوطني لترويج اللغة الأردوية في 2003م في 600 صفحة. قال مدير المجلس آنذاك الدكتور محمد حميد الله بهت: "وبما أنّ الفترة الطويلة قد مضت على تأليف هذه الموسوعة فقد مسّت الحاجة إلى مراجعتها وتدوينها من جديد فقام بإعادة النظر في حصة الآداب وتدوينها كلّ من شمس الرحمن الفاروقي والبروفيسور شريف حسين القاسمي والبروفيسور عبد الرحيم القدوائى والبروفيسور فيضان الله الفاروقي والدكتور بي أحمد بادشاه والدكتور نثار أحمد والدكتور يونس الأغاسري. ولو لم يقوموا بذلك لما ظهرت الموسوعة إلى النور".¹

قالت الدكتورة زهرة خاتون: "هذا من الصدفة أنّ كلتا الشخصيتين (شمس الرحمن الفاروقي وفيضان الله الفاروقي) اشتركت في تدوين الموسوعة الأردوية الشاملة وكلتاهما أصيبت بجائحة واحدة الكورونا".²

10. تاريخ قرآن: هذه ترجمة أردوية لكّاب جليل ألفه محمد مصطفى الأعظمي وهو "The History of Qur'anic Text- A Comparative Study of Bible, " Old and New Testament". رأيت الترجمة جاهزة ولكنها لم تر النور حتى الآن. وسألت ولديه فلم يرّداً ولزما الصمت. أحاول أن أحصل عليها كي أطبعها.

¹ جامع أردو إنساكلوپيڊيا، 1/المقدمة

² صحيفة "هندوستاني زبان" الأردوية، 26/1/7

مقالاته وبحوثه: وله أكثر من اثنتي عشرة مقالة نُشرت في مختلف مجلات الهند. وقت بترجمة كتابه " Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies " (لكاؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية في القرن التاسع عشر) و"غالب اور متنبی دو بڑے شاعر" (الغالب والمتنبی: شاعران کبیران). نُشرت أولاهما من باكستان بينما الأخرى نُشرت من المملكة العربية السعودية. وكذا كان الأستاذ الفاروقي عضواً لمختلف هيآت علمية وتعليمية لمدارس وجامعات الهند كما كان عضواً لمختلف مجلات الهند العربية والإنجليزية. وشارك في وضع المناهج الدراسية لمختلف الجامعات وألقى محاضرات وقدم بحوثاً علمية في مختلف الجامعات والندوات العلمية. وكان قد حفظ قصائد لا تحصى لشعراء الفارسية والعربية والأردوية. وكان له ذوق عال لفهم الشعر والنصوص العربية والفارسية الكلاسيكية. وأبرز خدماته الدينية مدرسته التي أقامها بداره وكان ينفق عليها من جيبه الخاص وكانت تهدف لتنشئة أطفال الفقراء والمساكين. اللهم اقبل أعماله فإنه كان مخلصاً لك الدين. وسنفرد لها ذكراً في هذه المقالة.

علو كعبه كما شهدت: ومن الأمور التي مارسها أو شهدتها والتي توحى بعظمة شأنه العلمي والفني ما يلي:

- كان شينخي ذكياً ومجتهداً معاً منذ طفولته فلما كان يدرس في "منشي" و"منشي فاضل" ومثلهما من الشهادات كان يدرس زملاءه هذه المواد.
- لم يدرس النصوص حرفاً بعد حرف بل كان يركّز على ما ذكر فيه من المضمون الرئيس وهكذا وجدته يدرس الشعر بحيث كان يربّخ مضمونه الرئيس في أذهاننا.
- مرة أردفني في سيارته فحينما دخلتها كاد أن تقع تحتي صحيفة أردوية فنزعها إليه وقال إنّ هذه الأوراق تستعمل لكتابة الحروف أردوية كانت أو إنجليزية وهي تستحق أن تكرمها فإنّ العلم مكرم حيث كان.

- ذات مرة حكى لي حدثاً وقع معه فقال: مرة كان يركب دراجة وكانت كتب الحديث موضوعة عليها خلفها فمنعه شيخه عن هذا العمل وقال إن الأحاديث تستحق أن تكرم.
- كان اطلاعه واسعاً فني ليل رأيت في المنام مرتين أنه قد نقش اسم محمد (صلى الله عليه وسلم) على الجانب الأيسر من صدري حيث يقع القلب، وحتى تلك الأيام ما كنت أعرف أن القلب يقع في الجانب الأيسر وكنت أظن أن هذا الشيء القيم لا بد أن يكون على الجانب الأيمن فسألت شيعي أني رأيت في المنام كذا وكذا فقال: إيمانك يزيد. فقلت: كيف ويقع القلب على اليمين فليكن الإيمان في الجانب الأيمن، فتبسم وقال: القلب يقع على الجانب الأيسر.
- كان قد حفظ الشعر الفارسي والأردوي فكلما قرأت عليه بيتاً فارسياً أو أردوياً قرأ القصيدة كلها أو الجزء الأكبر منها فقد بهتنا بموهبته هذه مراراً وتكراراً، ولم أضاه به في هذا المجال. فلا أحفظ إلا ما يشير إلى الهدف من الشعر أو جزء منه.
- آراؤه العلمية: كان اطلاعه واسعاً وذوقه الأدبي عالياً وقد وفق فهم الشعر عربياً كان أو فارسياً أو أردوياً فقد وجدته كلها زرتته يتحدث عن الأدب والعلم واللغة. وفيما يلي أسرد بعض معلومات عن جانبه العلمي والأدبي هذا:
- ذات مرة كنا نتحدث عن "شعر العجم" للعلامة شبلي النعماني، وهو كتاب قيم في خمسة مجلدات عن الشعر الفارسي باللغة الأردوية وتمت ترجمته إلى اللغة الفارسية. قال الشيخ عن مختارات الشعر الفارسي: إن العلامة شبلي كان واسعاً اطلاعه للأدب الفارسي وكان قد وفق فهم الشعر وانتخابه فما قام به من اختيار الشعر رائع ممتاز، ولا يستطيع أحد أن يدانيه في هذا الشأن.
- كانت له فكرة خاصة عن معلقة امرئ القيس فذات مرة كنت أدرس هذه

القصيدة طلاب الماجستير في جامعة جواهر لعل نهرو (نيو دلهي) جاء فتركت مقعدي وجلست في مقعد الطلاب ولو أنه دائماً كان يمنعني أن أترك مقعد الأستاذ أو على الأقل كان يأمرني أن أجلس معه ولكن جلالة شأنه العلمي دائماً كانت تجرّني من مقعد الأستاذ إلى مقاعد الطلاب. فبدأ شيعي الدرس وقال: لعل ما تحدّث عنه امرؤ القيس في قصيدته لم يقع معه بل كل هذا كان خيالاً فتخيّل وقال وذكر المعالم والأحداث.

المدرسة السبحانية: هذه المدرسة التي ذكرها أصدقائه وزملاؤه والمؤرخون لسيرته هي المدرسة التي أنشأها البروفيسور فيضان الله الفاروقي في 1995م على اسم والده الشيخ سبحان الله الفاروقي، ولقد تشرفت بالجلوس فيها مع طلاب هذه المدرسة وهكذا شهدت كيف كان البروفيسور الفاروقي يدرّس فيها الطلاب وما هي المواد التي كانت تدرّس فيها. فالبروفيسور الفاروقي كان يحضرها في كثير من الأحيان كما كان يدرّس فيها أستاذ أو أستاذان عيّنها الأستاذ ففي البداية كانت المدرسة على سقف منزل أستاذه عندما كان منزله ذا طابق واحد. ولكن لما بنى هذا المنزل من جديد وأصبح ثلاثة طوابق نقلت المدرسة من السقف إلى الطابق الأرضي.

المواد التي كانت تدرّس فيها هي قراءة القرآن الكريم وتجويده ومبادئ الإسلام من الصلاة والزكاة والحج وغيرها وكان يلتحق بها طلاب الفقراء الصغار لا الكبار فما رأيت مراحقاً ولا رأيت شاباً يدرس فيها، وكان أستاذه يعلمهم بل يدرّبهم على أداء الصلاة فلقد شهدت مراراً أن الطلاب الصغار، ذكراً وإناثاً، يصلّون تحت إمام صغير يؤمّهم.

كان الطلاب عادة ما يجلسون في حلقة حول البروفيسور الفاروقي فكان يدرّسهم ويسمع واجباتهم وقليلًا ما رأيته يضربهم. ولقد وددت كثيراً أن أكون معهم أدرس في هذه المدرسة لطريقة أستاذه الجليل الحسنة المحببة للتدريس.

ولكن الأساتذة الآخرين في هذه المدرسة ما كانوا يدرّسون كما كان يدرّس الأستاذ

الفاروقي فإنهم كانوا يدرّسون والطلاب جالسون في صفوف أمام منضدة عليها كتبهم لاسيما القرآن الكريم، وهذا يدلّ على حبّ أستاذه للطلاب وحبّ الطلاب له.

والمهم الجدير بالذكر أنّ الأستاذ كان ينفق على هذه المدرسة من جيبه. وهذه ميزة لم أجدها لدى أحد من الأساتذة والمشايخ. اللهم تقبل خدمته المخلصة هذه.

محاسن أخلاقه: لم أجد فرصة طويلة أرافق فيها أستاذه الجليل ولكني منذ أن بدأت أتعلّم في الماجستير حتى وفاته لم يمض عليّ يوم إلا ولقيته فيه وتعلّمت منه، ولو قلّ هذا اللقاء بعد تقاعده عن الخدمة لأمراض أصابته فانشغل بمداواتها ولكني ما زلت ألتقي به وأستفيد منه.

وخلال هذه المدة القصيرة عندي والطويلة لدى الآخرين شهدت أشياء تتعلق بأخلاقه كما مارست أموراً تتعلق بعظمة شأنه العلمي والفني ففيما يلي أشياء أقصّها وهي تتعلق بمحاسن أخلاقه:

- كان الأستاذ يكرّم تلامذته فذات مرة كنت واقفاً على موقف حوافل نهرو بليس¹ (نيو دلهي) وكان شيعي يذهب إلى الجامعة في سيارته فرآني وأوقف سيارته وتلفن إليّ وناداني فأردفني قائلاً: أبصرتك فعرفتك، ولعلك تريد الجامعة؟ فقلت: نعم.
- كان يدفع دائماً للمأكولات التي تحمل إلى حجرته من الشاي حتى الطعام ودعا على المأدبة بعد تقاعده عن الخدمة مما لم أمارسه لدى غيره كثير من الأساتذة الجامعيين.
- لم ينتقم أستاذه من أحد ظلمه أو أساء إليه فقد فوّضه إلى الله. ودائماً كان يحسن إلى الناس ويعتني بهم.
- قال أستاذه ذات مرة: لا أهرب وراء المناصب، إنما شغلي الشاغل هو التدريس، ونجاح تلاميذني ثم دعاؤهم سينفعني يوم القيامة.

¹ Nehru Place

طعامه وشرا به: كان، كما شهدت مراراً، يأكل قليلاً خبزين هنديين فذات مرة جاء جامعة فيسفاباراتي (جامعة طاغور) في بنغال الغربية فقدّمت إليه الفطور فأكل على عادته خبزين وقليلاً من الخضار وشكر لزوجتي وقال: لا بد أن نشكر من تقوم بصنع الطعام لأنّ ذلك يسرهم. وكان يشرب الشاي كثيراً ويفضّل أن يكون الشاي ساخناً كما هي عادتي فكان يغضبه إذا لم يكن الشاي ساخناً وكان مقهى مدرستنا بجامعة جواهر لعل نهرو كثيراً يقدم الشاي بارداً فكانت تعبسه هذه المعاملة من صاحب المقهى. وأما الماء فكان يشربه مثلاًجاً وما سألته عن السبب إلا أنني قرأت أنّ كبار شخصيات الهند كانت تشرب الماء مثلاًجاً فقد كان يشرب العلامة شبلي النعماني ماءً بارداً جداً وذكر لي الأستاذ المرحوم أنّ الشيخ أبا الحسن علي الندوي كان يشرب الماء بارداً ومع الثلوج. ومن حسن حظنا أنّ أحد تلامذتي وتلامذة أستاذه، محمد أحمد السنابلي، سأله عن سبب شربه الماء المثلاًج جداً في منزله زمن الكورونا الذي توفي فيه الأستاذ المرحوم فردّ عليه الأستاذ قائلاً: أعود نفسي على شرب الماء البارد وكذا أستلذه لأنّ اللجنة تقدّم فيها الماء بارداً جداً.

وكان يفضل من الأنبيج الجونسا والدهسري وهما نوعان جيّدان للأنبيج. ومن الممتع أنه كان ماهراً بالغالب وشعره، والغالب كان يحبّ الأنبيج.

قدرته على الترجمة: ولو أنّ هذا الباب لا يتعلق مباشرة بموضوع مقالتي إلا أنني أريد أن أشير إلى أنّ الأستاذ الفاروقي كان قادراً على الترجمة من وإلى الإنجليزية والأردوية والعربية فقد رأيت نماذج ترجمته الإنجليزية كما سترون نماذج ترجمته العربية في مقالته عن الشاعر الإسلامي إقبال المضمومة إلى مقالاته العربية المنشورة في هذا العدد الخاص. وأما ترجمته الأردوية فلا مجال لها في هذه المقالة إذ أنها بالعربية ولكنني أشير على من يريد نماذج ترجمته الأردوية فليقرأ كتاب "أصول تحقيق" و"تاريخ قرآن". وذكر لي أستاذه أنّ الترجمة الأردوية للأشعار العربية للمجلدين

الأولين من كتاب "عربي أدب كى تاريخ" للبروفيسور عبد الحليم الندوي من صناعه وليست من صنع الندوي المرحوم. والدليل على هذه الدعوى ترجمات المجلد الثالث فإنها لا تبلغ مستوى ترجمات المجلدين الأولين.

ملخص المقالة: هذا غيض من فيض السيرة العالية لأستاذنا فيضان الله الفاروقي. والحقيقة أنه كان علماً من أعلام الدراسات العربية في الهند، وبفقده فقدنا رجلاً كما نعتز به ومرجعاً للعلم والأدب ومصدرًا نلجأ إليه عند هجوم المشكلات العلمية والأدبية والاجتماعية. ودائمًا وجدنا يرحب بنا ويداوي ما أصابنا ويشجعنا على المضي قدمًا في كلا المجالين العلم والتقوى. أنهي هذه المقالة الموجزة بأبيات قلتها عند وفاته:

فيا ربّ، هذا عبدك البرّ فاسقه بكأس الرسول أو معينا مخصّصا
ويا ربّ، فاغفر للذنوب التي جرت بدون مراد أو بما كان أحرصا
وهذا قليل من كثير لذكره وما اسطعت تفصيلا فحقت ملخصا

المصادر والمراجع

1. "همارے عمّ محترم" (مقالة ترجمتها العربية منشورة في هذا العدد الخاص) للدكتورة زهرة خاتون، أستاذة مساعدة، قسم اللغة الفارسية وآدابها، الجامعة المالية الإسلامية، نيو دلهي
2. أصدقاء وتلامذة البروفيسور فيضان الله الفاروقي
3. أوراقِ پريشان للسيد ضياء الحسن الندوي (جمع وترتيب: رضية سلطانه واحدي)، نئي کتاب کهر، نيو دلهي، يوليو 2008م
4. جامع اردو انسائڪلوپيڊيا (الموسوعة الأردوية الشاملة) للمجلس الوطني لترويج اللغة الأردوية، نيو دلهي، 2003م
5. مجلة "هندوستانى زبان" الفصلية الأردوية الصادرة عن هندوستانى پرچار سبها، ممبئي، مهاراشترا
6. An Applied Grammar of Standard Arabic للدكتور فيضان الله الفاروقي، فلاح دارين ترست، نيو دلهي، 2000م
7. Muntakhab Ahādīth للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، إسلام بوك سروس، نيو دلهي، 2002م

المعاهد التعليمية التي تعلم فيها البروفيسور فيضان الله الفاروقي رحمه الله

- د. محمد معتمد الأعظمي¹

إن الأستاذ فيضان الله الفاروقي بن السيد سبحان الله كان ينتمي إلى مديرية أعظم كره من ولاية أوتارايش (الهند)، ولد في 5 من يوليو 1952م² في قرية كوئربار (Koeriyāpār)،³ وبدأ دراسته من قريته حيث شدد من العلم وتعلم اللغة العربية ثم التحق بـ"دار العلوم" مئونات بهنجن 3 ذي الحجة 1376هـ في الصف الثالث من الأردوية ولم يبلغ السادسة من عمره ودخل في الصف السادس من الفارسية في 12 شوال عام 1379م ثم تم قبوله في الصف الأول من العربي عام 1387هـ فدرس كتب الأدب العربي وعلوم القرآن والأحاديث والفقه وما إلى ذلك من 1962م إلى 1965م ثم التحق بـ"إحياء العلوم"، مباركفور، ودرس الكتب العربية للصفوف المتوسطة ومكث بها من 1965م إلى 1967م ثم التحق بـ"دار العلوم"، ديوبند في عام 1967م وشفى غليله العلمي فيها متخرجاً منها عام 1968م ثم التحق بـ"كلية شبلي"، أعظم كره بالكالوريوس وحصل على الشهادة عام 1974م. ثم ذهب إلى مدينة إله آباد والتحق بـ"جامعة إله آباد" وحصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية عام 1976م وكذلك حصل منها أيضاً على شهادة الدكتوراه عام 1984م.

وانتهى هنا زمن تعليمه، وبدأ يعلم ويفيد الطلاب والباحثين. وفيما يلي تعريف وجيز بالمدارس والمعاهد التي درس فيها الأستاذ الفاروقي:

أولاً: المدرسة الإسلامية العربية دار العلوم بمدينة مئونات بنجن: تعتبر "المدرسة

¹ نائب مدير تحرير المجلة ومدرس، قسم اللغة العربية وآدابها، سيوري فيديا ساغر، بنغال الغربية، الهند

² بينما ذكر تاريخ ميلاده في سجل موجود في دار العلوم بمدينة مئونات بنجن 4 يونيو 1950م

³ الواقعة الآن في مديرية مئو بولاية أوتارايش، الهند

الإسلامية العربية دار العلوم" من أقدم المدارس العربية الواقعة في مدينة مئونات بنجن (Maunāth Bhanjan) ولقد مضى على تأسيسها حوالي مائة عام.

تم تأسيسها على منهج دار العلوم بديوبند، ولا تزال تدرس العلوم العربية الإسلامية حسب المنهج الدراسي المعروف بـ"الدرس النظامي" وتقوم بإسداء خدماتها التعليمية الجليلة إلى يومنا هذا بصورة جيدة.

أهداف المدرسة: تبذل هذه المدرسة كلّ جهدها على تدريس القرآن الكريم والحديث الشريف، وتبث الوعي الإسلامي في أبناء المسلمين، وتهتم بترويح اللغة العربية وآدابها في المسلمين، وتعتني بتزويد الشعب المسلم بالأفكار الصحيحة، وتهتم بإنشاء جيل جديد من العلماء الذين يقومون بالرد على الشرك والبدع والخرافات والشكوك والاعتراضات بالحكمة والموعظة الحسنة.¹

المنهج التعليمي: تنتهج المدرسة الإسلامية العربية دار العلوم نظام دار العلوم بديوبند في الدراسة إلى جانب حفظ القرآن الكريم عن ظهر القلب، وتهتم اهتماماً بالغاً بإعداد الطلاب لاختبارات الدبلوم والشهادة التي تديرها هيئة الاختبارات لولاية أوتارا Pradesh.

تدرس الجامعة جميع كتب العلوم العربية الإسلامية والكتب الهامة الأخرى في أربع مراحل من مراحل التعليم والتربية الراجعة في الجامعة، وأدخلت اللغة الإنكليزية أيضاً في المنهج الدراسي لجميع المراحل.²

وقد أنجبت هذه المدرسة عدداً كبيراً من العلماء الأفذاذ والرجال الكبار الذين مازالوا ولا يزالون يؤدّون خدمات جليلة في مجال العلوم والتربية ويقومون بأعمال جليلة في نشر العلوم العربية الإسلامية في جميع أنحاء البلاد ويبدلون قصارى جهودهم في

¹ المدرسة الإسلامية العربية دار العلوم (تعريف مؤجز)، ص 6

² نصاب تعليم الجامعة العربية دار العلوم، ص 1-6

تثقيف المجتمع الإسلامي بالثقافة الإسلامية.

وتخرج منها مئات من العلماء الكبار ورجال العلم والدين والدعاة المخلصين الذين لعبوا دوراً هاماً في مجال التدريس والتعليم في مختلف الأوساط العلمية، مثل المحدث الكبير حبيب الرحمن الأعظمي، والشيخ منظور أحمد النعماني والشيخ عبد اللطيف النعماني والشيخ محفوظ الرحمن النامي نائب وزير التعليم والتربية لولاية أترابرايش سابقاً وغيرهم.¹

الجامعة العربية إحياء العلوم ببلدة مباركفور: تأسست هذه الجامعة عام 1317هـ/1899م على يد الشيخ إلهي بخش المباركفوري (1280-1356هـ) في شكل كتاب صغير، ثم تقدمت حتى أصبحت مدرسة كبيرة شهيرة، ثم تحمل مسؤولية الإدارة الشيخ شكر الله المباركفوري (1361هـ) فكرس جهوده ووضع أهدافها وأغراضها ومناهجها الدراسية وخطط أقسامها وفروعها ورتب أمورها ونظامها من جديد،² حتى برزت المدرسة على الساحة العلمية بجامعة كبيرة لها مكانتها المرموقة بين شقيقاتها من الجامعات والمدارس الإسلامية الأهلية في المنطقة.

أهداف الجامعة وميزاتها: من أهدافها تدريس القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه الإسلامي وتعليم ما يتعلق بهما من العلوم وتدريس اللغة العربية على المستوى العلمي والأدبي وتخرج جيل من العلماء المتضلعين من العلوم الإسلامية حريصين على نشر الإسلام وتبليغه وأكفاء في خدمة الدعوة والرسالة على نهج يتطلبه العصر، ونشر العلوم الدينية وبث الوعي الإسلامي في المسلمين وتوجيه الشباب المسلم إلى الأفكار الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة والاهتمام بالرد على الشرك والبدع والخرافات بالحكمة والموعظة الحسنة مع الوقوف أمام التيارات المعادية

¹ الجامعة العربية دار العلوم: نظامها، مقاصدها ومنهجها الدراسي، ص 12

² تذكره علماء مبارك پور، ص 218، ودليل الجامعة العربية إحياء العلوم لعام 1982م، ص 13

للإسلام وإعداد الكتب القيمة في ضوء الكتاب والسنة ونشرها بين المسلمين وغيرهم وتوفير المراجع والمصادر الهامة للباحثين والطلاب وأهل العلم وفتح مجالات البحث والتحقيق أمامهم.¹

المنهج التعليمي: ركزت هذه الجامعة منذ البداية عنايتها على تدريس التفسير والحديث والفقهاء بصفة خاصة لكي يكون المتخرج فيها على بصيرة ووعي بالأمور، وفيما يلي ذكر أهم السمات البارزة للمنهج الدراسي المتبع في هذه الجامعة:

- * الاهتمام بدراسة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقهاء الإسلاميين وأسرار الشريعة والأدب العربي والبلاغة وغيرها من العلوم.
- * وأن تكون دراسة القرآن الكريم حسب التفاسير المعتمدة المشهورة.
- * وتكون دراسة الفقه بحيث يطلع الطالب على مذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم مع الدلائل والأصول التي تعتمد عليها هذه المذاهب كما تدرس كتب أصول الفقه ليعثر الطلاب على أصول المذاهب الأربعة وغيرهم في تخرج المسائل واستنباطها.
- * وتخصيص حصص لتعلم اللغة الإنجليزية على طلاب القسم الفارسي والقسم العربي.
- * وتخصيص حصص لتجويد القرآن الكريم على طلاب الابتدائية.
- * وإلزام الطلاب بمطالعة الكتب غير الدراسية تحت إشراف بعض الأساتذة، وتشتمل هذه الكتب على موضوعات شتى من الرد على التيارات المعادية والأفكار الزائفة ووسائل الإعلام المضادة للإسلام ودحض الفكر الإلحادي والبدع والانحرافات وعلم الاجتماع والجغرافية وجزيرة العرب وحاضر العالم الإسلامي.
- * ونشاطات غير منهجية كالمشاركة في البرامج الخطابية الأسبوعية في اللغتين العربية والأردوية، وإصدار مجلات حائطية شهرية والمشاركة في المسابقات الإقليمية

¹ دليل الجامعة العربية إحياء العلوم لعام 1982، ص 18

والوطنية والحضور في الحفلات الدعوية وغيرها.¹

والجامعة لا تقبل أيّ معونة من قبل الحكومة الهندية فهي حرة في إدارتها وتصرفها ولا تملك أيّ إقطاعات أو موارد مالية ثابتة وإنما تغطي ميزانيتها تبرعات الشعب المسلم ومعونة المخلصين على الدين والعقيدة من الأثرياء وذوي الخير من داخل الهند وخارجها.²

تشتمل الجامعة على الأقسام التالية:

قسم العلوم العربية، وله سبع سنوات، قسم العلوم الفارسية، وله سنتان، قسم تجويد القرآن الكريم، الابتدائية (للبنين والبنات)، ولها خمس سنوات، الثانوية العصرية (للبنين والبنات)، قسم الإفتاء للإجابة عن الفتاوى وقسم الدعوة والتبليغ.³

من أبرز المتخرجين في هذه الدار الشيخ عبد الباري القاسمي والشيخ محمد منير الإبراهيم فوري والشيخ المفتي محمد يسين المباركفوري والشيخ محمد عمر المظاهري المباركفوري والشيخ القاضي أطهر المباركفوري والشيخ صفى الرحمن المباركفوري والشيخ جميل أحمد المباركفوري والشيخ إنعام الحق القاسمي والشيخ عبد المعيد القاسمي والشيخ سلمان مبشر المباركفوري والمفتي جميل أحمد النذيري والشيخ عارف جميل المباركفوري وغيرهم.

كلية شبلي الوطنية أعظم كره: تم تأسيس مدرسة شبلي للحصول على التعليم الإنجليزي على يد المؤرخ والمصلح الاجتماعي العلامة شبلي النعماني في 20 من شهر يونيو لعام 1883م وسميت بـ"المدرسة الوطنية" (National School). لأن شبلي كان يريد إنشاء مدرسة في وطنه تدرس فيها اللغة الإنجليزية مع العلوم الأخرى كما يقول العلامة السيد سليمان الندوي: "وذاذ يوم انتهزت الفرصة لأسأل لماذا

¹ المصدر نفسه، ص 18

² المصدر نفسه، ص 35 .

³ دليل الجامعة العربية إحياء العلوم الجديد، ص 6

تجعل اللغة الإنجليزية إلزامية في المدرسة؟" تنهد وقال "إنك ترى كيف ينتشر التعليم الجديد بسرعة ما". وكيف تبتعد الأسرة المسلمة العليا عن تعليم اللغة العربية. والآن ستتركز المعرفة الدينية للمتعلمين حديثاً على الكتب الإنجليزية والكتب الإسلامية المترجمة. فماذا ستكون حالة دراستنا الدينية في ذلك الحين؟ انظر الآن حينما يتم غير المتعلمين في فهم القرآن يروون عطشهم بالترجمة الإنجليزية، ويستند الفقه الإسلامي إلى الترجمة الإنجليزية للهداية".¹

وكذلك يكتب العلامة شبلي مرة إلى أخيه محمد إسحاق: "هذه المدرسة هي هوية عظيمة لشعبنا. نتمنى أن نستمر في تطويرها جنباً إلى جانب التطور الفكري لحياتنا. وبالنسبة لأولئك الذين يواصلون إنشاء الأذواق الوطنية فما هي الفرصة الأفضل التي يمكن أن تكون متاحة لهذه الجمعية الخيرية الوطنية من هذه المدرسة".²

وصارت المدرسة مدرسة ثانوية (High School) في عام 1895م ثم بأسباب وعدم الاهتمام بها تغيرت ظروف هذه المدرسة ومرة أخرى صارت مدرسة متوسطة وسميت مدرسة جورج المتوسطة (George Middle School) في عام 1911م ثم سميت هذه المدرسة بـ "مدرسة محمدن شبلي" في عام 1911م. كذلك عقد الاجتماع السنوي لإدارة المجلس في مدرسة جورج الثانوية عام 1928م وتم اقتراح إضافة شبلي إلى اسم المدرسة الوطنية في عام 1929م. وعُقد اجتماع لإدارة المجلس في الواحد من مارس 1944م حيث تفكروا في جعل كلية شبلي الثانوية العليا كلية الشهادات. ووافقت اللجنة الإدارية على بدء الدراسة على مستوى الدرجات العلمية والشهادات في الـ 21 من أغسطس 1946م ولكن أصبح من الصعب على عميد المدرسة أن يعتني بترتيبات كل من المدرسة والكلية في نفس الوقت فلذلك قررت اللجنة فصل مسؤوليات المدرسة والكلية كما قررت اللجنة أن

¹ مختصر تاريخ اعظم گزہ مسلم ایجوکیشن سوسائٹی اور شبلی نیشنل کالج اعظم گزہ، ص 17

² المصدر نفسه، ص 12-13

يخرج "جورج" من اسم مدرسة جورج شبلي واسم كلية جورج شبلي وتبقى مدرسة شبلي وكلية شبلي فقط. وأخيراً تم تشكيل لجتين منفصلتين لإدارة المدرسة والكلية في فبراير 1947م.

وكذلك تقرر تغيير اسم الكلية من كلية شبلي إلى كلية شبلي الوطنية في 2 يناير 1948م. كما تم تعيين شوكت سلطان عميداً في يوليو 1950م تحت المراقبة لمدة عام واحد وسمح له ببدء دروس البكالوريوس في اللغة العربية والسنسكريتية والتاريخ والجغرافيا والعلوم السياسية. وسمحت لبدء فصول القانون في عام 1952م وربما كانت هذه أول كلية في مناطق شرق أوترا براديش بدأت فصول القانون. تم تعيين محاضر في اللغة الإنجليزية والتجارة وعلم الأحياء والفنون والجغرافيا والسياسة. في سبتمبر 1952م. وتمت الموافقة على فصول التجارة والفلسفة وعلم النفس والعلوم السياسية وعلم الاجتماع في عام 1953م وبدأت فصول بكالوريوس التجارة من يونيو 1953م. وبدأت فصول اللغة العربية السنسكريتية والفلسفة في مايو 1955م وتمت الموافقة على فصول البكالوريوس في يناير 1956م. بدأت الفصول في يوليو 1959م بتعيين المعلمين ورئيس القسم في التربية.

كان امتياز أحمد سكرتيراً للجنة ومديراً للكلية منذ عام 1968م إلى عام 1982م. وخلال فترة عمله أحرزت الكلية تقدماً في مجال التعليم وبصرف النظر عن اللغة الإنجليزية والفلسفة فإنه بدأ الدراسات العليا في مجالات أخرى. وهكذا بدأت فصول الدراسات العليا في علم الاجتماع في عام 1970م وعلم النفس والسنسكريتية في عام 1971م والرياضيات والكيمياء في عام 1972م والجغرافيا وعلم الحيوان في عام 1973م والفيزياء وعلم النبات في عام 1977م والتجارة في عام 1979م. ووضع حجر الأساس لمدرسة الأطفال (Nursery School) من قبل الرئيس عبد العزيز الأنصاري عام 1986م. وبدأ التعليم من عام 1987م حتى الفصل الخامس.

وغيرت اسم مدرسة جورج المتوسطة إلى كلية شبلي الوطنية في عام 1942م ومنحت

هذه المدرسة درجة الكلية في عام 1946م. في البداية كانت الكلية تابعة لجامعة آكره ولكن في عام 1956م عندما أنشئت جامعة غوركفور تم ارتباطها بتلك الجامعة. وبدأت فصول الدراسات العليا في الكلية في عام 1970م في مختلف تخصصات العلوم أو الفنون. منذ عام 1988م أصبحت الكلية تابعة لجامعة VBS Purvanchal Jaunpur وتشتهر بالانضباط والمعايير العالية والمعلمين المؤهلين. وقد تجاوز عدد طلاب الكلية حوالي عشرة آلاف مع عدد متساو تقريباً من الطلاب والطالبات. وأقسام الكلية كما يلي:

كلية العلوم: قسم النبات، قسم الكيمياء، قسم الرياضيات، قسم الفيزياء، قسم علم الحيوان وقسم علوم الحساب. كلية الفنون: قسم اللغة الإنجليزية، قسم الجغرافيا، قسم اللغة الهندية، قسم الفلسفة، قسم علم النفس، قسم علم الاجتماع، قسم اللغة الأردوية، قسم اللغة العربية، قسم الدفاع والدراسات الاستراتيجية، قسم الاقتصاد، قسم التاريخ، قسم العلوم السياسية، قسم اللغة الفارسية، قسم اللغة السنسكريتية. كلية التجارة وقسم التجارة. كلية الحقوق: قسم القانون. كلية التربية: قسم إعداد المعلمين. أنجبت هذه المدرسة عدداً كبيراً من النوابغ وأصحاب الإبداع والابتكار والأصالة العلمية، من أبرز المتخرجين في هذه الكلية خليل الرحمن الأعظمي والبروفيسور كبير أحمد الجائسي وأستاذنا فيضان الفاروقي وآخرون غيرهم.

الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند: إن "الجامعة الإسلامية دار العلوم" تعتبر أكبر وأقدم جامعة إسلامية أهلية في شبه القارة الهندية لا تدانيها أية جامعة في هذه الديار في الشعبية والمحبة.

تأسست الجامعة الإسلامية/دارالعلوم ديوبند في الـ 15 محرم 1283هـ الموافق 31 مايو 1866م إثر انتهاء الثورة الهندية ضد الحكم الإنجليزي الغاشم، ولفظت الدولة المغولية أنفاسها الأخيرة، وفشلت ثورة 1857م في الهند، وبعد تأسيس الحكم

البريطاني أغلقت المعاهد التعليمية الإسلامية في مدينة دلهي ولاهور وأكره وجونبور وغيرها من المدن، وبدأ العالم الجليل مولانا محمد قاسم النانوتوي (1297هـ) وزملاؤه ورفاقه وعلى رأسهم العلامة الفقيه رشيد أحمد الكنكوهي (1323هـ) والعالم الجليل أديب العربية ذو الفقار علي (1322هـ) والشيخ الحاج عابد حسين (1331هـ) وغيرهم الذين تأملوا في النواحي الشتى للأوضاع الراهنة وأجمعوا على إقامة سلسلة من المعاهد التعليمية الدينية في مختلف المناطق في آن واحد، وقرروا إنشاء أول معهد من هذا النوع في بلدة ديوبند بولاية أترابرايش، وتنفيذاً لقرارهم وضع حجر أساس لمدرسة في ديوبند في 15 محرم 1283هـ / 11 مايو 1866م معروفة اليوم بأَم المدارس في مشارق الأرض ومغاربها، بدأت كمدرسة صغيرة تختص بدراسة العلوم الدينية والعربية وغرس التربية الإسلامية في نشء الإسلام، ثم تطورت إلى ما هي عليه الآن، وهي الآن أكبر جامعة إسلامية خاصة بالمسلمين في شبه القارة الهندية.

المنهج الدراسي: ويشتمل المنهج التعليمي للمدرسة على معظم ما يدرس من مواد عديدة في المدارس العربية والكليات الشرعية الإسلامية وكليات أصول الدين والدراسات العليا في الجامعات العربية ومما يدل على اعتناء هذه المدرسة بتدريس الأدب العربي أنه تدرس مختارات منه نثراً ونظماً من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة العليا،¹ وقد قام علماء هذه الدار بتأليف آلاف من الكتب على موضوعات التفسير والحديث وأصول الفقه والفرائض وفلسفة التوحيد والكلام ومجموعات ضخمة من الفتاوى، وهذه هي الحقيقة أنه لا تقل آثارهم الأدبية المتمثلة في النثر والنظم والمقالات والتراجم والخواشي والتقاريط والمعاجم وكتب الصرف والنحو.² ومن المهدف الأصلي للمنهج الدراسي من دار العلوم ديوبند هو أن يكون المتخرجون منها علماء متقنين ماهرين في العلوم والفنون، فوضع القائمون عليها في المنهج الدراسي كتباً

¹ مجلة أقلام الهند، 3/4 (يوليو-سبتمبر) 2019

² مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي، ص 21-22

من كل علم وفن من التفسير الحديث وما يتعلق به، والفقه وأصول الفقه والعقائد والكلام العربية والكليات الشرعية الإسلامية وكليات أصول الدين والدراسات العليا في الجامعات العربية ومما يدل على اعتناء هذه المدرسة بتدريس الأدب العربي أنه تدرس مختارات منه نثراً ونظماً من المرحلة الابتدائية والشمائل للترمذي وسنن ابن ماجة ومؤطا الإمام محمد وشرح معاني الآثار. وفي أصول الحديث نخبة الفكر، وفي العقائد شرح العقائد النسفية وفي الفرائض مختصر السراجي وما إلى ذلك. ويشتمل المنهج الدراسي للجامعة على جميع المراحل الدراسية الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية.

قرّرت الجامعة منذ بدايتها تدريس تفسير الجلالين الذي قام بتأليفه كل من الشيخ جلال الدين أحمد بن محمد الحلبي وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ويجري تدريسه من أوله إلى آخره قبل البدء في تدريس مجموعات الحديث. ويلزم على كل طالب أن يدرس الصرف والنحو والبلاغة بإتقان وإمعان حتى يتمكن من أن يدرك إشارات المفسرين ويعلم ما في القرآن الكريم من النواحي البلاغية، ثم زاد في المنهج الدراسي كتاب الفوز الكبير في أصول التفسير للشاه ولي الله الدهلوي. ويلتحق الطلبة بهذا القسم بعد إكمال المرحلة الجامعية من نفس الجامعة، وأنشئ هذا القسم في العام 1350هـ.

أقسام الجامعة: وللجامعة أقسام عديدة أبرزها:

أقسام تعليمية: أقسام التخصص (التي تسمى في الجامعة التكميل): الدراسة العالية، الدراسة المتوسطة، الدراسة الابتدائية، تحفيظ القرآن الكريم، قسم التجويد، قسم تحسين الخط، قسم الصناعة، قسم اللغة العربية وآدابها، قسم الحاسوب، قسم التدريب على الصحافة والتأليف، قسم صيانة ختم النبوة (دحض القاديانية)، قسم دحض النصرانية، قسم المحاضرات العلمية وقسم الإنكليزية.

أقسام علمية ودعوية: دار الافتاء، مكتبة الجامعة، مكتب الإنترنت والفتوى الإلكترونية، مكتب ترتيب الفتاوى، مكتب الدعوة والإرشاد، إدارة الطبع والتوزيع،

مجلة دار العلوم الأردنية الشهرية، جريدة الداعي العربية الشهرية وأكاديمية شيخ الهند.¹ أنجبت هذه المدرسة عددًا كبيرًا من النوابع وأئمة الفنون الإسلامية وأصحاب الإبداع والابتكار والأصالة العلمية، وكانوا فاتحي آفاق جديدة ليس في العلوم الدينية كالتفسير والحديث والفقه والعقائد فحسب بل في علوم اللغة والأدب العربي، وأقر لهم علماء العرب بالزعامة فيها، وعدت كتبهم من المراجع الرئيسية في هذه العلوم، وبعضها فريد لا نظير له في المكتبات الإسلامية العالمية، وأمدت هذه المدرسة الحركة العلمية والتأليفية في العالم الإسلامي والعربي في بعض العلوم الإسلامية وعمودًا فكريًا ليكون اللغة العربية في الهند.

جامعة الله آباد: تأسست هذه الجامعة في الـ 23 من سبتمبر عام 1887م، على يد السير وليام مويور وهو كان حاكم الولاية المتحدة آنذاك فأولاً وضع حجر أساس كلية ميور المركزية التي تحولت لاحقًا إلى جامعة الله آباد في الـ 9 من ديسمبر عام 1873م، على يد سعادة اللورد نورثبروك. وكانت جامعة الله آباد هيئة لمنح الشهادات حينئذ إلا أنها في وقت لاحق، وبناء على صدور قانون جامعة الله آباد عام 1921م، تم منحها طابعًا وحدويًا وسكنيًا، وكما تم بدء تسجيل المقررات الدراسية لمرحلي البكالوريوس والماجستير عام 1922م، وكذلك خططت أقسامها وفروعها وأهدافها وأغراضها. وتبنت الجامعة شعار "quot rami tot arbores"، والذي يعني "فروع عديدة وأشجار كثيرة"، الذي يجسد رغبة كل فرع إلى التحول إلى شجرة كاملة. وكذلك قد نقش شعار الجامعة على الجدار الخارجي لقاعة الشيوخ "سينات" بالعربية أيضًا، وذلك كما يلي: "سارعوا إلى منابع العلم والحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا".² وركزت هذه الجامعة على توفير أجواء ملائمة للطلبة

¹ <http://darululoom-deoband.com/arabic/>

² مجلة التليد، د. محمود حافظ عبد الرب مرزا، مقالة بعنوان (مساهمة جامعة الله آباد في ترويح اللغة العربية وآدابها)، موقع مجلة التليد

وإتاحة فرص التعليم العالي وإجراء الأبحاث في مختلف فروع التعليم وتطوير المعرفة حتى برزت على الساحة العلمية كجامعة كبيرة ولها مكانتها المرموقة بين شقيقاتها من الجامعات الأهلية والمركزية فتعتبر بعض كليات لهذه الجامعة فريدة من نوعها مثل كلية القانون وكلية التجارة وكلية الفنون وما إليها.

وإذا أمعنا النظر في مختلف أقسام الجامعة تبين لنا السر الكامن وراء اندفاع الطلاب إليها من كل حذب وصوب لينهلوا من مناهلها الصافية ويشربوا من معينها العذب، لأنها بالفعل تتيح مناخاً جيداً للدراسة وتوفر فرصة الإمام بآخر التطورات والمستجدات في مختلف المجالات العلمية والأبحاث الجديدة. ويحدوني الأمل في أن تواصل هذه الجامعة مسيرتها نحو التقدم والازدهار.

ولقد تولى العالم الشهير المولوي ذكاء الله منصب أول رئيس لقسم العربية والفارسية وآدابهما آنذاك. حيث كان أجداده من كبار العلماء الذين أتيحت لهم فرصة تعليم الأمراء المغول. ولم يقتصر اهتمام المولوي على العلوم الشرقية فحسب بل كان عالماً كبيراً ماهراً بالعلوم والرياضيات. وورث المنصب بعده المولوي أمجد علي الذي قام بتنظيم وتنسيق دورات وامتحانات العربية والفارسية خلال فترة رئاسته للقسم. علماً بأن القسم كان يتولى مسؤولية منح شهادات "المولوي" و"العالم" و"المنشي" و"الكامل" و"الفاضل" في بداية الأمر، ولكن حُمِلَت هذه المسؤولية حكومة أوترا براديش فيما بعد. وبعد حصول الهند على استقلالها عام 1947م، تم تأسيس لجنة عليا للغتين العربية والفارسية تحت رئاسة الشيخ أبي الكلام آزاد، وزير التعليم الهندي حينذاك، فجاء تعيين عدد من أساتذة هذا القسم بصفتهم أعضاء فيها، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على مدى كفاءة أساتذة هذا القسم وتفوقهم في ميادينهم.

أنجبت هذه الجامعة عدداً كبيراً من الشخصيات الفذة وأصحاب الإبداع والابتكار والأصالة العلمية، فمن تالاً لنجمه في العربية والفارسية أبرزهم المعلم عبد الحميد الفراهي

والبروفيسور عبد الستار الصديقي والبروفيسور محمد غيور زبيد أحمد والأستاذ محمد نعيم
الرحمن والبروفيسور محمد رفيق والبروفيسور محمد اجتباء الندوي والبروفيسور طفيل
أحمد المدني وغيرهم.

المصادر والمراجع

1. تذكره علماء مبارك پور للقاضي أطهر المباركپوري، دائره مليه مباركفور اعظم كره، الطبعة الأولى، سنة 1394هـ/1974م.
2. مختصر تاريخ اعظم گڑھ مسلم ايجو كيشن سوسائٹی اور شبلی نیشنل كالج اعظم گڑھ لعارف رفيع، مطبع الهدى پبلى كيشن، دريا گنج، دهلى، نومبر 2020م
3. بعض المنشورات على صفحات الشبكات المختلفة
4. مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي للدكتور زبير أحمد الفاروقي، دار الفاروقي، دهلي الجديدة، الطبعة الأولى، 1990م
5. مجلة أقلام الهند-مجلة إلكترونية فصلية محكمة، 3/4 (يوليو-سبتمبر) 2019،
<https://www.aqlamalhind.com/?cat=36>
6. <https://www.jagran.com/uttar-pradesh/azamgarh-doctor-massoud-becomes-the-new-principal-of-shibli-19365423.html>
7. <http://darululoom-deoband.com/arabic/>

الأستاذ فيضان الله الفاروقي ومساهمته في نشر الحديث النبوي بالإشارة إلى "منتخب أحاديث"

- د. عبيد الرحمن الطيب¹

كان الأستاذ الفاروقي رحمه الله تعالى (1952-2020م)² ممن وهبه الله ذكاءً حاداً وذاكرة قوية ومنحه حظاً كبيراً من العلوم الدينية من التفسير والحديث والفقه والتاريخ والسيرة ومن اللغات العربية والفارسية والأردية والإنكليزية وآدابها وله كانت نظرة عميقة في فروع هذه العلوم كذلك فإلى جانب التفسير كان له ضلع في علم القراءات السبع وفي الحديث وفن الرجال وفي الفقه. فكانت له دراسة واسعة للفقه الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي. كما كان يعرف جيداً علماء الهند وأدبائها وشعرائها للعربية والفارسية والأردية وكان يحفظ جزءاً كبيراً من أشعار العربية والفارسية والأردية ويقرض الشعر بالأردية. وفي الفصل حين يطرح سؤال أمامه ينشد كثيراً من الأشعار مستنداً بها ومن كل اللغات.

كان الأستاذ الفاروقي قد دعي لإلقاء سلسلة من محاضرات حول اللغة العربية في قسم اللغة العربية بجامعة راجوري بولاية جامو وكشمير في شهر أبريل عام 2006م فعلم الأستاذ الطلبة والأساتذة الشباب علم العروض أي القوافي والبحور والتقطيع مستنداً بالأشعار العربية والأردية.

وأذكر قصة له كشاهد عين تدل على نبوغه وعلو كعبه في العلوم الدينية: خلال إقامته فيها أجريت مقابلة شخصية لانتقاء مقررٍ وخطيب يؤم ويخطب يوم الجمعة في مسجد

¹ أستاذ مشارك بمركز الدراسات العربية والإفريقية في مدرسة اللغات بجامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي
² ولد الأستاذ الفاروقي ببلدة ماؤ بولاية أوتاربراديش الهند بتاريخ 5/يوليو عام 1952م وتوفي في مدينة دلهي الجديدة بتاريخ 22/يوليو عام 2020م

جامعة راجوري وكان هو الممتحن الخبير فلما جرت المقابلات بدأ يطرح الأسئلة حول علم القراءة والقراءات السبع وتاريخها ودقائقها. استغرب الناس من سعة علمه حيث قال عميد الشؤون الأكاديمية بجامعة راجوري آنذاك: رجل نحيف الجسم وصغير الرأس ولكن غزير العلم وقوي الذاكرة وحاضر البديهة".

كما كان يتقن اللغة الإنجليزية حيث كان له اليد الطولى في الأدب الإنجليزي ويتحدث بها ويكتب فيها ويترجم منها وإليها بمهارة فائقة. فقد كتب القواعد العربية في ثلاثة أجزاء باللغة الإنجليزية. وترجم الكتاب الضخم "منتخب أحاديث" من العربية إلى الإنجليزية بأسلوب شيق وبلغة سلسلة سهلة ممتعة. ويهدف منه إلى إيصال الأحاديث النبوية إلى قراء اللغة الإنجليزية الذين لا يعرفون العربية فيسهل لهم الاستفادة منها والعمل بها. وذلك مساهمة منه في نشر وترويح الأحاديث النبوية في الهند وخارجها. وهذا هو الكتاب الذي نحن بصدد دراسته.

خلفية عن الكتاب: الشيخ محمد إلياس رحمه الله من العلماء الربانيين أقام حركة دعوية في شبه القارة الهندية وقام بإصلاح المسلمين الديني والاجتماعي والآن يوجد أتباعه في كل أنحاء العالم.

ولد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي في سنة 1303هـ¹ وعاش أيام طفولته في قرية "كاندهلة" في مديرية "مظفر نكر" بولاية "أوتار براديش" بالهند وعند والده الشيخ محمد اسماعيل الذي كان يقيم في حي "بستي نظام الدين" بدلهي الجديدة. وينتهي نسب والده إلى سيدنا أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكانت أمه السيدة صفية حافظة للقرآن الكريم.

تعلم الشيخ محمد إلياس في الكتاب، وقرأ القرآن الكريم كعادة الأطفال في أسرته ثم حفظ القرآن في صباه. وأول ما درس الشيخ إلياس عند أخيه الشيخ محمد يحيى اللغة

¹ ملخص عن مقال الشيخ أبوالحسن علي الندوي بعنوان مجدد الدعوة العلامة محمد إلياس الكاندهلوي <https://www.madarisweb.com/ar/articles/343>

العربية، وكان يركز على اللغة والأدب والتضلع منها منذ البداية، ويبدل عناية خاصة بإتقان اللغة العربية، فيكون عنده النبوغ والاستعداد العلمي، وكان الشيخ محمد إلياس ما زال يتنقل بين كاندھلة ونظام الدين وكان إقباله على الدين والعبادة كبيراً جداً منذ طفولته، لذا توجه في رفقة أخيه إلى بلدة كنكوه وبدأ يتعلم في صحبة العالم الكبير الشيخ رشيد الكنكوهي رحمه الله. وظلّ يدرس هنا لمدة أكثر من عشر سنوات حتى توفي الشيخ رشيد رحمه الله في سنة 1363هـ. وفي هذه الأثناء ساءت صحة الشيخ محمد إلياس رحمه الله وأصيب بصداع شديد وأمراض أخرى قد أنهكت جسده وأضعفت قوته، إلى أن اضطر إلى ترك الدراسة ولكن بعد فترة وجيزة استأنف دراسته. وفي سنة 1326هـ ارتحل إلى مدينة ديوبند، وحضر دروس العلامة الشيخ محمود حسن، شيخ الحديث بدار العلوم ديوبند- في جامع الترمذي وصحيح البخاري، وبعد ذلك بأعوام أتم دراسة الحديث، وقرأ بقية الصحاح والكتب الأخرى للحديث على أخيه الشيخ محمد يحيى.

بعد وفاة الشيخ الكنكوهي اتصل بالشيخ خليل أحمد السهارنفوري صاحب "بذل الجهود في حل ألفاظ سنن أبي داود" وبإيعاده. وفي السادس من ذي القعدة سنة 1330هـ الموافق 17 من أكتوبر سنة 1912م تزوج من بنت الشيخ رؤوف الحسن في "كاندھلة".

يبعثه للجهاد: كانت عاطفة الجهاد مشتعلة في قلبه مما دفعه إلى أن يبيع الشيخ محمود حسن بيعة الجهاد.

بداية الحركة الدعوية: تطلق ميوات على منطقة واسعة تمتد في عدة ولايات هندية وهي هريانة وأوتار براديش وراجستھان ومادھيا براديش ولكنها الآن منطقة مكونة من البلدات والقرى الواقعة في ولاية هريانة المتأخمة على حدود دھلي. وأمة ميواو ميواتي هي نسبة إلى تلك المنطقة. وتتماز هذه الأمة بخصائص البساطة والعزم

والانفعالية والصلابة والأصالة. وأغلبية كبرى لهؤلاء مسلمون. ولكن كان الجهل والامية تنفش فيهم ولا يعرفون الدين إلا للاسم فقط ويفعلون كل شيء من السرقة والنهب والسلب وقطع الطريق وما إلى ذلك. وصح ما قال الشيخ أبو الحسن علي الندوي: "وكانت بلغت أمة ميو من الانحطاط الديني نهاية ليس بعدها إلا الردة القومية، وقد شعر المؤرخون من غير المسلمين أيضاً ببعد ميو عن الإسلام، حتى أصبحوا أشباه الهنادك في عاداتهم، وتقل المساجد في قراهم، ولديهم عادة استخدام المسكرات والمواد التي تبعث النشاط، وهم ضعيفوا الإيمان واليقين، وكانوا معروفين بسوقه الحيوانات والبهائم والثور والبقر".

انطلق الشيخ في شوال سنة 1344هـ لحج بيت الله الحرام في رفقة الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، ولما انتهى الحج، وقد شرح الله صدر الشيخ في تلك الزيارة المباركة لبدء عمل دعوي وحركة دينية شاملة، وعاد من المدينة المنورة بعدما أقام فيها خمسة أشهر.

بداية جولاته الدعوية: وبعد عودته من الحج بدأ يقوم بجولات دعوية في قرى وبلدات ميوات ويعلمهم الدين الحنيف. وينشئ الكتائب والمدارس ويعمر المساجد. وعمت الدعوة في الناس وأقبلوا عليها وانضم إليها العلماء والأساتذة وتحولت إلى حركة دعوية شاملة لإصلاح المسلمين وسميت بـ"تبليغي جماعت" باللغة المحلية الأردوية أي "جماعة التبليغ والدعوة". وهي تتخذ من حي "بستي نظام الدين" في دلهي مقراً لها. وتتلخص الدعوة في ستة أمور: الكلمة الطيبة: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلوة، والعلم والذكر، وإكرام المسلم، وإخلاص النية، والدعوة إلى الله.

كان الشيخ موضع احترام وتقدير بين العلماء والمشايخ، يحترمه الكبار ويجلونه رغم صغر سنه، وجدير بالذكر من علماء عصره الشيخ يحيى (أخوه الوسط) والشيخ عبدالرحيم الرائفوري، والشيخ المحدث الكبير خليل أحمد السهارنفوري، والشيخ أشرف على التهانوي والأستاذ بدر حسن رحمهم الله. وتوفي الشيخ رحمه الله تعالى

في دلهي في رجب عام 1363هـ.

تعزيراً لدعوة الشيخ محمد إلياس رحمه الله قام الشيخ محمد زكريا رحمه الله بإعداد كتاب حول الموضوعات التي تدور حولها هذه الدعوة الإصلاحية الدينية ألا وهي كلمة الشهادة، والصلوة، والعلم والذكر، واحترام المسلم وإكرامه، وإخلاص النية، والدعوة إلى الإسلام. فقد قام الشيخ زكريا بجمع وترتيب الآيات القرآنية والأحاديث والأخبار حول الموضوعات المذكورة وأصبح هذا الكتاب مرجعاً هاماً لهذه الحركة ودليلاً ومرشداً لأتباعها حيث بدأوا يقرأونه في اجتماعاتهم ومجالسهم وبيوتهم. واكتسب أهمية لدرجة كأنهم في غنى عن أي كتاب آخر. ونقد ذلك بعض العلماء نقداً لاذعاً. وقالوا إن هذا الكتاب يحتوي على مواد لا تستند إلى الأحاديث الصحيحة والأخبار الموثوق بها بل تعتمد على الضعيفة والأساطير والخرافات. ولعل هذا مما حثَّ الشيخ محمد يوسف ابن محمد إلياس الكاندهلوي على تأليفه حول نفس الموضوعات التي يدور حولها كتاب "فضائل أعمال". وذكر كل مرجع ومصدر لكل آية قرآنية وحديث نبوي ورواية وشرح وتعليق جنباً إلى جنب. وثبت البلوغرافيا في نهاية الكتاب. ويبدو أنه لا داعي لتعداد تلك المصادر والمراجع هنا ومن يرد ذلك يلق نظرة عليها. إلا أنه نظراً للحقيقة أن السبب الرئيسي لهذا التأليف هو الرد على النقد الموجه ضده وثانياً زرع اليقين في أذهان القراء أنه معتمد على الكتب الموثوق بها وأي شيء مهما كان لا قيمة له إذا لا تستند إلى مصادر ومراجع موثوق بها ولذا ثبت هنا أسماء تلك الكتب:

الاستيعاب لابن عبد البر، الإصابة للعسقلاني، البداية والنهاية لابن كثير، أنجح الحاجة للمجددي، الترغيب والترهيب للمنذري، الدرر المنتثرة في الأحاديث المنتشرة للسيوطي، الرائد لجبران مسعود، الروض الأنف للسيوطي، السنن الكبرى للبيهقي، الشذرة في الأحاديث المنتشرة لابن طولون، الشمائل المحمدية للترمذي، عارضة الأحوذى بشرح الإمام الترمذي، إلى العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي، عمل اليوم والليلة لابن السني، عمل اليوم والليلة للإمام النسائي، الفتح

الرباني للإمام أحمد، القواعد في علوم الحديث للشيخ ظفر أحمد العثماني، والكاشف للذهبي، الآلئ المصنوعة للسيوطي، المستدرك للحاكم، المصنف لعبد الرزاق، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للعسقلاني، المعجم الكبير للطبراني، المقاصد الحسنة للسخاوي، المنجد في اللغة للمعلوف، الموضوعات الكبرى لملا علي القاري، النهاية لابن الجوزي، الوابل الصائب لابن القيم الجوزية، بذل الجهود لخليل أحمد السهارنبوري، بيان القرآن للشيخ أشرف علي التهانوي، ذخيرة الحفاظ لمحمد بن طاهر، فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني، فيض القادر شرح جمائل الصغير للمناوي، غريب الحديث لابن الجوزي، حلية الأولياء لابن النعم، إتحاف السادة لمحمد ابن محمد الزبيدي، إرشاد الساري لشرح البخاري للعسقلاني، إقامة الحجة لعبد الحي، جامع الأحاديث للسيوطي، جامع الأصول لابن أثير الجزري، الجامع الصغير للسيوطي، جامع العلوم والحكم لابن الفرج، كشف الخفاء لأجلوني، كشف الرحمن للشيخ أحمد سعيد الدهلوي، كتاب الموضوعات لابن الجوزي، لسان العرب بجمال الدين، لسان الميزان في أسماء الرجال لابن حجر، مجمع بحار الأنوار للشيخ محمد طاهر، مجمع البحرين في زوائد المعجمين للهيتمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي، مختار الصحاح لأبي بكر الرازي، مختار سنن أبي داود للمندري، مرقاة المفاتيح لملا علي القارئ، مسند أبي يعلى للهوصلي، مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام أحمد، المسند الجامع لجماعة من العلماء، مسند الشافعي للإمام الشافعي، مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي، مصابيح السنة للبغوي، مصباح الزجاجة لأبي بكر الكاظمي، مصنف ابن أبي شيبة، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للعسقلاني، مظاهر حق، معارف الحديث للشيخ محمد منظور النعماني، معارف السنة للشيخ البنوري، معجم البلدان لعبد الله البغدادي، المعجم الوسيط لجماعة المتقدمين، مفتاح كنوز السنة لمحمد فؤاد الباقي، المقاصد الحسنة للسخاوي، موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة لجماعة من العلماء، موسوعة الحديث الشريف للكتب الستة، مؤطا الإمام مالك، ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، عون المعبود لأبي طيب مع شرح ابن القيم، سنن الدارمي، شرح سنن

أبي داؤد للبغوي، شرح الطيبي على مشكوة المصابيح، سبل الإيمان للبيهقي، صحيح ابن حبان بتحقيق ابن بلبان، صحيح ابن الخزيمة، صحيح البخاري بشرح الكرمانلي، صحيح مسلم بشرح النووي، ترجمة لمحمد أحمد علي، ترجمان السنن للشيخ بدر عالم الميراثي، ترجمة شاه رفيع الدين، تفسير العثماني للشيخ شبير أحمد العثماني، تفسير القرآن العظيم لابن كثير، التفسير الكبير للإمام نغرا الدين الرازي، تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، تنزيه الشريعة المرفوعة للكانلي، تهذيب الأسماء واللغات للنووي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال للهي، وعمدة القارئ شرح البخاري للعلامة العيني.

ونظراً للمصادر والمراجع المذكورة أعلاه للكتاب يمكن لي القول إنه لم يترك صغيراً ولا كبيراً إلا واستفاد منه في تأليف هذا الكتاب وثبت كل مرجع ومصدر إلى جانب تلك الآيات والأحاديث والأخبار والتعليقات والشروح. وبعد قراءة هذا الكتاب توصلت إلى نتيجة أنّ محتوى الكتاب موثوق به.

موضوعات الكتاب: يتناول الكتاب- كما ذكر أعلاه- كلمة الشهادة، والصلوة، والعلم والذكر، واحترام المسلم وإكرامه، وإخلاص النية. هذه هي الموضوعات الرئيسة وتطرق إلى موضوعات فرعية كذلك فيمكن أن نعتبر الموضوعات الرئيسة أبواب الكتاب وما تحتها الفصول وعلى سبيل المثال قد نعنون بـ"باب الكلمة الطيبة" والفصول: الإيمان بالله، والإيمان بالغيب، والإيمان بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتحقيق مرضاة سبحانه وتعالى والفوز في الدنيا والآخرة وباب الصلوة، والفصول: الصلاة بالجماعة، والسنن والنوافل، والخشوع والخضوع في الصلاة، فضائل الوضوء، فضائل المسجد وباب العلم والذكر، والفصول: فضائل ذكر الله سبحانه وتعالى، الأذكار والأدعية المأثورة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وباب إكرام المسلم، والفصول: مكانة المسلم، والأخلاق الحسنة، وحقوق المسلمين، وصلة الرحم، وإيذاء المسلمين، وفرض خلافات المسلمين، ودعم المسلم المالي، وباب إخلاص النية، والفصول: العمل إيماناً بأن وعد الله حق وسيجزى العامل بمثوبة من عند الله، والمראה، وباب الدعوة والتبليغ، والفصول:

الدعوة وفضائلها، وفضائل الخروج في سبيل الله، والآداب والأعمال للخروج في سبيل الله، وتجنب ما لا يعنيه، فالأبواب بالجملة ستة.

ويبدو جلياً من خلال دراسة الكتاب أنّ أنواع الأحاديث من حيث الموضوع تتعلق بالحياة العملية وتحت القارئ على التمسك بالأسوة النبوية والشريعة الإسلامية فهي تتعلق بالإيمان بالله ويوم الآخرة والرسول وتؤكد على أنّ الشهادة ليست بمجرد القول باللسان بل هو الإقرار بالقلب والعمل بالجوارح والكلمة الطيبة فضائل كثيرة ورد ذكرها في القرآن الكريم والأحاديث النبوية وعلى سبيل المثال ثبت المؤلف الآيات مثل "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"¹ كما ذكر الأحاديث الواردة في هذا الصدد وعلى سبيل المثال "عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك دخل الجنة..."² وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثلاث من كن فيه نشر الله عليه كنفه وأدخله الجنة، رفق بالضعيف، والشفقة على الوالدين والإحسان إلى المملوك"³ كما ذكر أحاديث كثيرة عن حقوق الله والرسول على العباد وحقوق العباد على العباد وبهذا المعنى ما ورد أنه لا يجوز لمسلم أن يكون شعبان وجاره جوعان. ويحتوي على أحاديث أخرى تحرض المسلم على أن يخرج في سبيل الله ويدعو الناس إلى الله سبحانه وتعالى. وهكذا اكتساب العلم والذكر.

الأسلوب: لا شك في أنّ المصادر والمراجع لهذا الكتاب هي أولاً وقبل أيّ مصدر كتاب الله العزيز فيثبت صاحب الكتاب أولاً الآيات القرآنية حسب الأبواب

¹ سورة الأنفال: 2

² الصحيح للبخاري باب الثياب البيض، الرقم: 5827، وفي الكتاب "منتخب أحاديث" للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (الترجمة الإنكليزية) ص 1 و 5

³ جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرقم: 2682، www.sunnah.com وفي الكتاب "منتخب أحاديث" الترمذي رقم الحديث 2494 وقال هذا حديث حسن غريب ص 428

والفصول ثم يذكر الأحاديث النبوية ذات الصلة بالموضوع وليس من الضروري أن يكون هذا الحديث حسب ترتيب كتب الأحاديث الصحيحة بل ما يرى مناسباً تحت ذاك العنوان. فإنه أحياناً يذكر حديثاً من الصحيح لمسلم وأخرى للبخاري. وثبت هذه الكتب كلها في البيلوغرافيا في نهاية الكتاب ويبلغ عددها 96 كتاباً. فإنه ما سوى كتب الأحاديث استفاد من الكتب الأخرى مثل التاريخ والمغازي والسيرة وفن الرجال والشروح والقواميس وغيرها.

وأحياناً يأتي بملاحظة أو تعليق على بعض الأحاديث والأخبار لشرح المعنى وإيضاحه. لكي لا يلتبس المفهوم على عامة القارئ ولكن بصورة موجزة جداً وذلك إما نقلاً عن أحد المحدثين أو العلماء أو الفقهاء. وقلماً يأتي بشرح من نفسه. ولعله يريد بذلك أن يدرك القارئ أن عالماً جليلاً من علماء الإسلام أتى بذلك الشرح أو ذكر ذلك المعنى. ويكتب ذلك تحت عنوان جانبي "الملاحظة". ويثبت مرجع كل معلومة جنباً إلى جنب تلك الآية أو الرواية أو الخبر أو التعليق. وأذكر مثلاً واحداً هنا فني كتاب الصلاة في باب الخشوع والخضوع يثبت الآية القرآنية قال الله تعالى: "خَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ" (سورة البقرة: 238). وبعد ذكر بعض الآيات الأخرى بهذا المعنى يثبت الحديث النبوي عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله. (رواه مسلم، باب فضل الوضوء، 206/1) ثم يكتب الملاحظة نقلاً عن بيان القرآن: الخشوع في الصلوة هو أن تكون مخافة الله في قلبك والهدوء في أعضائك جسمك وكذلك أن تنظر إلى مكان السجدة حينما تكون قائماً وإلى أصابع الرجل عندما تكون في الركوع وإلى الأنف عندما تكون في السجدة وإلى الحوض عندما تكون في القعدة.¹

¹ منتخب أحاديث، ص 226-227

وفي بعض الأحيان يخشى أن يلتبس الأمر على القارئ العادي ويرى تناقضاً في حديثين وفي مثل هذه المواضع كتب المؤلف ملحوظة فور ذكر الأحاديث وهذا نافع جداً حيث أن القارئ لا يتعرض لسوء الفهم أو الإبهام والغموض في فهم تلك الأحاديث وإلا قد يظن أن هناك تناقضاً فيها. ونذكر على سبيل المثال حديثين فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها إلا أعطاه إياه وهي بعد العصر (رواه أحمد، الفتح الرباني، 13/6). وحديث آخر بهذا المعنى عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة. (رواه مسلم، باب في الساعة التي في يوم الجمعة، رقم: 1975)

الملحوظة: هناك أحاديث أخرى تبين التوقيت لاستجابة الأدعية يوم الجمعة. لذا ينبغي للمرء أن يهتم بالصلاة والدعاء ذلك اليوم. (النووي)¹

يبدو بادئ ذي بدء أن هناك تعارضاً بين الحديثين حيث يفيد أحدهما أن وقت الاستجابة هو بعد صلاة العصر والثاني بأن وقت الاستجابة هو بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة. فكيف التطبيق؟ وفي هذا الصدد ذكر المؤلف شرح النووي أن هناك أحاديث أخرى بهذا المعنى والمقصود الاهتمام بذلك اليوم بالصلاة والدعاء. فيوم الجمعة كله مستجاب. ففي أي وقت من أوقات يوم الجمعة وفي أي مكان في العالم يدعو الله سبحانه يستجيب له إن شاء الله.

وأحياناً لا يذكر المؤلف الحديث كاملاً بل يذكر الأجزاء التي لها صلة بالموضوع في ذلك المقام. ويشير إلى ذلك أنه ليس بحديث كامل وعلى سبيل المثال يثبت الحديث "عن حذيفة وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (في حديث طويل)"² هذا شيء جميل.

¹ المصدر نفسه، ص 184

² المصدر نفسه، ص 99

استغربت من بعض الأحاديث وعلى سبيل المثال وفي حديث رواه البخاري أنه من قال لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله دخل الجنة وإن زنى وسرق. فاستغربت من هذه الرواية وبدأت أفكر في هذا الأمر أنه كيف يمكن أن يرتكب أحد بمثل هذه الآثام ويدخل الجنة بمجرد تفوه كلمة لا إله. ولما جمعت الأحاديث الأخرى بهذا المعنى توصلت إلى النتيجة أنه لا يمكن أن يأتي بهذه الأعمال من يؤمن بكلمة لا إله وثانياً إذا ارتكب أحد بهذه الآثام فإنه يدخل النار أولاً معاقبة له ثم يخرج منها بفضل هذه الكلمة. والله أعلم بالصواب.

الترجمة: قام الأستاذ الفاروقي بترجمة معظم الآيات القرآنية بنفسه وفي بعض الأماكن نقل ترجمة عبد الله يوسف وبكتال وغيرهما. وبالنسبة لترجمة الأحاديث والروايات والتعليقات فقد ترجمها بنفسه ولم ينقل من أي كتاب أو شخص. وهي في الحقيقة أصل موضوع دراستنا إذ الآيات القرآنية قليلة جداً والأحاديث والروايات والتعليقات هي الجزء الأكبر والأغلب من هذا الكتاب.

اختار الأستاذ الفاروقي أسلوباً رائعاً في الترجمة حيث أنه حاول أن يترجم بلغة سهلة ممتعة ليتمكن كل قارئ سواء كان عالماً كبيراً أو رجلاً عادياً من الاستفادة منها. وفي هذا الصدد ثبت هنا بعض القطع من الترجمة التي تتم عن لغته السلسة الجميلة. فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: دَلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتَهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وُلَّى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا. (رواه البخاري، باب وجوب الزكاة، رقم: 1397) When he turned back, the Prophet (SAW) said: One who wants to see the inhabitants of Jannah, should see this man.¹

¹ المصدر نفسه، ص 115

ومثال آخر عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا اتخذ الفبيء دولاً... وكان زعيم القوم أرذلهم..... رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، رقم: 2211) The leader of the nation would be the lowest of them by cast?

ويتميز أسلوبه في الترجمة حيث أنه يضيف أحياناً إلى الترجمة كلمة أو بضع كلمات بين القوسين لتوضيح المعنى بالإنكليزية وإلا قد يخطئ القارئ في فهم المعنى الصحيح والمنشود الحقيقي وعلى سبيل المثال: عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان. (رواه البخاري، باب دعاؤكم إيمانكم ... رقم: 8)²

Abdullah s/o Umar (RZA) narrates that the Prophet (SAW) said: The Islam has been founded on five (pillars): To witness that there is no god but Allah and that Muhammad (SAW) is the Prophet of Allah: (second) To establish the Salat. (third) To depart the Zakat (a prescribed amount of total wealth) (fourth) Pilgrimage (Haj if due). (fifth) To hold fast the (whole) month of Ramadan.

وهنا أضاف الأستاذ بين القوسين عدة كلمات خمس (أعمدة)، إيتاء الزكاة (مبلغاً محدداً من الثروة الإجمالية)، الحج (إذا لم يقم به من ذي قبل)، صوم شهر رمضان (كاملاً). وهذا مثال واحد فحسب وإلا هناك كثير مما يوضح المعنى المقصود ويشرح صدر القارئ ويطمئن قلبه. لو قام به المترجم بترجمة حرفية لكان من الممكن أن يجد المرء فجوة ونقصاً في المعنى. علماً أنّ هذا الكتاب يتكون من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وليس

¹ المصدر نفسه، ص 122-123

² المصدر نفسه، ص 33

بكتاب يشرح العقائد والأعمال على ضوء القرآن والسنة فهي مختارات من النصوص. ولم يأت صاحب الكتاب بشرح أو تعليق إلا قليلاً جداً وفي عدة أسطر.

اختلاف الترجمة من مترجم لآخر: الترجمة مهمة شاقة تحتاج إلى مهارة باللغة فيها وتحتم على المترجم إجادة اللغتين اللغة الأم واللغة المترجم إليها. ولكل مترجم نصيب من اللغة والثقافة والترجمة. فمن البديهي أن تختلف ترجمة شخص من آخر. ومن هذه الناحية قد يخالف أحد ترجمة الفاروقي وهذا ليس بشيء غريب بل طبيعي لا بد منه. وأذكر ترجمة قطعة من الحديث النبوي وأنا لا اتفق مع أستاذي الكريم فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: ما ظهر الغلول في قوم قط إلا ألقى في قلوبهم الرعب ولا فشى الزنا في قوم قط إلا كثروا فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشى فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد إلا سلط عليهم العدو. (رواه الإمام مالك في المؤطا، باب ما جاء في الغلول Abdullah s/o Abbas (RZA) , The enemy would be appointed on them. (as a result) وقد ترجم في موسوعة السنة بالانجليزية: A people do not betray the pledge but that Allah gives their enemies power over them.² أحسن مما قام به الأستاذ الفاروقي.

ترجمة كلمتي إقامة الصلوة وإيتاء الزكاة يختلف مشتقاتها: نرى أن الأستاذ الفاروقي قام بترجمة إقامة الصلوة وإيتاء الزكاة بالإنجليزية إقامة الصلوة to establish Salat وإيتاء الزكاة Zakat. to depart ولكن لم أكن مطمئناً فراجعت القواميس الإنجليزية وكذلك ترجمة القرآن الكريم التي قام بها الأستاذ عبد الله يوسف ونشرها

¹ المصدر نفسه، ص 123-124

² www.sunnah.com USC-MSA web (English) reference: Book 21, Hadith 26, Arabic Reference: Book 21, Hadith 987

يجمع الملك فهد بالمملكة العربية السعودية. وقام باختيار هذه الترجمة وإعادة النظر فيها الهيئة العليا التي أنشئت لهذا الغرض النبيل باسم الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. ولما قارنت بين ترجمة الأستاذ الفاروقي وترجمة الأستاذ عبد الله يوسف، وجدت أن الأستاذ الفاروقي قام بترجمة كلمة إقامة الصلوة بـ to depart Zakat واستخدم عبد الله يوسف كلمة Zakat للزكاة في جميع الأماكن. و Prayer للصلوة في جميع الأماكن ولكن ترجم كلمة إقامة مرة be steadfast in prayer وأخرى establish Prayer ولكن الأستاذ الفاروقي ترجم كلمة إقامة الصلوة بـ establish Salat في جميع الأماكن في كتابه. وأما كلمة إيتاء الزكاة فقد قام الأستاذ عبد الله يوسف بترجمتها بكلمتين، مرة استخدم to pay وأخرى to give ولكن الأستاذ الفاروقي ترجم كلمة إيتاء بـ to depart فأما ما نجد من فروق بسيطة في ترجمة الأستاذ عبد الله يوسف لكلمة واحدة فأولاً أنها لا تغير المعنى وثانياً أنه يراعى في ذلك سياق الكلام والمشتقات للإقامة مثل أقيموا وقيمون وغيرهما. وأرى ترجمة عبد الله يوسف أقرب إلى الصواب. أما الأستاذ الفاروقي فاعتبر كلمة الصلوة مصطلحاً دينياً استخدم في القرآن الكريم والحديث النبوي والشرعية الإسلامية. ولا حرج فيه. ولكن ترجمة كلمة إيتاء الزكاة بـ to depart فكلمة إنجليزية depart لا تؤدي المعنى المنشود ولا القواميس الإنجليزية توافق على ذلك. ففي القاموس الإنجليزي (أوكسفورد) To depart meaning: to leave , especially in order to start a journey, go, go away, go off, take one's leave, take oneself off.¹ وفي قاموس المعاني عربي-إنكليزي إيتاء معناه: granting; issuing; presenting; donating; endowing; giving; according; awarding;² وعلى سبيل المثال يترجم الأستاذ عبد الله يوسف "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ

¹ قاموس أوكسفورد أون لائن

² قاموس المعاني عربي-عربي أون لائن [/https://www.almaany.com](https://www.almaany.com)

And be steadfast in prayer: Give Zakat...¹ (سورة البقرة: 43) الْرَّكَّعِينَ" وفي مكان آخر يترجم "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" (سورة المائدة: 55) (Your (real) friends are (No less than) Allah, His Messenger, and the Believers, those who establish regular prayers and pay Zakat...)²

وهكذا في الأماكن التي وردت فيها كلمات إقامة الصلوة وإيتاء الزكاة ترجم الأستاذ عبد الله يوسف مرة to give وأخرى to pay وليس هناك فرق في المعنى بين الكلمتين.

ونفس الشيء ينطبق على ترجمة الأحاديث النبوية فقد يختلف عالمان في ترجمة كلمة أو جملة. وعلى سبيل المثال يترجم الرواية التي ذكرت في الصحيح للبخاري عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ... (رواه البخاري، باب الثياب البيض رقم: 5827) (Abudhar (RZA) narrates that the Prophet (SAW) said: One who uttered (in sincerity) the Kalimah لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ and died having faith therein , "certainly he would enter Jannah...")³

قال: uttered وترجم الآخرون said, spoken. وترجم الآخرون:

(Abu Dharr reported that the Prophet said: "If any one says there is no god but God and dies in that belief, he will enter paradise) (Mishkatul Masabeeh, Book 1, Hadith 24) ⁴

¹ ترجمة القرآن الكريم بالإنجليزية للأستاذ عبد الله يوسف، مجمع خادَم الحرمين الشريفين الملك فهد، المملكة العربية السعودية، ص 19

² المصدر نفسه، ص 303

³ منتخب أحاديث، للشيخ يوسف كندهلوي، الترجمة الإنكليزية للأستاذ الفاروقي، ص 5

⁴ Sunnah.com

الملاحظات والحواشي: كتب صاحب الكتاب وكذلك المترجم ملحوظات أو تعليقات على بعض الأحاديث لتوضيح معناها وشرحها لكيلا يلتبس الأمر على عامة القارئ مما زاد الكتاب قيمة ومعنى. وهذه الملحوظات أحياناً كتبها صاحب الكتاب بنفسه وأخرى استناداً إلى أقوال العلماء. وأما تعليقات المترجم فقد ثبتها في الحواشي وهي ليست بكثيرة بل قليلة ولكن ذات قيمة بالغة.

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقَّ مَوْلَاهُ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمَّةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْذِيهَا وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا لَهُ أَجْرَانِ (رواه البخاري، باب تعليم الرجل أمته وأهله، رقم: 97)

ويكتب صاحب الكتاب الملاحظة على هذا الحديث: "يؤكد الحديث على أنّ الأشخاص الذين جاء ذكرهم في الحديث أعلاه سيمنحون أجوراً مزدوجة/ جوائز مضاعفة وعلى سبيل المثال إذا يؤدي رجل الصلوة فإنه يمنح أجره عشر مرات بينما هؤلاء يمنحون عشرين مرة".¹

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَقْتُلُ نَفْساً لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ خَفِيفُ الظَّهْرِ (رواه الطبراني في الكبير وفي إسناده ابن لهيعة، مجمع الزوائد، 167/1، ابن لهيعة صدوق: تقريب التهذيب) وفي الحاشية يكتب المترجم: "أنه في الحديث لم يذكر اسم "عبد الله" بل ابن عباس. فيجب الملاحظة أنه في أيّ مكان يذكر ابن عباس فحسب فالمراد به حتماً عبد الله بن عباس".² مثل هذه الحواشي والشروح تحمل في ثناياها فوائد جمّة خاصة في اللغات الأخرى مثل الإنجليزية والأردية وغيرهما إذ إن هذا الأسلوب ينحصر العربية دون اللغات الأخرى ولذا ترجم

¹ منتخب أحاديث، ص 16-17

² المصدر نفسه، ص 33

ابن عباس بالإنجليزية (RZA) Abdullah s/o Abbas.

وكتب الأستاذ الفاروقي في الحاشية لهذا الحديث: عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلّمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل، زاد جنادة: من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء. (رواه البخاري، باب قوله تعالى يا أهل الكتاب... رقم 3435) والحاشية: "كلمته" هنا عبارة عن كلمة "كن" التي تعني أن الله سبحانه وتعالى تلفظ كلمة "كُنْ" أي أَمَرَ وبهذه الكلمة جاء عيسى إلى حيز الوجود حيث ولدته أمه مريم عليها السلام. والنفس التي يستخدم لها القرآن الكريم كلمة روح تفسر بأن الله أمر الملك. (الفاروقي) الحاشية (ص:101) وفي الحقيقة هذه الحاشية جعلت المعنى واضحاً جلياً لم يترك أي غموض للقارئ.

الكامل لله سبحانه وتعالى والإنسان مركب من النقص والخطأ والنسيان. ويبدو من قراءة الكتاب أنّ هناك أخطاء مطبعية في بعض المواضع إما أنه لم ينتبه لها أو لم يجد فرصة لتصحيحها. وأذكر على سبيل الذكر فقد ترجم هذا الحديث الذي رواه أبو أمامة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أقبل من خيبر ومعه غلامان فقال علي يا رسول الله! أخدمنا. قال: خذ أيهما شئت، قال خذ لي قال: خذ هذا ولا تضربه، فإني قد رأيته يصلي مقفلنا من خيبر، وإني قد نهيت عن ضرب أهل الصلاة. (وهو من بعض الحديث) (رواه أحمد، مجمع الزوائد 4/433) I have instructed not to beat those who are regular in Salat. وبوجهة نظري الصحيح هو I have been instructed. ويرجى أن تصحح مثل هذه الأخطاء في الطبعة الثانية.

وأحياناً تكون الترجمة حرفية وأذكر مثلاً واحداً لذلك. فعن حذيفة وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (في حديث طويل) قال قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء... يترجم May

may father and mother be used as ransom for you... هنا يبدو أن المترجم قام بترجمة حرفية للكلمة وبالإنجليزية لا تؤدي المعنى المطلوب ولعل الأحسن في هذه الحالات أن نأخذ في الحسبان الحضارة التي يترجم إليها النص والمقصود هنا أن السائل أو الصحابي يعرب عن بالغ الطاعة والولاء للرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهذا المعنى لا يبادر إلى ذهن القارئ الإنجليزي إذا قرأ الترجمة. والأحسن أن نترجم بهذه الكلمات: my mother and father and myself all are for you. All are at your disposal, all are in your service.

وفي نهاية المطاف يمكن القول إن هذا الكتاب يكتسب أهمية بالغة في الوقت الحاضر حيث تعم اللغة الإنجليزية عبر العالم وقراءها يزدادون يوماً فيوماً فيجب توفير المواد الدينية والتعاليم الإسلامية السمحة في مختلف اللغات وخاصة الإنجليزية إذ هي أكثر شيوعاً وانتشاراً. وقام الأستاذ الفاروقي بترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية بنجاح باهر ويعم نفعها في الوري ويعتبر مساهمة قيمة منه في باب نشر الأحاديث النبوية في العالم ويرجى أن يكون صدقة جارية في حقه إن شاء الله تعالى.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم (الترجمة الإنجليزية: عبد الله يوسف) مجمع خدام الحرمين الشريفين الملك فهد في المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية، د.ت.
2. السنة نت www.sunnah.com
3. قاموس المعاني عربي-عربي www.almaany.com
4. قاموس أوكسفورد إنجليزي-إنجليزي أون لائن.
5. الكاندهلوي، محمد يوسف،: منتخب أحاديث (أحاديث نبوية مختارة) (الترجمة الإنجليزية: فيضان الله الفاروقي)، إسلامك بوك سروس، نيودلهي، 2002م.
6. الكاندهلوي، محمد يوسف،: منتخب أحاديث (الترجمة الأردية: الشيخ محمد سعد)، مكتبة فيض عام، حي نظام الدين أولياء، نيودلهي، 2000م.
7. الندوي، الشيخ أبو الحسن علي،: مجدد الدعوة العلامة محمد إلياس الكاندهلوي <https://www.madarisweb.com/ar/articles/343>

قراءة في كتاب:

"لكتاؤ مركزا للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر الميلادي"
(للبروفيسور فيضان الله الفاروقي، ترجمة ومراجعة: الدكتور أورنك زيب الأعظمي)

- د. محمد البويسفي¹

يسعدني أن أتناول قراءة وتعريفاً كتاباً مهماً وكراماً لأستاذ كبير فارقنا في صيف السنة الماضية بسبب وباء الكورونا، رحمه الله تعالى، وبأرك في عمرٍ وعملٍ من بقي بعده حاملاً لواء العلم والإصلاح، وأقصد هنا مترجم الكتاب الدكتور المقتدر أورنك زيب الأعظمي الذي دلني على الكتاب واقترح علي القيام بقراءة فيه، للإفادة منه والتعريف به.

والكتاب الذي بين أيدينا اليوم يرصد الأنشطة الثقافية والعلمية لحاضرة ثقافية ومركز إشعاع علمي كبير في بلاد الهند على مرّ العصور الإسلامية حتى القرن التاسع عشر الميلادي، ألا وهي مدينة لكتاؤ، التي تميزت بثرائها وإشعاعها الثقافي والعلمي العربي والإسلامي، على البلاد الهندية، وتعدّ إشعاعها إلى العالم العربي والإسلامي.

ومثل هذا العمل يسلط الضوء في العادة على المدن والحواضر الإسلامية التي عرفت ازدهاراً كبيراً في العصور الماضية، ويعرّف بأهمّ العلماء والأدباء والمفكرين الذين تركوا أثرهم في المنطقة، وأهمّ المدارس والمعاهد العلمية التي كانت ذات إشعاع علمي كبير، ويهدف إلى حفظ الذاكرة الثقافية للأمة بشعوبها المتنوعة، ويرسخ هويتها ويحفظ تراثها، ويربط حاضرها بماضيها. خاصة وأنّ بعض الحواضر العلمية قد

¹ جامعة القاضي عياض، المغرب

تهدّمت ومُسحت، أو نُقلت من مكانها الأصلي، لكن ذكرها وآثارها باقية، وفي مثل هذا العمل عناية بالتراث الثقافي للأمة وردّ لبعض دَين الأسلاف الذين أفنوا أعمارهم في خدمة العلم والدين، حتى يصل إلى الأجيال اللاحقة.

فاستحقّ كتابٌ من هذا النوع أن يُخصّص له قراءة وصفية تعريفية بالدرجة الأولى، خاصة بعد ترجمته إلى اللغة العربية على يد الدكتور المتألق الأستاذ أورنك زيب الأعظمي، الذي عودنا دائماً على النشاط والحيوية والجديد، سواء في التأليف أو الترجمة، أو المحاضرات، وهو صاحب الفضل الكبير في خدمة العلوم الإسلامية والعربية في البلاد الهندية، والذي يقوم بالوصل بين العالمين العربي والهندي في المجال الثقافي والعلمي، خاصة عند الأخذ بعين الاعتبار وحدة الدين والعقيدة التي تجمعهم. والدكتور أورنك زيب ينتقي دوماً ما يفيد القارئ العربي من المؤلفات الهندية الإسلامية، كالنحلة التي ترعى مختلف الأزهار لتنتج عسلاً حلواً مذاقه، صائغٌ شرابه، وفيه شفاء للقلوب والعقول.

والذي يبدو أنّ ترجمة هذا الكتاب جاءت بناء على أمر صاحب الكتاب المترجم، الذي أبدى رغبته في ترجمة الكتاب إلى اللغتين العربية والأردوية، وميزة هذه الترجمة أنها أضافت مراجعة وزيادة وتقويم ما وقع في الطبعة الإنجليزية، وقد تم ذلك بمساعدة ومباركة المؤلف نفسه الذي أبدى رغبته في ترجمة كتابه للعربية حتى تعم فائدته للناطقين بالعربية.

أما جانب التنسيق فقد تكلف به الأستاذ محمد معتصم الأعظمي، وقد صدر الكتاب عن مؤسسة بوابة البحث والتحقيق، الكاتبة بحيدر آباد، بمنطقة السند، في دولة باكستان، أما سنة الإصدار فهي 2016م، وهي مؤسسة ذات اهتمامات علمية تشجّع البحث والتحقيق في العلوم الاجتماعية عامة والعلوم الإسلامية خاصة.

أما كاتب الكتاب المدروس فهو الأستاذ الكبير فيضان الله الفاروقي من مواليد عام

1952م، بالعلم والتعليم، وكان من خيرة أساتذة اللغة العربية في الجامعات الهندية، وتقاعد عن العمل سنة 2017م من جامعة جواهر لال نهرو بنيو دلهي بعد أن تخرّج على يده جيلٌ من أساتذة العربية في الهند، تميز رحمه الله تعالى بالنظر النقدي الفاحص للنصوص الأدبية العربية، حتى وُصف أنه خبير في مجال النقد والشعر والأدب.

وقد عُرف بالورع والتقوى والزهد في الدنيا، وكان مربياً صالحاً، وفي آخر حياته تنرّغ لتعليم القرآن للأطفال بمنزله على نفقته الخاصة في كُتاب خاصّ به. توفي الأستاذ فيضان الله الفاروقي في صيف 2020م بفيروس الكورونا عن عمر ناهز 68 عاماً.

ابتدأ الكتاب بمقدمة للدكتور محمد خيرى بن محى الدين أكّد خلالها على كون لكاؤ مركزاً علمياً وحضارياً في القارة الهندية عبر العصور، وأنه شاهد على التطور العلمي والمعارف الإنسانية عبر التاريخ الهندي في منطقة القارة الهندية وخصوصاً لكاؤ، وكان له فضل في نشر العلوم والمعارف التي ذكرها البروفيسور فيضان الله الفاروقي، فإن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنّ لكاؤ ليست أرضاً ميتة ولكنها أرض منتجة وفيها وتفيض حياة بالعلم والعلماء والصالحين الذين قدّموا جهوداً وتضحية علمائها في تبليغ العلوم الإسلامية عبر الكتب العلمية الغزيرة. وبين أنّ إمكانية الاستفادة من هذا الكتاب أنّ العلم ذاته عرض شريف لمن يملكه. فشرف لكاؤ واضح في عزة علمائها وأخلاقهم الكريمة وتقاليدهم المأخوذة من الدين الإسلامي ذاته، كما أنّ إخلاصهم في العمل لوجه الله تعالى يدلّ على فهمهم العميق للإسلام.

وخصّص الباب الأول لتتبع أصل مدينة لكاؤ وتاريخها وتطوّرها، باعتبارها واحدة من المراكز العلمية العالمية في دراسة العربية وآدابها وما يتعلق بها وذكر كيف حصلت على اسمها الحالي وما هي الأوضاع التي تطوّرت فيها بذكر صفة التطور خلال عهود شتى الحكّام والملوك.

أما الباب الثاني فيعرّف بالإسلام والدراسات العربية والإسلامية في الهند عامة ولكاؤ

خاصة، إضافة إلى رصد مظاهر التطور في مختلف المجالات بدءاً بدخول الإسلام ومروراً على تأسيس الحكم الإسلامي في السند على يدي محمد بن القاسم في أواخر القرن الأول الهجري، وقد ذكر العلماء المسلمين في الهند من مختلف البلاد من القرن الثامن الميلادي إلى القرن التاسع عشر الميلادي، مع تميز كبير في بداية هذه المرحلة في السند قبل أن تتم بقية الفتوحات في الهند، ويبيّن حال تدريس العلوم الإسلامية في البلاد حين ورودها وخلال قيامهم فيها. وناقش قول من قال إن علماء الهند حينذاك كانوا غير مبالين بتدريس علوم الحديث وانشغالهم عنها بالعلوم العقلية، مبيناً أسباب ذلك خاصة وأن أغلب الفاتحين جاءوا من خراسان وتركستان وأفغانستان، فالإمام البخاري والإمام مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وغيرهم من العلماء الكبار كانوا أئمة في الحديث، كلهم كانوا في زمن ضعف الحكم العباسي المتزامن مع ضعف العلوم العربية والعلوم المنقولة لصالح العلوم العقلية مثل الفلسفة والمنطق، وبقي الحصول على العلوم الشرعية لمجرد نيل مناصب القضاء وغيرها من المكاسب المادية.

وقد تطرق إلى النظام الدراسي في المدارس وطبيعة الدراسات خلال تلك فترة ما قبل انتهاء القرن الثامن عشر الميلادي.

ووقف عند وضعية علم الحديث النبوي الشريف في الهند خلال هذه المدة وقال بأنه لم يلقَ الاهتمام الكافي، ولذلك عرف ضعفاً، بسبب انشغال الناس بالعلوم العقلية، وصعوبة الرحلة في طلب العلم من الهند إلى البلاد العربية، لذلك بقي مركز دلهي التعليمي منقطعاً من ينابيع هذا العلم الصافية. لكنه بعد أن عرض هذا القول ردّ عليه بكون علم الحديث خلال هذه الفترة كان قد اكتمل ونضج بعد اجتياز خدمة الحديث عن مرحلة التدوين والجمع والتصنيف ودخلت مرحلة الانتقاد والشرح والاستنباط فلن يرجي من العلماء الهنود في ذلك العصر خدمة الحديث مثل البخاري وغيره فقدموا ما استطاعوا طبقاً لمتطلبات عصرهم، أما كون الحديث لقي التفاتاً

أقلّ من الفقه وأصول الفقه ولكن تهمة عدم الرعاية والاهتمام الكافي فغير صحيحة. وقد تضمن هذا الباب بصفة عامة وصفاً موجزاً لحال الدراسات الإسلامية في كافة أنحاء البلاد الهندية ولاسيما في لكتاؤ حاضرة العلم والعلماء.

وفي الباب الثالث الذي خصّص لتسليط الضوء على وضع الدراسات العربية والإسلامية في لكتاؤ خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ومساهمات العلماء الهنود في الحياة العلمية والتعليمية، وساهم في ذلك حكام الهند الذين كانوا مولعين بالعلوم والآداب والفنون في ذلك الوقت وفيه تفصيل عن تطور الدراسات الإسلامية ومساهمة كبار العلماء وأثرهم في الحياة، واستمر الأمر حتى دخول الاحتلال البريطاني إلى حدود حرب الاستقلال سنة 1857م، وما خلفته من آثار سلبية كبيرة.

ومن أبرز العلماء في هذا العصر: العالم الشيعي السيد دلدار علي غفران مآب. وبفضل هذا الرجل أصبحت لكتاؤ مركزاً للدراسات الشيعية، وقد ساعد في ذلك كون حكام لكتاؤ من أهل التشيع فقد قام غفران مآب بوضع حجر أساس قوي لنشر مذهبه هو وأولاده من خلفه. ومن مؤلفاته: مرآة العقول المعنون بـ "عماد الإسلام" كتاب بالعربية في خمسة مجلدات. وكتاب "أساس الأصول" بالعربية أيضاً في أصول الشريعة الإسلامية، وقد ألفه على وفق مذهب التشيع. ثم كتاب بالعربية: "الشهاب الثاقب في بيان مذاهب الصوفية"، ثم كتب أخرى باللغة الفارسية.

ثم العلامة أنوار الحق وقد كان صوفياً من شيوخ الطريقة القادرية. ومن مشايخ الطرق الصوفية نجد الشيخ حسن بن إبراهيم وهو أشهر الشيوخ في الطريقة الجشتية، حيث كان مرشداً روحياً كبيراً في عصره، اهتم بتدريس كتاب محيي الدين بن عربي: "الفتوحات المكية". ثم الشيخ عبد الأعلى الذي ترك مجموعة من الكتب من بينها: شرح الفقه الأكبر، والرسالة القطبية، وشرح المناقب، والسيد مهدي بن غفران مآب، وميرزا نجر الدين..

وفي عهد الملك نصير الدين خان (1827-1837م) بلغت لكتاؤ أوجها في الازدهار، حيث كانت الدراسات الإسلامية على أحسن ما يرام، فنشطت حلقات الدروس والكتابة والتأليف، فلم تكن هناك مدرسة خاصة تعتبر مركزاً لتعليم العلوم وذلك أنّ العلماء اعتادوا على التدريس حسب ظروفهم، فكان لكل عالم معهداً مستقلاً أو متخصص في فن من الفنون، ومن هؤلاء العلماء: أمين الله الذي أقام في لكتاؤ وانشغل بتدريس العلوم والكتابة والفتوى، ثم العالم صوفي عبد الرحمن بن محمد حسن، وهو من كبار الصوفية في عهده، ثم ميرزا كاظم علي الذي كان يدرس الفقه وأصوله والمواضيع الدينية الأخرى في لكتاؤ، ومحمد أشرف الذي كان يعدّ كتاباً ومرجعاً في تراجم علماء الهند للدراسات العربية والإسلامية.

أما في عهد أبي الفتح معين الدين محمد علي شاه، فكان لعلماء أهل التشيع وأهل السنة مذاهب خاصة بهم، ومن أهل السنة علماء فرنغي محل الذين تميزوا في المنطق والفلسفة والفقه، وقد أصبحت فرنغي محلّ قبلة البلاد في الجانب العلمي.

أما في عهد واجد علي شاه، فقد كان للمدرسة الملكية دور فعال في خدمة العلم، بجانب دور المساجد وأفنية دور النوايين والرؤساء ككتائب ومدارس.

أما الدراسات الإسلامية في مرحلة ما بعد حرب الاستقلال فقد استمرت بجانب باقي العلوم والفنون الأخرى، غير أنّ التميز العلمي الذي رأيته من قبل خفت بريقه وتراجع إلى الوراء، ومال العلماء إلى التقليد أكثر، فقلّ الإبداع والتجديد، واقتصروا عملهم على كتابة الحواشي والتعليقات على مؤلفات القدماء، وظهر الانهيار بالفكر الغربي، وانشغل الناس به دراسةً وتدرّساً وتأليفاً. حتى اعتبرت السياسة التعليمية البريطانية في الهند سماً بطيئاً لتطور المسلمين الديني والفكري، كما هو حال أفعال الدول الغربية المحتلة في باقي البلاد العربية والإسلامية، وهذا ما حدا بالمسلمين في الهند أن يؤسّسوا نظام تعليمهم الخاص بهم بعيداً عن النموذج البريطاني المغرض، فتم

تأسيس معاهد إسلامية كبرى مثل: دار العلوم بديوبند، وندوة العلماء بلكانؤ، وجامعة علي كره الإسلامية بعلي كره، والجامعة المليية الإسلامية بنيو دلهي. والغاية من ذلك كانت هي الاستقلال الثقافي عن البريطانيين والرجوع إلى الذات الإسلامية في العلم والثقافة والحضارة التي تؤهل البلاد للازدهار والرقى، بعد الانحطاط الذي سببه الاحتلال البريطاني في كلّ مناحي الحياة الثقافية والأدبية والاجتماعية. وقدم المؤلف فهرساً للأعمال التي برزت في لكانؤ عن الدراسات الإسلامية منذ 1856م مع سيرة موجزة للتعريف بأصحابها. من أمثال: الملا أبو الحسن محمد صالح بن محمد جامع، والسيد إبحاز حسين الكنتوري، والسيد أحمد علي المحمد آبادي، والسيد محمد إبراهيم بن محمد تقي، والسيد أبو الحسن بن نقي شاه الكشميري، وتراب علي بن شجاعت علي وهو من كبار علماء العلوم الإسلامية، وعبد الحلیم بن أمان الله، والسيد محمد بن السيد محمد سلطان العلماء الذي طار صيته خارج الهند إلى البلاد العربية، والمفتي يوسف بن أصغر...

وقد عدّ المؤلف أكثر من خمسين عالماً الذين تلاءؤوا في سماء لكانؤ خلال هذا القرن، وعزّف بأعمالهم العلمية والتعليمية، وتأثيرهم في البيئة العلمية الإسلامية، مما جعل لكانؤ حاضرة علمية متألفة.

أما الباب الرابع فيتضمن الآثار القيمة لعلماء لكانؤ في مجال الدراسات الإسلامية والعربية، وقدم بحثاً في تفاصيل الكتب في الدراسات الإسلامية، معتبراً أنّ عمله هذا بمثابة تمهيد ومادة أولية للباحثين من بعده الذين يريدون البحث والتفصيل عنهم في دراسة هذه الحقبة الزمنية، خاصة وأنه ذكر عدداً كبيراً من المخطوطات النادرة غير المتوفرة لدى المكتبات التي يغلب عليها الجانب التجاري في العادة.

وخصّص المؤلف القسم من هذا الباب لعلم التفسير، ذكر فيه أهم المؤلفات في علم التفسير خلال هذا العصر المدروس، سواء باللغة الفارسية أو الأردوية أو العربية.

وخصّص القسمين الثاني والثالث للكتب الحديثية سواء ما تعلم بالحديث النبوي الشريف أو بأصول علم الحديث. بينّ خلاله مساهمة لكتاؤ في تطور هذا العلم في هذه الفترة المحددة، وبما أنّ علماء فرنغي محل كانوا من أتباع المذهب الحنفي فقد انكبوا على دراسة الحديث وفقهه، وخدموه خدمة جليلة، ومن أشهر هؤلاء العلماء المحدثين عائلة الشاه ولي الله الدهلوي.

أما القسم الرابع فخصّصه لعلم الفقه، ومبيناً مساهمة لكتاؤ في خدمة الفقه الحنفي خاصة وأنّ للهند سمعة حسنة في خدمة المذهب الحنفي، وما ساعد على ازدهار الفقه هناك هو أنّ علماء فرنغي محل كانوا غير مقلدين، فكانوا يتجهون مباشرة إلى الأحاديث النبوية والاستنباط منها، دون الاكتفاء بأقوال العلماء الفقهاء. ومما يلاحظ أنّ تأثير المذهب الشيعي في لكتاؤ قد زاد خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، فكانت الأحكام تصدر وفق المذهب الشيعي.

ونبه المؤلف رحمه الله تعالى إلى أهمية هذه الأعمال الفقهية في هذه المرحلة وأنها تستحق البحث والدراسة، كمواضيع للدكتوراه.

وأما القسم الخامس فخصّصه لأصول الفقه، بينّ فيه مساهمة لكتاؤ في خدمة هذا العلم خاصة أنّ المؤلف لم يجد أيّ كتاب تم تأليفه في أصول الفقه قبل القرن التاسع عشر. أما القسم السادس فجعله خاصاً بعلم التصوف، وقد عرف هذا العلم تطوراً كبيراً في كلّ من الهند وإيران، وكان للمتصوفة جهد مشكور في نشر الإسلام في البلاد الهندية، وعرفت لكتاؤ نشاطاً صوفياً كبيراً قبل القرن التاسع عشر ثم استمر خلال هذا القرن، وهناك أعلام كبار في مجال التصوف تركوا آثاراً ملهوسة سواء في التربية أو التأليف.

أما القسم السابع ففيه رصد للكتابات الكلامية والعقدية، وقد تأثرت الهند بعقائد الفرق الإسلامية المختلفة خاصة فرقة الشيعة، ومعلوم أنّ لكتاؤ تحت أثر الحكم الشيعي خلال القرن التاسع عشر، فكان لعقيدتهم انتشار كبير بفضل تشجيع الحكام الشيعة

ورصدته جوائز ومحفزات كبيرة، وهذا ما ساند ودعم الكتابات والتأليف في المذهب الشيعي، ونشطت الردود والمناظرات الكلامية بين الشيعة والسنة. ويلاحظ المؤلف أنّ الردود على الشيعة كان أغلبها من علماء دلهي لأنّ لكتاؤ كانت تحت الحكم الشيعي خلال القرن التاسع عشر، وإذا كانت أغلب الردود بين المذاهب الإسلامية فإنّ الأعمال التي تناولت العقائد الأخرى كالنصرانية كانت حاضرة ولو بشكل أقل.

والقسم الثامن خُصص للنطق والفلسفة، فقد تمّ تأليف كتب عديدة في هذا العلم في بلاد الهند عامة ولكتاؤ خاصة، وهي تدخل ضمن العلوم العقلية التي ازدهرت هناك. وبعد هذا القسم جاء القسم التاسع وقد خُصص للمؤلفات في علم النحو والصرف، مع ذكر موجز للكتب المخصصة له.

وفي القسم العاشر المخصص للأدب العربي، ونظراً لبعده الهند عن العالم العربي وأنّ الأدب العربي لم يصل مباشرة إلى الهند إلا عن طريق البلاد الإيرانية، فإنّ الإنتاجات في هذا الفن كانت قليلة، باستثناء من رحل في طلب العلم والدراسة في البلاد العربية كالعراق، وغالب هؤلاء من الفرقة الشيعية.

أما القسم الحادي عشر فكان خاصاً لكتب التاريخ والتراجم، سواء تاريخ السياسة، أم ما يتعلق بحادثة كربلاء، أو الأعمال البيليوغرافية، أو في السيرة النبوية، أو تراجم العلماء والصوفية، ومن أحسن الأعمال في هذا الفن كان: "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" للسيد عبد الحيّ، ويحتوي على تراجم علماء الهند وصوفيتها من المسلمين حتى القرن الرابع عشر الهجري، ويقع الكتاب في ثمانية مجلدات.

وهناك كتب كثيرة أخرى أعرض عنها المؤلف رحمه الله تعالى مثل البلاغة والمعجم وعلم العروض والطب وغيرها، لكونها في نظره لا تتعلق بالدراسات الإسلامية إلا قليلاً.

وهذا الإنتاج الغزير في مختلف العلوم الإسلامية في حاضرة واحدة من حواضر الهند إنّ دلّ على شيء فإنما يدلّ على خصوبة البلاد الهندية، وثرائها وسخائها، فهي بلاد طيبة

وأهلها طيبون كرماء، أهل علم وفكر ونظر، وخاصة حاضرة لكّاؤ، هذا الإقليم الهندي المتميز في كل العصور، حتى قبل مجيء الإسلام، باعتبارها مكاناً مقدساً لدى الهندوس، وقد ادّعى بعض المؤرخين أنّ آدم عليه السلام نزل هناك، وأنّ ولده شيث عليه السلام أقام بها، ويشار إلى أنّ قبره موجود بين فيض آباد ولكّاؤ، لكن هذه دعوى بدون دليل. ومما ساعد لكّاؤ في تألقها العلمي والثقافي وجود مطابع كثيرة أنجرت التراث العلمي لعلماء لكّاؤ إلى الوجود ونشرته وعرّفت به، ومما يذكر أنّ أبناء لكّاؤ أبطال أبلوا البلاء الحسن في مقاومة الاحتلال البريطاني الغاشم خلال حرب الاستقلال. وفي نهاية القرن التاسع عشر برزت ندوة العلماء لتلاًّ وتفيض علماً وفكراً وتثير دروب السائر في طريق الحق، ولا زالت في تألقها وتميزها إلى يومنا هذا.

وقد تميز الكتاب الذي بين أيدينا بالدقة والأمانة العلمية والاستيعاب والشمول لمختلف العلوم والفنون الإسلامية، ولكل مظاهر الأنشطة العلمية في حاضرة لكّاؤ خلال العصر التاسع عشر الميلادي والعوامل المؤثرة الإنتاجات العلمية سلّياً وإيجاباً، خاصة وأنّ الكاتب حرص على بيان عصر كل حاكم من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية، وبيّن دور الاحتلال البريطاني في المنطقة وعلاقة الحكام به. ولأهمية المذهبية العقديّة للحاكم أو العالم، فقد حرص الكاتب على رصد عقيدة الحاكم وأثر هذه ذلك على ازدهار المؤلفات المذهبية الفقهية والعقدية. والتركيز كان على الدراسات الإسلامية بالدرجة الأولى، دون غيرها من الدراسات والتخصصات الأخرى، وهو ما ينسجم مع عنوان الكتاب الذي حدّده الكاتب منذ البداية.

وهو عصر عرف أحداثاً كبرى أثّرت على تاريخ الهند حتى عصرنا هذا، ومعلوم أنّ معرفة الحاضر مرهونة بمعرفة الماضي، والإحاطة بالماضي شرط في استشراف المستقبل.

وأدعو في الأخير القارئ العربي إلى قراءة هذا الكتاب والإفادة منه للوقوف على جانب من التراث العلمي الهندي في مجال الدراسات الإسلامية، خلال فترة زمنية

مهمة وهي القرن التاسع عشر الميلادي الذي عرف احتلال بريطانيا، وأثر في الواقع المعاصر للهند.

وإذا كان هذا الكتاب سلط الضوء على لكتاؤ باعتبارها حاضرة علمية، فهناك حواضر إسلامية كثيرة تحتاج إلى مَنْ يخدمها علمياً ويُعرف بها وبجهود رجالها في مجال العلم والتربية والتعليم، حتى يحصل تجسير ثقافي بين أقطار العالم الإسلامي.

كتاب "An Applied Grammar of Standard Arabic" (دراسة تحليلية)

- د. محمد فضل الله شريف¹

لا بد لأيّ لسان قواعد وأصول، وهي العمود الأساسي في توفير التعليم فيها، وتحتل مكانة سامية مرقومة في تنشئة الطالب وتربيته فيها، واللغات مختلفة عبر العالم، فمن بين هذه اللغات أقدم وأوسع لغة في العالم وهي اللغة العربية، قد مضت على عمرها قرون عديدة، ولكن القرآن والحديث الشريفين خلّدا هذه اللغة، وأصبحت هذه اللغة في الآونة الأخيرة اللغة المهمة ينطق بها قرابة 25 بلداً، وهي لغة اتصال بين البشر، ولغة المعرفة، وهي وسيلة للتفاهم، وهي عملية التفكير، ووعاء المعرفة والفكر.

ولقد ألّفت الكتب منذ أن أوجدت العربية لتعليمها وتدرّسها، ووضعت القواعد، ولكن الهدف بتعليم اللغة العربية، إحياء الفصحى ونشرها كما يقتضي الزمان، والحفاظ على هويتها، والتذوق بجملها والاستماع بأساليبها، وتراكيبها، لكي يسهل التواصل والتفاهم بين العرب وغير العرب. ورغم مؤلفات متنوعة في مجال قواعد اللغة العربية التطبيقية، فبقى الفجوة والتي لم تسد إلى حد الآن، وهناك حاجة ماسة إلى الكتب التي تدرس العربية مع الإحاطة بقواعدها، وتطبيقها بالأمثال، والتمارين والتدريبات.

إن الهند قد أنجبت شخصيات فذة قدّموا خدماتهم في نشر اللغة العربية، وآلّفوا وحرّروا الكتب في هذا الصدد، وهناك مؤلفات عديدة تدرس العربية، ولكن بين يديّ كتاب لفيضان الله الفاروقي باسم (القواعد التطبيقية للغة العربية السليمة، الجزء الأول) وهو كتاب جيد في هذا المجال، يتم حاجيات العصر.

¹ رئيس هيئة الدراسات العربية والشرقية بالجامعة العثمانية (حيدرآباد)

نبذة عن مؤلف الكتاب: إن أرض الهند أرض خصبة، ولدت شخصيات عبقرية، وبعضهم تفوق من لياقاتهم وقدراتهم العلمية وابتكاراتهم الحديثة، وإبداعاتهم القيمة، فالعدد كثير ممن لهم علاقة بالجامعات، وقد فاقوا أقرانهم بجهودهم القيمة، وما بذلوه من طاقات وخبرات في مجال توسيع اللغة العربية، وتعميمها بين الناس.

فمن هؤلاء الأشخاص الأفذاذ العملاقة، الذين لهم قدرة وبراعة في اللغة العربية بجانب اللغة الإنجليزية، وقدموا خدمات جسيمة، والتجارب الحديثة أمام الأساتذة والطلاب الجدد لكي يتقنوا اللغة العربية، الدكتور فيضان الله الفاروقي، هذه شخصية ذائعة الصيت، حظيت بالقبول التام، والشهرة الواسعة في الحلقات العلمية، وفي جامعات الهند وغيرها، وله طول باع في اللغة العربية، وأسلوب تدريسها، وطريقة تعليمها، مع تسهيل طرقها وتطبيقها للطلاب الجدد، وخاصة أنه قام بتدريس اللغة العربية الجديدة التي تتم بها متطلبات طلاب العصر الحديث.

كان الفاروقي من مواليد قرية كوريا بار بأعظم جراه (الهند)، وكان والده رجلاً متديناً علمه المبادئ من العلوم الإسلامية، ثم تلقى التعليم الابتدائي من الجامعة العربية الإسلامية دار العلوم في مدينة مئونات بنجن، حيث كان شقيق أمه حفيظ الرحمن الفاروقي الملقب بـ"أيمن" يعمل مدرساً، ثم التحق بمدرسة إحياء العلوم، وقضى سنتين كاملتين فيها، حفظ هداية النحو والكافية من البداية إلى النهاية، حتى الحاشية، وكان يتعجب منه أساتذته بذكائه المفرط، ثم قصد إلى دار العلوم بديوبند، وتخرج منها، واكتسب مزيداً من العلوم والفنون بجامعة غورخفور، ثم التحق بجامعة إله آباد، حيث أكمل الماجستير والدكتوراه، ونال هاتين الشهادتين من نفس الجامعة في عام 1984م.

بدأ مسيرته العلمية من دار العلوم في مئونات بنجن، حيث عمل أستاذاً لمدة غير طويلة، وبعد ذلك جاء تعيينه في مختلف الجامعات حتى انضم إلى جامعة جواهر لال نهرو كأستاذ مشارك، وقضى طيلة حياته في تلك الجامعة حتى أصبح رئيساً لمركز

الدراسات العربية والإفريقية ثم تقاعد عنه عام 2017م، وقد توفي عام 2020م في جائحة كورونا في مدينة دهلي.

وكان متأثراً بأستاذه الجليل سيد رفيق، وكان يعدّه من كبار الأساتذة، وهو الذي غرس فيه حبّ اللغة العربية، والشغف بها، بأنه يقول له: لو تحلم في اللغة العربية وتخيّل فيها معنى ذلك الآن عرفت اللغة وإلا فلا. ومن مقاله: بأن أدنى مهارة لغوية هي أن تستطيع السبّ والشتم في لغة وتعبر عن معنى الغضب عند الشدة.

مما يلاحظ أنه كان أكاديمياً مرموقاً في مجال تخصصه، وهو الأدب العربي الكلاسيكي، فهو بمثابة موسوعة أدبية متنقلة، لأنه كانت له براعة تامة في الأدب العربي الحديث بجانب اطلاعه الواسع على الأدب الأردّي، والفارسي، والإنجليزي، وهو مثال الدربة والبراعة بالعروض والبلاغة بأدق رموزها وعلومها تطبيقاً وتحليلاً، كما كان له حظ وافر في حفظ الأبيات من دواوين المتنبي والبحري والمعري، وهو في الواقع مسمّى باسمه، إذ كان فيضاً علمياً، يستقي من منهل العذب الناشئون والناضجون جميعاً، وقد أجريت بحوث ودراسات تحت إشرافه في جامعة جواهر لعل نهرو.

مؤلفاته وأعماله العلمية: وله عدة مؤلفات وأعمال علمية، ومشروعات أدبية من أهمها: Lucknow: A Center of Arabic and Islamic Studies, during 19th Century. وقد نقله الدكتور أورنك زيب الأعظمي إلى اللغة العربية باسم "لكاؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر" تم نشر الكتاب المترجم أيضاً.

وقد قام بنقل كتاب "منتخب أحاديث" الشهير للأستاذ مولانا يوسف الكاندهلوي إلى اللغة الإنجليزية باسم Collection of Selected Hadith وقد نشر جزء من

كتابه An Applied Grammar of Standard Arabic .

بين يدي الكتاب

أهمية الكتاب (في ضوء مقدمة المؤلف): يحيط تاريخ تدريس اللغة العربية في الهند بالقرون العديدة، وقد ترك العديد من الناس آثاراً مختلفة متنوعة في تنميتها وتطويرها، وكان لهم ولع وشغف في تعليم العربية وتدريسها، كان العلماء يقصدون بلاد العرب في أول الأمر عندما يضمحل الاقتصاد العربي، لأنهم لا يجدون هناك أي اكتساب، وكان العلماء يسافرون آنذاك إلى البلاد العربية للتعليم والتبليغ، ولكن الحال قد تغير تماماً بحيث جعل الناس يقصدون بلاد العرب لاستحكام معيشتهم، لأن العالم العربي قد أصبح اليوم من البلاد النامية وتحكم اقتصادهم بمختلف الأسباب، وكذلك العلاقات القائمة الوثيقة بين الهند والعرب أدت إلى توطيد الصلات بين الهند والبلدان العربية، فلها تغيرت الأحوال على هذا المنوال جعل الأساتذة والطلاب ينظرون إلى اللغة العربية كلغة اقتصادية، وتبدلت أحوالهم وتحول منهج تفكيرهم حول تعلم اللغة العربية.

ولذا مست الحاجة إلى تغيير قليل في المقررات الدراسية لكي توفي الحوائج الأساسية للعصر الراهن، فتولدت فكرة في إنشاء كتاب في تعليم اللغة العربية الذي يدرس العربية بنفسه في مدة قصيرة، وهذا الكتاب لا بد أن يكون مشتملاً على المبادئ التي تعلم العربية بنفسه، من غير إرشاد من أي أستاذ، الكتاب الذي يعلم الطلاب العربية من البداية، فهذا الكتاب جاء إلى حيز الوجود لكي يتم الحاجيات الضرورية، من صوتيات الحروف الأبجدية، والأصول والقواعد النحوية، لكي يسهل على القارئ القراءة، جاء كل درس مستقلاً، وهذا الكتاب أصلاً يعلم العربية للطلاب الذين لهم إدراك وإحساس وشعور، وهذا الكتاب لا يساوي مستويات الطلاب المبتدئين.¹

تدل الخبرات والتجارب في تعلم اللغة العربية، بأن من كان يحفظ ثلاث مئة لفظ،

¹ An Applied Grammar of Standard Arabic، 10/1

يقدر على إبراز ما يضم في نفسه وما يجيش في قلبه، وما يخطر بباله من الأفكار. والمدارس المنتشرة في أرجاء الهند تقصد تعليم اللغة العربية، ولا تهتم بالألفاظ المنطوقة في السوق، ولكن الأسواق العربية قد أصبحت محط أنظار الناس منذ خمسين عاماً.

فلا بد لكل طالب أن يوفر له ما يحتاج إليه في مجاله من الألفاظ، وما يتعلق بمهنته. ولكن يلاحظ هنا أنه لا يكفي العلم بالألفاظ، فلا بد من القدرة الكاملة على استعمال الألفاظ، وهذا الكتاب يحتوي على المبادئ الأساسية، على الرغم من الجهود المكثفة في تعليم اللغة العربية بواسطة المؤتمرات والمنظمات الأساسية، ولكن العراقي تحول دون تعليم اللغة العربية إلى حد الآن، ولا بد لإكمال أي مشروع أن يكون المقرر الدراسي والأسلوب الدراسي يؤدي دوره الأساسي، ولكن الجهود المخلصة في هذا الصدد تنتج نتائج حاسمة، لأن أي عمل لا يكتمل بغير الإخلاص، لأنه لا يمدد ولا يعاونه أي مقرر دراسي، ولا أي كتاب، وإني قمت بتسهيل تعليم القواعد اللغة العربية مع الاهتمام بالتدريبات التي تساعد وتقدم في تعلم اللغة العربية، ومن يود تعليم اللغة العربية فيكفي له هذا الكتاب مرشداً، من غير استمداد بالأستاذ، إلا في المواضع النادرة.

ففي كل درس عنيت كثيراً بالتدريبات المتعددة، حتى يتمكن الطالب ويحصل له البراعة الكاملة في تعليم قواعد اللغة العربية وتطبيقها. وما أدعي أنني قمت بإحاطة جميع قواعد اللغة، ولكن أقدر على القول بإيقان، بأن كل من يحيط مشمولات الكتاب ليتعلم اللغة العربية.

وأخيراً أشير لكل من يدرس الكتاب ألا يتقدم حتى يترن على الدروس السالفة، ومن يقرأ الكتاب والدروس مع التدريبات الكاملة سيكون بارعاً ومتمقناً إن شاء الله في اللغة العربية.

وهذا ما قاله المؤلف في مقدمة هذا الكتاب.¹ وبهذا يمكن تقديره.

محتويات الكتاب: إن الكتاب يحتوي على دروس مختلفة للنحو، فالدرس الأول ينطق عن معرفة حروف الهجاء أو حروف المعجم، والدرس الثاني يذكر الصوتيات، والثالث الحركات، والرابع التنوين، والخامس التشديد أو الشدة، والسادس الهمزة، والسابع المدة، والثامن جمع الحروف بعضها من بعض، ثم التاسع يذكر الاسم من المعرفة والنكرة، والعاشر الإعراب، والحادي عشر المركب، والثاني عشر تقسيم الاسم باعتبار الواحد والتثنية والجمع، والثالث عشر الجمع وأقسامه، والرابع عشر الجمع المذكر، والخامس عشر الاسم المذكر والمؤنث، والسادس عشر المركب الإضافي، والسابع عشر المركب الوصفي.

مجموع صفحات الكتاب 103 صفحة، وهذا جزء أول من الكتاب، نشره فلاح دارين ترست، أبو الفضل إنكليو، جامعه نغر، نيو دهلي، وسعر النسخة 95 روبية هندية، الطبعة الأولى، ديسمبر عام 2000م.

كلمات الشكر: وقد قام المؤلف بالشكر لكل من أعانه في هذا العمل، وقاموا بإثارة هممه، فكان الطلاب لجامعة MS هم الذين مدّوا يد العون في ترتيب الكتاب وتوفير المواد، وكذلك قام بالشكر لكل من عبد الله غانم، وإقبال رانا، ومومن خان، والأستاذة أنور جهان الصديقي، لأنّ كلهم أعانوا على تهيئة الفرص لترتيب المواد، وتنضيد الحروف على الكمبيوتر حتى على إخراج الكتيب في حلقه القشبية.

كما قام بإسداء الشكر إلى البروفيسور إيس إيه رحمن لأنه ألقى النظر على الكتيب وأشار عليه ما يفيد، كما شكر لأهل بيته فرزانه، وابنيه عرفان الله الفاروقي، وأبي طلحة الفاروقي وابنته آمنة الفاروقية لأنهم وقّروا البيئة العلمية لتحرير هذا الكتيب.

الإهداء: قام بإهداء هذا الكتاب إلى أستاذه الجليل الذي تأثر به في حياته، وهو

¹ المصدر نفسه، 12/1

السيد إيم رفیق وله خدمات جليلة في تدريس اللغة العربية، وأنه قام بتدريس اللغة العربية مخلصاً لله عزّ وجلّ، وعمل لتأهيل الطلاب وثقافتهم ثقافة عربية.

دروس الكتاب: والكتيب ينقسم في سبعة عشر درساً نشرح بعضها كالتالي:

الدرس الأول: أشار المؤلف في هذا الدرس بأن اللغة العربية تكتب بالجانِب الأيمن، وحروفها تسعة وعشرون حرفاً، فمنها الهمزة، وتدعى بحروف الهجاء أو حروف المعجم.

الملاحظة:

(1) الألف لا تحمل بنفسها صوتاً، فلها تكون في صورة الهمزة، فيمكن إخراج صوتها.

(2) عندما تضم مع اللام الألف، فتصير "لا" وليس "لا" من الحروف الهجائية.

الأمثلة: ا، ب، ت، ث، وغيرها

هذا الدرس يوضح الأشكال البدائية والوسطية كليهما.

مثلاً: Ask: أ + س + ك = أسك

س + أ + ل + ت = سألت

الدرس الثاني: أسلوب الأداء: هذا الدرس يشير إلى أنه لا بد لمتعلم اللغة العربية من أن يتعلم العربية عند العالم الحقيقي لها، ويصحح حروفها، لأنه يصعب على المبتدئين تلفظ بعض الحروف.

الأمثلة:

(1) أ - لأنها لا تحمل بنفسها أيّ صوت

(2) خ - صوتها يشابه صوت kh، كما يخرج الصوت عند تصفية الحلق، فيشابهه صوته به.

الدرس التاسع: هذا الدرس يبين الاسم وقواعده

إذا تدخل الألف على الاسم فيخلو من التنوين.

العام: النكرة الخاص: المعرفة

ولد	الولدُ
بيتٌ	البيتُ
قلمٌ	القلمُ
شمسٌ	الشمسُ

الدرس الثاني عشر: الواحد، والثنية والجمع

هذا الدرس يشير إلى أن الأعداد ثلاثة: الواحد، والثنية، والجمع.

قاعدة الثنية: وهو يبنى بإلصاق "أن" أو "ين"

الأمثلة:

خادم + ان = خادمان

خادم + ين - خادمين

جاء خادمٌ، جاء خادمان، رأيتُ خادمين، أخذتُ بخادمين

جاءت خادمة، جاءت خادمتان، رأيت خادمتين، مررت بخادمتين

فتى، فتیان، عصا، عصوان

صحراء، صحروان، حرباء، حرباوان، كساء، كساءان، رداء، رداءان.

هذا- هذان- هذين

هذه- هاتان - هاتين

ذلك - تانك - تينك

اقرأ وترجم إلى الإنجليزية.

رجلٌ، شارع، امرأتان، أخوان، الحديقة، عم، عمان.

جاء رجل، ذهبتُ إلى الحديقة، حامد وخالد صديقان

هكذا استمر المؤلف في الدروس، ويأتي بالتمارين والتدريبات المختلفة تحت كل درس ليسهل بذلك للطلاب فهم القواعد، ويتغلب عليها بكل يسر.

مميزات هذا الكتاب: هذا الكتاب له خصائص يمتاز بها عن الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، لأن المؤلف راعى فيه مستوى الطلاب.

أولاً: أنه يستخدم الألفاظ العامة التي تستخدم في الحياة اليومية، مثلاً أنه استخدم الجمل التالية في الدرس السادس عشر في بحث المركب التوصيفي:

هذا ولد جميل.
رأيت ولداً جميلاً.
مررت بولد جميل.
هذه بنت جميلة.
رأيت بنتاً جميلة.
مررت ببنت جميلة.
الرجل العالم. ¹

وثانياً: استخدم الألفاظ السهلة المستعملة في اللغة لكي لا يسئ المبتدئ ويجد بغيته

¹ المصدر نفسه، 94/1

وذلك اللفظ في لغته.

مثلاً الدرس الخامس عشر يبين تركيب المضاف والمضاف إليه وإعرابهما، وهو يستخدم، تحت التمارين، الألفاظ الميسورة.

The light of the moon	ضوء القمر
The bank of the river	شاطئ النهر
Mahmud's garden	حديقة محمود
Summer season	فصل الصيف
Iron bar	صندوق الحديد
The colour of the sky	لون السماء
Silver ring ¹	خاتم فضة

وثالثاً: وهو يستعمل جملاً وتراكيب حتى لا يصعب فهمها للطلاب، ويسوغ الطالب تلك التراكيب بأسلوب حسن.

مثلاً يقدم الأمثلة تحت درس المؤنث والمذكر، ويطلب من الطالب أن يراعى في إتيان الصفة والموصوف في التذكير والتأنيث.

The beautiful garden	الحديقة الجميلة
The tall trees	الأشجار الطويلة
The red rose	الوردة الحمراء
The speedy horse	الفرس السريع
The spacious home ²	البيت الواسع

¹ المصدر نفسه، 85/1

² المصدر نفسه، 87/1

هذه جمل بسيطة بين مفهومها.

ورابعاً: أنه جعل الكتاب سهلاً ميسوراً حتى يمكن للطلاب قراءته، وتعلمه بقليل من إرشاد الأستاذ، والكتاب هو في الأصل المرشد، وهو يهدي بنفسه الطالب إلى ما يهيمه في تعليم اللغة العربية في أسلوب بسيط ساذج.

وخامساً: هذا الكتاب يقدم القواعد، تحت الأمثلة السهلة، وتمارين مختلفة متنوعة يستوعب الطالب جميع الدرس ويفهمه جيداً إذا يفرغ من قراءة الدرس كاملاً.

مثلاً يقدم في الدرس السادس عشر: قواعد المركب التوصيفي

أولاً عرض الأمثلة، ودعا الطالب إلى التفكير فيها:

هذا ولد جميل

رأيت ولداً جميلاً

رأيت بولداً جميلاً

هذه بنت جميلة

رأيت بنتاً جميلة

مررت ببنت جميلة

ثم قام بتحليل الجمل وعرضها تطبيقاً بالأمثلة.

ثم ذكر الأشياء التي لا بد للتطابق والتماثل بين الموصوف والصفة فيها

إذا كان الموصوف واحداً أو ثنية أو جمعاً، تطابقه الصفة في جميع تلك الأحوال، مثلاً: الرجل العالم، الرجال العالمان، الرجال العالمون.

فعندما يكون الموصوف مؤنثاً فتطابقه الصفة في التأنيث، مثلاً المرأة العاملة.

وإذا كان الموصوف معرفة فتطابقه الصفة في التعريف كذلك مثلاً: الولد الجميل
وإذا كان الموصوف نكرة تطابقه الصفة في التنكير مثلاً: ولد جميل.
وإذا كان الموصوف جمعاً لغير العاقل فتكون الصفة مونثاً واحداً: مثلاً: كتب جديدة.
ثم قدم الأمثلة لتلك القواعد الأساسية.
ثم قدم بعد ذلك التدريبات:

ففي التدريب الأول عرض الأمثلة التي تبين المطابقة بين المعرفة والنكرة، ثم قدم الأمثلة.
خلاصة القول: إن هذا الكتاب جهد قيم في تدريس اللغة العربية خاصة للمبتدئين،
والمؤلف راعى في الكتاب المبتدئين الذين يودّون أن يتعلموا العربية من البداية، وأنه
يريد أن يكتب الجزء الثاني من الكتاب تدريجياً، ولكن الأجل ما وافاه، وأتاه
الموت، فليحق بجوار الله عز وجلّ، وهذا الكتاب بأسلوب سهل ميسور يعلم الطلاب
العربية بكل يسر.

جمع وترتيب المعلومات المتعلقة بالمخطوطات

المذكورة في كتاب:

"لکاو مرکزاً للدراسات العربية والإسلامية" للأستاذ فيضان الله الفاروقي

- د. منظر عالم¹

يعتبر الأستاذ فيضان الله الفاروقي من الأساتذة المرموقين الذين قاموا بخدمات قيمة وإسهامات جليلة في ترويح الدراسات العربية والإسلامية طول حياته، وله براعة تامة وقدرة فائقة في عدة لغات من العربية والإنجليزية والأردية والفارسية والهندية على حد سواء، وهذه اللغات تدلّ على براعته وقدرته وعمق فكره وثقافته الواسعة.

ولد هذا العبقري في الخامس من شهر يوليو عام 1952م بقرية "كوريا بار" بمديرية أعظم كره (تقع حالياً بمديرية مئونات بنجن) في أسرة عليية تسمى بـ"أسرة فاروقية" وهذه الأسرة لها جولة وصول في نوعين من العلوم: العلوم القديمة والعلوم العصرية. ورجال هذه الأسرة قد احتلوا مكاناً مرموقاً في كلا المجالين. نشأ وترعرع الأستاذ فيها حتى لما بلغ السادس من عمره ذهب إلى مدينة "مئو" والتحق بمدرسة "دار العلوم" حيث كان خاله موظفاً ومعلماً، وقضى هناك ست سنوات متلقياً مبادئ القراءة والكتابة، وكان لخاله أثر كبير في تربيته وثقافته، ثم انتقل إلى مدينة "مباركفور" حيث التحق بمدرسة "إحياء العلوم" ودرس أهم الكتب العربية والإسلامية. وفي عام 1967م سافر إلى ديوبند والتحق بدارها للعلوم، وتعلم فيها من كبار الأساتذة مثل الشيخ الجليل والمحدث الكبير نضر الحسن وغيره من الأساتذة الكبار.

وبعد التخرج في دار العلوم بديوبند اشتغل بمهنة التدريس وعين أستاذاً في مدرسة

¹ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بابا غلام شاه، راجوري، جامو وكشمير

"دار العلوم" بمئو، ولكن لم يمكث بها إلا سنة واحدة، فترك الوظيفة، ومال إلى العلوم العصرية، ونال القبول في كلية "شيلي" بأعظم كره وحصل على شهادة البكالوريوس منها، ثم التحق بجامعة إله آباد حيث حاز على شهادة الماجستير والدكتوراه.

بدأ الأستاذ رحلة جديدة للتدريس في الجامعات العصرية العديدة منها الجامعة المليية الإسلامية بنيو دلهي، وجامعة برودهي، والجامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية بمحيدر آباد، وأخيراً جامعة جواهر لال نهرو التي تعدّ من أرقى الجامعات في الهند. بقي هناك من عام 1987م إلى عام 2017م وتقاعد منها، وبذل حياة طيبة حتى توفي في الثاني والعشرين من يوليو عام 2020م، اللهم اغفر له وارحمه وأدخله فسيح جناتك آمين. ثم آمين.

وإلى جانب التدريس اشتغل الأستاذ بالتصنيف والتأليف فألف كتباً قيّمة ومقالات رائعة نشرت في أمهات الجرائد والمجلات الوطنية والدولية، ويعدّ كتابه "Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies during Nineteenth Century" من الكتب الهامة التي نالت إعجاباً وقبولاً في الأوساط العلمية والأدبية. ألف الأستاذ هذا الكتاب بدقة وإمعان وجمع فيه معلومات قيّمة تتعلق بعلماء لكناؤ في القرن التاسع عشر، وأصبح الكتاب مرجعاً للباحثين والمحققين الذين يريدون أن يقوموا بالبحث والتحقيق في هذا المجال.

وفي عام 1916م ترجم الأستاذ الغالي الدكتور أورنك زيب الأعظمي هذا الكتاب إلى اللغة العربية باسم "لكناؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر الميلادي" بأسلوب رائع وجميل، وصدر الكتاب من مؤسسة بوابة البحث والتحقيق بمحيدر آباد (السند، باكستان). وهو يشتمل على أربعة أبواب:

الباب الأول: لكناؤ: أصلها وتطورها

الباب الثاني: تعريف بالدراسات العربية والإسلامية في الهند بخصوص لكناؤ (من

القرن الثامن الميلادي إلى القرن التاسع الميلادي)

الباب الثالث: وضع الدراسات العربية والإسلامية في لكناؤ خلال القرن التاسع عشر الميلادي

الباب الرابع: لمحة عن الآثار القيمة لعلماء لكناؤ في مختلف مجالات الدراسات الإسلامية والعربية خلال القرن.

وفي هذه المقالة الوجيزة حاولتُ تسليط الضوء على المخطوطات التي ذكرها الأستاذ الفاروقي في هذا الكتاب والتي لم تطبع حتى الآن، وتوجد في المكتبات الهندية المختلفة بإشارة خاصة إلى صاحب المخطوطات وحياته أيضاً. ومنهم:

1. الملا عبد العلي بجر العلوم: ولد الملا عبد العلي عام 1142هـ، وتلقى التعليم الابتدائي من والده، ثم اتصل بعدد من علماء عصره واستفاد منهم، حتى أصبح بحراً زخاراً من بحور العلم، وإماماً في المنطق والحكمة والأصول وعلم الكلام. له مؤلفات عديدة ومن أبرز مخطوطات كتبه:¹

1. حاشية على شرح صدر: شرح عربي جميل لكتاب "هداية الحكمة" لصدر الدين الشيرازي وهو شرح لكتاب الأبهري في الفلسفة. توجد نسخته الخطية في مكتبة كلكتة القومية، رقم Bar,344 ومكتبة خدا بنخش ببتنه، فهرس المخطوطات العربية، 210/1

2. شرح سلم العلوم: شرح عربي لسلم العلوم للملا محبّ الله البيهاري: هذا كتاب شهير في المنطق. توجد نسخته الخطية في مكتبة كلكتة القومية رقم: bh,Or,302 ومكتبة خدا بنخش، فهرس المخطوطات العربية، 227/1

3. هداية الصرف: كتاب في الصرف العربي باللغة الفارسية. توجد نسخته الخطية

¹ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام لعبد الحي الحسني، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999م، 120/3

في مكتبة خدا بخش، فهرس المخطوطات الفارسية، 129/3.

2. الملا مبین بن الملا حبيب الله: هو عالم كبير وكاتب قدير من کتاب فرنفي محلي المرموقين، ليس له نظير في سعة العلم وعمق الفهم بين أقرانه وخاصة بين علماء فرنفي محلي، يشتمل معظم أعماله على شرح النصوص في المنطق، وتعتبر هذه الشروح مفيدة للغاية للطلبة والأساتذة على السواء. ومن مخطوطات كتبه:¹
 1. زبدة القواعد: کتاب في الفارسية في الفقه الحنفي توجد نسخته الخطية في مكتبة رضا برامبور.

3. العلامة تفضل حسين خان: يعتبر العلامة تفضل حسين خان من العلماء المشهورين في الهند، لم يكن له نظير في زمانه، تلقى التعليم من كبار علماء الهند، وله خدمات جبارة في الشروح والرسائل، وكتب تعليقات على الكتب الدراسية أيضاً تدلّ على تجره في العلم والمعرفة، ومن مخطوطات كتبه:²

1. الکتاب المعرب: هذه ترجمة من الإنجليزية إلى العربية. هذا الکتاب في علم الهندسة، ويحتوي على مقالات في 180 صفحة، أتمه في سنة 1260هـ، توجد نسخته الخطية في مكتبة خدا بخش، فهرس المخطوطات العربية، 233/1
2. الرسالة في الرياضي: كتيب بالعربية في الرياضيات، توجد نسخته الخطية في مكتبة خدا بخش، فهرس المخطوطات العربية، 178/3
3. شرح أصول شمسون "Samsoon": توجد نسخته الخطية في مكتبة الناصرية بلكاؤ، رقم: 230 في سجل كتب الرياضيات خدا بخش.
4. دلدار علي غفران مآب: هو عالم شيعي ولد عام 1166هـ بنصير آباد في قرية

¹ لکاؤ مرکزاً للدراسات العربية والإسلامية (خلال القرن التاسع عشر) لفيضان الله الفاروقي، مؤسسة

بوابة البحث والتحقيق، حيدرآباد، السند، باكستان، 2016م، ص 94

² الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، المصدر نفسه، ص 940-941

"راي بريلي" في عهد صفدر جنغ، تلقى العلم من الأساتذة الكبار وبرز على مسرح لكناؤ كعالم كبير. له إسهام بالغ في تأسيس مركز الدراسات الشيعية بلكناؤ، بأنّ حكام لكناؤ كانوا من أهل التشيع، فقد قام غفران مآب بوضع حجر أساس قوي لنشر مذهبه، ولما حلّ خلفه محله بلغوا بهذا الصرح مبلغ الثريا. ومن مخطوطات كتبه:¹

1. الشهاب الثاقب في بيان مذاهب الصوفية: لغة هذا الكتاب عربية، توجد له نسخة خطية في 314 صفحة في مكتبة رضا. هذا الكتاب يفنّد الفكرة الصوفية.
2. خاتمة كتاب الصوارم: كتيب بالفارسية يثبت حقيقة الإمامة، توجد نسخته الخطية في مكتبة الناصرية، رقم المخطوط: 86
3. كتيب في مخالفة الصوفية: هذا ردّ على كتيب محمد سميع الصوفي في التصوف باللغة الفارسية، توجد نسخته الخطية في مكتبة الناصرية، رقم المخطوط: 111
4. الرسالة في أحكام الأرضين: رسالة باللغة بالفارسية ذات 61 صفحة، دالة على الفقه، توجد نسختها الخطية في مكتبة رضا ومكتبة الناصرية أيضاً.
5. فوائد آصفية ومواعظ حسينية: كتاب باللغة الفارسية، يشتمل على الخطب والرسوم الدينية، تتوفر نسخها الخطية في 417 صفحة في مكتبة رضا ومكتبة خدا بخش ومكتبة الناصرية.
5. الشيخ عبد الأعلى: هو أحد علماء المشهورين، ولد ونشأ بمدينة "لكناؤ" ونال العلم من والده أولاً، ثم ارتحل إلى مدينة "كلكتة"، وانضم إلى طبقتها الحاكمة، ولكنه لم ينل تشجيعاً مرجواً منها، فعاد إلى لكناؤ. له مؤلفات عديدة في المنقول والمعقول، ومن أبرز مخطوطات كتبه:²
1. الرسالة القطبية: هذا الكتاب ترجمة الملا قطب الجين السيالوي، وهو مصدر

¹ لكناؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية (خلال القرن التاسع عشر)، المصدر نفسه، ص 100

² الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ص 997

مهمّ للمعلومات عن علماء فرنسي محل باللغة الفارسية ولم يطبع إلى الآن، توجد نسخته الخطية في مكتبة فرنسي محل.

6. صوفي عبد الرحمن بن محمد حسن: كان من أعظم صوفية عصره وأكبر شيوخ زمانه، ولد عام 1161هـ في قرية "روبا" المجاورة لشيكاربور، قرأ على أخيه قواعد اللغة العربية والفقه وأصول الفقه، ثم سافر إلى أماكن عديدة لنيل العلم منها خيربور، مهارون، رامبور، بهارو. وأصبح رجلاً عجيباً وكانت حياته مليئة بالعجائب والأحداث الغريبة، وكانت له فكره خاصة في التصوف، وبالرغم من المعارضة الشديدة من قبل العلماء فكان مولعاً بالموسيقى ومكرهاً للتعزية، وأنه كان يعتقد أنّ العلماء، قديمهم وحديثهم، قد أخطأوا في فهم معنى الكلمة الطيبة، وقد ألهم المعنى الحقيقي على قلبه ولا غير، وله كتاب مخطوط فقط وهو:¹

1. كاسرة الأسنان: كتاب بالعربية في التصوف. توجد نسخته الخطية في مكتبة

رضا رقم D2/183/3192

7. معين بن الملا مبین: عالم جليل تلقى الدراسة الابتدائية من أبيه وأصبح عالماً مثالياً للشرعية الإسلامية، كان تقياً صالحاً منح الله ميزات أدبية فاقدة النظير، فكان بارعاً في الحديث، وماهراً في الشريعة الإسلامية وأصول الفقه، وله مؤلفات أدبية وفتاوى قيمة، ومن مخطوطات كتبه:²

1. تبيان المرام من عدم القراءة خلف الإمام: هذا كتيب باللغة الفارسية يتحدث عن أصول قراءة القرآن في الصلاة. توجد نسخته الخطية في مكتبة خدا بخش، رقم 427/7

8. السيد علي بن غفران مآب: ولد هذا العالم الجليل السابع عشر من شهر شوال

¹ لكأؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية (خلال القرن التاسع عشر)، ص 110

² المصدر نفسه، ص 118

عام 1200هـ، تلقى العلوم على والده ويرع في العلوم العديدة، وخاصة في قراءة القرآن الكريم وتجويده، اشتغل بإلقاء الخطب والمواعظ، فكان لخطبه أثر بالغ في نفوس السامعين، ومن مخطوطات كتبه:¹

1. نصره الحسينية: رسالة باللغة الفارسية في عقيدة أهل التشيع. توجد نسخته الخطية في مكتبة خدا بخش، مرآة العلوم، 2/ 203

2. نصره الحسينية في الضرائح المحكية: هذا الكتاب باللغة العربية في إثبات البكاء على شهداء كربلاء. توجد نسخته الخطية في مكتبة خدا بخش.

9. الملا محمد مهدي بن محمد شفيع: ولد في "مزندرن" وتلقى العلم من كبار العلماء، ومن أساتذته البارزين السيد آقا طباطبائي. قضى حياة مملوءة بالجد والكد والمناضلة، كان المفتي عباس مرشده الروحي ومن أبرز مخطوطات كتبه:²

1. ثمرة الفؤاد: كتيب بالعربية عن أصول تفضيل الإجماع. توجد نسخته الخطية في مكتبة الناصرية، رقم المخطوط: 45

2. فصل الخطاب في حجة ظاهر آيات الكتاب: رسالة بالعربية توجد نسخته الخطية في مكتبة الناصرية، رقم المخطوط: 45

3. تفسير المعقول في بيان الحاصل والمحصل: رسالة بالعربية في أصعب دروس "شرح جامي" وهو "الحاصل والمحصل" وشرح جامي لكتاب دراسي شهير "كافية". توجد نسختها الخطية في مكتبة خدا بخش، مفتاح الكنوز الخفية،

151/3

4. معرفة وقت الزوال: كلتا الرسالتين تنطق عن باب الدائرة الهندية لكتاب "شرح وقاية" وهو شرح جميل للوقاية في الفقه الحنفي، لغتها عربية، توجد

¹ المصدر نفسه، ص 120

² المصدر نفسه، ص 122

نسختها الخطية في مكتبة خدا بخش.

5. علم الهدى في تحريم المزامير والغناء: رسالة بالفارسية في تحريم الموسيقى والأغاني، توجد نسختها الخطية في مكتبة خدا بخش، مرآة العلوم، 28 / 2

10. النواب سبحان علي: الأمير الفاضل سبحان علي الشيعي الأخباري القائي البريلوي نواب سبحان علي خان، كان من طائفة "كنبو"، تقرب إلى ملوك "أوده" ونال منزلة مرموقة بمدينة لكناؤ، وكان يشتغل بالبحث والتنقيح والمناظرة بأهل السنة والجماعة وبالشيعة الأصولية. له مصنفات عديدة، ومن مخطوطات كتبه:¹

1. لطافة المقال: رسالة بالفارسية في رد أهل الشيعة توجد نسخته الخطية في مكتبة الناصرية، رقم المخطوط: 188

11. مولانا محمد علي: هو من أسرة القاضي حبيب الله الكهوسوي، كان ثقة في العلوم المنقولة، ولد ونشأ وترعرع بمدينة لكناؤ وتلقى العلم على مرزا حسن علي المحدث، درس عليه علماء عصره كتب الأحاديث، ومن أبرز مخطوطات كتبه:²

1. الإفادة الحسينية: يسمّى كذلك بـ"فوائد" ويدلّ على صفات الله، توجد نسخته الخطية في مكتبة رضا وهو باللغة العربية.

2. رسالة تبحر العقول في تحقيق النية بين الحقيقة والمنقول: حكم بالفارسية على المناظرة، توجد نسخته الخطية في مكتبة الناصرية، رقم 134 (الفقه الشيعي)

3. رسالة في ردّ الرازي: رسالة باللغة العربية في الرد على الإمام الرازي (ت 666هـ/1210م) والمعتزلة، توجد نسختها الخطية في مكتبة رضا، رقم:

M.K946/1928

4. رسالة در صوم: رسالة بالفارسية في الصوم، توجد نسختها الخطية في مكتبة

¹ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ص 979

² المصدر نفسه، ص 1099

خدا بخش، مفتاح الكنوز الخفية، 56/3

12. مولانا ولي الله بن حبيب الله: عالم جليل ولد بمدينة لكناؤ، واكتسب العلم من عمه الملا مبین، ولازم دروسه مدة طويلة، ثم عكف على مطالعة رحلات القدماء ومقالات العلماء، وبذل جهداً جهيداً في مجال التدريس حتى انتهت إليه الرئاسة العلمية بمدينة لكناؤ، وانتفع به خلق كثير، من أبرز مخطوطات كتبه:¹

1. شرح الرسالة في علم الواجب: شرح عربي للرسالة المذكورة أعلاه في العلم اللدني. توجد نسخته الخطية مع النصوص في مكتبة رضا، فهرس المخطوطات العربية، رقم: D989/1787

2. عمدة الوسائل: تراجم علماء فرنسي محل بالفارسية، لم تطبع حتى الآن.

3. تفسیر معدن الجواهر: تفسیر بالفارسية للقرآن الكريم في سبعة مجلدات ضخمة، توجد نسخته الخطية في 5000 صفحة في مكتبة مولانا آزاد لجامعة علي كره الإسلامية.

13. السيد إعجاز حسين الكنتوري: له شذور العقيان في تراجم الأعيان وهو كتاب تراجم علماء أهل التشيع بالعربية. توجد نسخته الخطية في مكتبة رضا، فهرس المخطوطات العربية، رقم: 19/208

14. كشف الحجب والأستار على أسامي الكتب والأسفار: كتاب بالعربية يناقش مؤلفات أهل التشيع حتى عصر الكاتب ذاته. هذا كتاب مهم جداً في تراجم العلماء. توجد نسخته الخطية في مكتبة رضا.

15. السيد باقر بن محمد: عالم شيعي ولد عام 1241هـ، ونشأ بمدينة لكناؤ. تلقى العلم على والده، وبرع فيه، عينه أجد علي شاه قاضياً وشرفه بلقب "منصف الدولة". من أبرز مخطوطات كتبه:²

¹ المصدر نفسه، ص 1135

² المصدر نفسه، ص 931

1. رسالة في رضاع الكبير: كتيب بالفارسية يناقش شرائع الإسلام عن الرضاع بعدة المدة التي قررها الإسلام، توجد نسخته الخطية في مكتبة الناصرية، سجل مكتبة الناصرية للكلام، رقم: 181

2. فضائل أهل بيت: رسالة بالفارسية في فضائل ومناقب أهل بيت عائلة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. توجد نسختها الخطية في مكتبة الناصرية بلكاؤ، سجل مكتبة الناصرية لفضائل أهل بيت، رقم: 171

16. السيد محمد تقي ممتاز العلماء: ولد بلكاؤ في 16/ جمادى الأولى 1234 هـ، وكان من أبرز المجتهدين. شرفه أجد علي خان بلقب "ممتاز العلماء". كان عميد أساتذة المدرسة الملكية في لكناؤ، وبهذا الشأن تشرف بلقب "نفر المدرسين". كانت له مكتبة كبيرة غنية بالكتب والرسائل، ومن أبرز مخطوطات كتبه:¹

1. الدعوات الفاخرة: رسالة بالفارسية في آداب التضرع. توجد نسختها الخطية في مكتبة رضا، فهرس المخطوطات الفارسية (أوراد أعمال) رقم: 9/227
2. هداية المسترشدين: رسالة بالعربية في أصول الفقه الشيعي، توجد نسختها الخطية في مكتبة الناصرية، سجل أصول الفقه الشيعي، رقم: 68

17. المفتي عباس بن سيد علي أكبر: ولد بمدينة لكناؤ في ربيع الأول 1224 هـ، ومنذ طفولته كان يكره الألعاب، في البداية درس الكتب الفارسية من والده، ثم تعلم العلوم المعقولة على علماء فرنغي محل، وأما الفقه والموضوعات المتعلقة به فقد أخذها من أساطين العلماء وبرع فيها، عيّن مفتي لكناؤ عام 1261 هـ وتشرف بلقب "تاج العلماء" و"افتخار العلماء". وبعدما انحطت دولة أودھ دعاه واجد علي شاه إلى كلكتة، كان المفتي عباس رجلاً صالحاً مواظباً على أداء واجبات الدين كما كان بارعاً في الأدب والشعر. كان يقرض الشعر باللغة الفارسية،

¹ لكناؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية (خلال القرن التاسع عشر)، ص 151

ومن أبرز مخطوطات كتبه:¹

1. جواهر الكلام ملقب بأنهار الأنوار: هذه ترجمة "بحار الأنوار" الفارسية، كتاب فارسي في الفقه الشيعي للملا محمد باقر، توجد نسخته الخطية في مكتبة رضا (من المجلد العاشر حتى المجلد الثالث عشر)
2. استغفار أولي الأبصار: كتاب بالعربية في الفقه، توجد نسخته الخطية في مكتبة الناصرية، سجل أصول الفقه الشيعي رقم: 65
3. رفع الالتباس: هذا ردّ بالفارسية على "كشف الالتباس" في المناظرة. توجد نسخته الخطية في مكتبة الناصرية، سجل المخطوطات (كلام الشيعة) رقم: 30
4. نهاية الأصول: رسالة بالعربية في أصول الفقه. توجد نسختها الخطية في مكتبة الناصرية، سجل الفقه الشيعي: رقم: 66
5. مشارق الشريعة: رسالة بالفارسية في الفقه الشيعي توجد نسختها الخطية في مكتبة الناصرية، سجل الفقه الإسلامي رقم: 238
6. حاشية على القوانين: قوانين الأصول كتاب عربي لأبي القاسم القمي في أصول الفقه. قام الشيخ بكاتبه الحواشي عليه، توجد نسختها الخطية في مكتبة الناصرية، سجل المخطوطات (أصول الفقه) رقم: 20
18. العلامة عبد الحي الفرنجي محلي: يعتبر العلامة عبد الحي عالماً جليلاً، لم يكن نظير له في عصره سوى العلامة بحر العلوم، ومن حسن الحظ أنّ كليهما تمتع بالفترة السوية للحياة وسبق العلامة أسلافه في سعة العلم وكثرة التأليف. يعرف العالم الإسلامي إسهاماته القيمة في الدراسات الإسلامية خير معرفة، وله مؤلفات كثيرة في موضوعات مختلفة من الحديث والفقه والتفسير. من أبرز مخطوطات كتبه:²
1. خير العمل في علماء فرنجي محل: هذه تراجم علماء فرنجي محل بالعربية، لم تطبع حتى

¹ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ص 1256

² المصدر نفسه، ص 1268

- الآن، هذا الكتاب يوجد في شكل المخطوطات (باني درس نظامي، ص 14)
2. نزهة المدرسين في ذكر المؤلفات والمؤلفين: هذه الرسالة العربية توجد في صورة مخطوطات غير تامة في مجموعات فرنسي محل لمكتبة مولانا آزاد القومية بجامعة علي كره الإسلامية، رقم المخطوط الأخير: 71/549
3. أحكام القنطرة في أحكام البسملة: رسالة بالعربية في الفقه لم تطبع حتى الآن.
19. السيد محمد بن دلدار علي غفران مآب: كان أكبر أولاد غفران علي، ولد بلكاؤ في 17/ صفر 1199هـ، درس من والده حتى النهاية وحاز على شهادة الاجتهاد في عمره البالغ تسع عشرة سنة، شرفه أجد علي شاه ومنحه منصباً عالياً. أسست المدرسة الملكية الخاصة بجهوده، وأعطاه الملك لقب "سلطان العلماء". من مخطوطات كتبه:¹
1. صمام قاطع: رسالة في المناظرة بالفارسية تبطل عقائد أهل السنة وثبتت عداوتهم ضد أهل البيت. توجد نسخته الخطية في مكتبة الناصرية، رقم سجل المخطوطات (كلام شيعة): 152
2. عجالة نافعة: رسالة بالعربية في الكلام عن عقائد أهل الشيعة، توجد نسختها الخطية في مكتبة الناصرية، رقم سجل المخطوطات (عقائد شيعة) رقم: 61
3. سم الفار: رسالة بالفارسية في الكلام. توجد نسختها الخطية في مكتبة الناصرية، رقم سجل المخطوطات (كلام شيعة) رقم: 137
4. البرق الخاطف: هذا رد بالفارسية على "تحفة اثنا عشرية" للشاه عبد العزيز الدهلوي. خص المؤلف بالنقد باب "تحفة" المتعلق بعائشة رضي الله عنها، وكذلك انتقد عائشة رضي الله عنها في هذا الرد، توجد نسخته الخطية في مكتبة الناصرية، رقم: 28

¹ لكأؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية (خلال القرن التاسع عشر)، ص 185

5. كشف الغطاء: رسالة بالفارسية في فضائل أهل البيت. توجد نسخها الخطية في مكتبة الناصرية، رقم: 179
6. الأئمة في ضوء القرآن: توجد نسخها الخطية في مكتبة الناصرية، رقم: 112
7. رسالة استخارة: هذه رسالة بالفارسية توجد نسخها الخطية في مكتبة الناصرية، رقم: 68
8. رسالة في نجاسة الميت. توجد نسخها الخطية في مكتبة الناصرية، رقم: 126
20. السيد محمد حسين المعروف بـ"السيد ألن" بن بنده حسين: ولد في لكناؤ في الواحد من رجب 1267م، تلقى العلم على علي تقي الذي علمه الكتب الابتدائية، ثم قرأ الكتب الدراسية العالية على أبيه، تمتع بأرغد حياة وأعلى مكانة بين معاصريه. اشتغل بالتدريس وكرّس حياته لخدمة العلم، ارتحل إلى زيارة الأماكن المقدسة وحضر دروس الشيخ المزندراني الذي منحه شهادة الاجتهاد في 1301هـ. استفاد منه العلماء الأفاضل ومن أبرز مخطوطات كتبه:¹
1. رسالة كلان در غنا: رسالة بالأردية في الموسيقى والأغاني في ضوء الإسلام. توجد نسخة لها خطية في مكتبة رضا برامبور، نسخها المؤلف ذاته، رقم سجل المخطوطات لمكتبة الناصرية (شعبة إمامية) 15/11-25.
- وهذه هي المخطوطات التي ذكرها الأستاذ فيضان الله الفاروقي في كتابه الرائع "لكناؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر"، ولها أهمية كبيرة من الناحية الأدبية والدينية وتحتاج إلى مزيد من البحث والتحقيق الآن لكي يمكن إبراز مساهمة علماء لكناؤ بشكل أوسع.

¹ المصدر نفسه، ص 196

البروفيسور فيضان الله الفاروقي وكتابه:

"لكنائز مركزاً للدراسات العربية والإسلامية"

- د. محمد أجمل¹

الملخص: الأستاذ فيضان الله الفاروقي من خيرة أساتذة اللغة العربية في الهند، له خبرة أربعة عقود في تدريس اللغة العربية وآدابها، واستطاع أن يخرج جيلاً من أساتذة العربية في الهند وخارجها، يخدمون الثقافة العربية بمختلف أدوارهم وحيثياتهم، وكان ينتمي إلى الرعيل الأول من الأساتذة الذين استوعبوا أمهات الكتب العربية من العصر الجاهلي والإسلامي والعباسي ونهلوا من مناهل القدماء، واستطاع بذلك أن يكون فهماً أصيلاً للنصوص العربية الكلاسيكية، وينظر فيها نظرة الناقد الفاحص.² كان مكباً على الشعر فحفظ عن ظهر قلب، العشرات من الأبيات للشعر العربي وغيره، وباطلاعه الواسع على الأدب العربي والفارسي والأردني استطاع أن يجري مقارنة بين هذه الآداب الثلاثة، ويستخرج من بحورها كنوز العلم والفكر ودرر المعرفة والحكمة التي قلما تتوفر بين دقات الكتب.

مولده ونشأته وتعليمه: ولد الأستاذ الدكتور فيضان الله الفاروقي بن السيد سبحان الله في 5 يوليو 1952م في قرية كوربا بار بمديرية أعظم كراه في ولاية أوتارا Pradesh (الهند).³

انتقل إلى دار العلوم مؤنث بانجان للتعليم والتدريب مع خاله وهو في سن ست سنوات فقط، ورافقه نحو 6 أو 7 سنوات، ومن بداية تعليمه إلى صفوف اللغة العربية الأولى تعلم هناك ومكث في أحياء العلوم بمباركبور في مديرية أعظم كراه

¹ أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لعل نهرو، نيودلهي

² أ.د. مجيب الرحمان: "2020... عام الحزن لمسلمي الهند"، جريدة الرؤية 26 يوليو 2020م.

³ د. أوردنك زيب الأعظمي: "نبذة عن حياة الأستاذ الفاروقي" مكتوب له غير منشور ص 1

من الصف الثالث حتى الصف الرابع وقرأ كتب المرحلة الثانوية باللغة العربية.¹

درس الفاروقي من دار العلوم مؤنث بانجان بأعظم كراه في بداية مراحل التعليم كما ذكر أعلاه، ثم التحق بدار العلوم، ديوبند وتخرج فيها عام 1968م. والتحق بكلية مولانا شبلي بأعظم كراه لمتابعة تعليمه الجديد، وتعلم بها اللغة العربية والإنجليزية والتاريخ وحصل على شهادة البكالوريوس في عام 1974م. وأما شهادة الماجستير في اللغة العربية فقد حصل عليها من جامعة الله آباد عام 1976م ونال بها شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وأشرف على أطروحته الدكتور إس إم رفيق.²

حياته المهنية: في عام 1979م عين الفاروقي محاضراً في الجامعة المالية الإسلامية بنيو دلهي واستمر هنا في خدمة اللغة والأدب حتى عام 1980م. وفي شهر فبراير عام 1980م انضم الفاروقي إلى قسم اللغة العربية بجامعة بارودا في ولاية غوجرات، وعمل أستاذاً مساعداً حتى شهر فبراير 1983م. وفي شهر مارس من نفس السنة، انضم إلى جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بجيدر آباد واستمر في خدمة اللغة العربية وتطويرها حتى 1987م، ثم التحق في شهر مارس 1987م كأستاذ مشارك بجامعة جواهر لال نهرو (نيو دلهي) واستمر في المنصب حتى تمت ترقيته إلى منصب الأستاذ في شهر مارس 1997م، واشتغل فيها وصرف أقصى مجهوداته في تزويد أذهان الطلبة والباحثين بالعلم والمعرفة، وأحيل إلى المعاش في شهر يوليو 2017 من الخدمة.³

خلال مراحل المهنية والحياة التي قضاها فيضان الله الفاروقي في العمل والوظيفة فإنه حمل مسؤولية العضوية على عاتقه في مختلف المعاهد والمجامع والأكاديميات للتعليم والتربية بالهند، ثم ساهم من مشاركته في تأليف الكتب المتعددة على سبيل المثال:

¹ المفتي ثناء الهدى القاسمي: "بروفيسر فيضان الله فاروقي: هم تجهى بهلا نه پائين گے"، ملت ثائمز، مجموعة إعلامية على منصة واتساب، نشرت بتاريخ 25 يوليو 2020م.

² معلومات مأخوذة من موقع جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي.

³ د. أورنك زيب الأعظمي: "نبذة عن حياة الأستاذ الفاروقي"، ص 2.

"تاريخ اللغة العربية والفارسية، و"موسوعة الإسلام"، و"موسوعة اللغة الأردية"، و"أربعمئة عام من تاريخ التاميل نادو القديم للأدب العربي والفارسي"، و"لكنّاؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر للميلاد" والذي نحن بصدد دراسته في هذه السطور.

نشاطاته العلمية: قضى فيضان الله الفاروقي حياته كلها في تدريس العلوم الحديثة باستثناء بضع سنوات في المدارس الإسلامية بما فيها دار العلوم بمؤنثا بانجان ودار العلوم بديوبند، كما كان يتمتع بفهم جيد للعلوم والدراسات الاجتماعية وأصبح خبيراً في اللغة العربية والفارسية وعُرف به في جميع أنحاء البلاد. كتب الفاروقي العشرات من المقالات والبحوث والدراسات في اللغة العربية وآدابها، وقدم الأوراق البحثية في الندوات والمؤتمرات، ونشرها في المجالات العلمية المرموقة في البلاد وخارجها، كما كان يتمتع بقدرة كبيرة على قرض الشعر، ولكنه لم يعتبره مصدر شرف، مع كونه مشهوراً في هذا المجال، وكان من صفاته المتميزة أنه كان متديناً ومتشجعاً بأكله بزيه التقليدي الإسلامي في الهند، ولم يغير وضعه مثل العديد من الخريجين من المدارس الإسلامية بالهند، وعمل بلا كلل على تعزيز التعليم الديني الأساسي، كما أنشأ مدرسة على نفقته الخاصة في منزله الذي كان يسكن فيه مع عائلته مما استفاد منها أبناء الحي والمنطقة يسكنون فيها، وكان يختار لها معلماً كي يعلم الطلاب ويلقن لهم التربية الدينية الإسلامية.¹ وقد منحه الله تعالى ملكة جيدة في الكتابة والترجمة بلغات مختلفة، وقام بترجمة كتاب الدكتور محمد مصطفى الأعظمي بعنوان: "تاريخ تدوين القرآن الكريم" (باللغة الأوردية) الذي يحتوي على ثمانمائة صفحة، وقد قدمه للشيخ المفتي محمد سعيد أحمد البانوري، صاحب منصب الحديث بدار العلوم ديوبند، للمراجعة وكان يتنى أن ينشره من مكتبة دار العلوم بديوبند ولكن لم يتم له هذا وبقيت أمينته غير مكتملة.²

¹ المفتي ثناء الهدى القاسمي: "ملت تائمز"، 11 أغسطس 2020م.

² أبو تراب: ورقة بحثية له قدمها في ندوة وطنية عقدها مجمع الفقه الإسلامي، نيودلهي، الهند بتاريخ 26-27 ديسمبر 2020م.

الأستاذ الفاروقي الذي يعتبر بين أوساط الطلبة أستاذاً شفوفاً أثبت باطلاعه على الجزئيات من النحو والصرف والبلاغة أنه عالم واسع المعرفة في الأدب والنقد ولا سيما في الأدب الكلاسيكي من الشعر. فكان يتمتع بقدرة فائقة على فهم الشعر العربي القديم وعلى تحليله تحليلًا نقدياً، فقد كان حفظ عشرات من الأبيات من معلقة امرئ القيس وديوان الفرزدق وأبي تمام والمتنبي وديوان مير وغالب وإقبال وغيرهم الكثير، وفي معظم الأحيان كان يقارن بين أشعار المتنبي والميرزا غالب خلال تدريسه، وربما يأخذ ساعة أو ساعتين في إيضاح شعر واحد، ولا يمل الطلبة في صفه من الإطالة، بل كانوا دائماً يخرجون منه بروح جديدة تتطلع إلى اكتساب المهارة في اللغة والأدب وإلى حفظ الشعر.¹ وثم أن الأستاذ لم يقيم بتثبيت أي طالب على ما يكتب سواء أنه يعارض فكرته أو يوافق عليها. بل كان دائماً يشجعه على الكتابة ويتناول كتابات طلبته بالنقد العلمي الخالي من التحيز الذاتي أو الديني. كان الأستاذ الفاروقي يفضل الوحدة وقوفاً على المطالعة أو التدريس ولا يجلس طالب عنده إلا للمحادثة العلمية أو حلّ المشكلات اللغوية المعقدة. وفي محادثته العلمية كان بمثابة مطر يغمر الطالب بتجاربه العلمية ومطالعه الواسعة. فقد طعم من بحره عدد كبير من طلبة العلم. وله فضل كبير في صياغتهم وصناعتهم. وله مكانة خاصة في نفوس الطلاب واحترام عظيم في صدورهم.²

إنتاجاته العلمية والأدبية: قام البروفيسور المرحوم بتأليف وترجمة وتحقيق ومراجعة أكثر من عشرة كتب أبرزها: لكاناؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية (خلال القرن التاسع عشر) الذي نحن بصدد الحديث عنه في السطور التالية، وفي الواقع كتبه المؤلف باللغة الإنجليزية والذي تم نقله إلى العربية من أحد الأساتذة الشباب الهنود ونال الكتاب قبولاً حسناً في الأوساط العلمية في الهند والعالم العربي، بالإضافة إلى

¹ أ.د. محيى الرحمن: "عام الحزن لمسلمي الهند 2020م"، جريدة الرؤية، 28 يوليو 2020م.

² محمود عالم صديقي: منشور له في إحدى مجموعات الواساب في شهر أغسطس 2020م.

المؤلفات الأخرى التي كتبها في مواضيع متنوعة حسب اهتمامه بتدريسه وتحقيقه، وهي ما يلي: An Applied Grammar of Standard Arabic و Muntakhab Ahadith وأصول تحقيق وجامع أردو إنسائكلوبيديا وله أكثر من اثنتي عشرة مقالة نشرت في مختلف مجلات الهند. ومنها غالب اور متني دو بڑے شاعر" (الغالب والمتنبّي: شاعران كبيران) وهي نشرت من شبكة الألوكة في السعودية.¹

كتاب "لكنّاؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية

والآن نخوض في صلب الموضوع وهو دراسة كتاب "لكنّاؤ مركزاً للدراسات الإسلامية والعربية خلال القرن التاسع عشر الميلادي" فإن الكتاب يتركز على مدينة لكنّاؤ وما يجاورها من المدن والمناطق التي تم فيها نشر الدراسات الإسلامية في المدارس الدينية الإسلامية والمدارس التي تتولى عليها الحكومة الهندية والدراسات العربية تروجت وتطورت عن طريق دراسة اللغة العربية وبحوثها وتحقيقها.

بعد الخوض في الكتاب، تبين أنّه يشتمل على الفوائد الكثيرة والمعلومات القيّمة التي ستأخذ بأيدي المعلمين وغيرهم إلى معرفة مدى التطور العلمي والمعارف الإنسانية عبر التاريخ الهندي في منطقة القارة الهندية وخصوصاً مدينة لكنّاؤ. وأما المعلومات بخصوص مدينة لكنّاؤ وفضائلها في نشر العلوم والمعارف التي ذكرها الأستاذ الفاروقي، فإن هدى إلى أمر فإنما يهدي إلى أنّ مدينة لكنّاؤ ليست أرضاً قاحلة لا تصلح للنبت بل هي أرض خصبة وحية منتجة، مزخرقة بالعلماء الكرام الزاهدين، والمفكرين الفحول المبتكرين، والمثقفين الملهمين المتبحرين في العلوم المختلفة نقلاً وعقلاً، وفضل لكنّاؤ لم يأت من دون شيء ولكنه نتيجة جهود وتضحية علمائها، ومثابرتهم في تبليغ العلوم الإسلامية بكثرة تأليف الكتب والشروح والحواشي والتعليقات، والإتيان بالمفاهيم الجديدة المبتكرة المطابقة بالوقائع وعلى حسب مقتضى حاجة المجتمع

¹ د. أورتك زيب الأعظمي، منشور له، أعده بعد وفاته في شهر يوليو 2020م.

الإسلامي في الهند خاصة والعالم الإسلامي عامة.¹

لذلك لا شك أنّ لكناؤ تعتبر أحد المراكز العلمية المستسقة من الروح العلمية الإسلامية كما قام به المراكز العلمية المشهورة عبر التاريخ الإسلامي في المغرب وبغداد ومصر والأندلس وغيرها.

مما لا شك فيه أنّ مدينة "لكناؤ" وأريافها وضواحيها منذ فترة طويلة كانت مركز الدوائر الحكومية واعتُبرت مكاناً مرموقاً ومركزاً مهماً للعلوم والآداب وازدادت هذه الصفة بقدر كبير في القرن التاسع عشر الميلادي، وهو القرن الذي رأت فيه شوكة الحكم وجلال العلم وسحر الجمال وروعة الفن وهذا كله جعلها محطة أنظار الشعوب وبهذا خلد ذكرها في تاريخ الدول والبلاد.²

وأهمية مدينة لكناؤ وضواحيها هذه لفتت إليها نظرة الأستاذ فيضان الله الفاروقي فأخذ مجرد ناحية واحدة من مختلف نواحيها، الدراسات العربية والإسلامية، فتحدث عنها بالتفصيل وجاء بشيء يجذب ويسحر القلوب كما يثبت به درجة المدينة التي تليق بها وتجدر.

الكتاب باللغة الإنجليزية تقديم لبحث علي قدّمه الدكتور الفاروقي لنيل شهادة الدكتوراه بقسم اللغة العربية في جامعة الله آباد، الذي نقله إلى اللغة العربية الدكتور أوركناؤ زيب الأعظمي، صاحب المؤلفات الكثيرة، بأسلوبه الرصين وطريقته الشيقة مما استفاد العرب منه متطلعين على معلومات قيمة حول مدينة لكناؤ وحيويتها وحضارتها وثقافتها المرموقة التي لجأت فيها مراكز كثيرة تطورت ونشرت الدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، والقرن الذي يعتبر من أهم القرون ازدهرت فيه العلوم المتنوعة والفنون المختلفة، ومساهمتها في ترويح اللغة

¹ د. محمد خيرى بن محى الدين: "مقدمة كتاب لكناؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر الميلادي"، مؤسسة بوابة البحث والتحقيق، حيدرآباد، السند، باكستان، 2016م، ص 5

² لكناؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، كلمة المترجم، ص 7

الأوردية وآدابها خصوصاً الشعر الأوردي، كما ضُبِطت ودونت تطوراتها السياسية وتاريخها بأسلوب مكثّر ولكن هناك شيء يبقى أن يتم إجراؤها بعمل مكتوب مطبوع، الأمر الذي يعرف ويوضح دور هذه المدينة الكبير في خدمة علوم الدراسات الإسلامية وانتشار الفكرة الإسلامية وتوسيع نطاقها وتوضيح مرادها فتمس الحاجة إلى عمل جيد يقدر على رفع منزلة هذه المدينة إلى العلوّ الذي تجدر به وعلى إعطائها شهرة تتجاوز كافة إعاقات الدين والعقيدة فلا يوجد هنا عمل جيد مطبوع يستطيع بإلقاء الضوء على مساهمة لكنّاؤ المحسود عليها في الدراسة الإسلامية، عمل بارز منشور يجدر بالاستدلال به كدليل متعذر تفينده على عظمة لكنّاؤ الفاقدة النظير كمركز للدراسة الإسلامية.¹

وهذه هي العوامل التي حثّت أستاذنا فيضان الله الفاروقي ومشرفه البروفيسور س. م. رفيق على أن يشير عليه أن يتخذ هذا الموضوع عندما استشاره عن القيام بالبحث والتحقيق لنيل شهادة الدكتوراه في 1976م.

وأجرى الدكتور الفاروقي دراسته في الموضوعات العربية والإسلامية على مدى ثماني سنوات وكان يعزم على دراساته إلى حد تم القبول عليه دون أن يهتم وأن يشوش فيه. وكان أستاذه خبيراً في الموضوع وتجلّى له أنّ طالباً موهوباً مثله يمكن أن يجري بحثاً في الموضوعات العربية والإسلامية ويؤدّي حق الموضوع. ولكنه لم يتمكن من تقييم مدى صعوبة الجريان على الطريقة التي تم اختيارها له. وفوق ذلك، أنّ مشروع الدراسة الذي تم تصميمه آنذاك لم يكن يهدف إلى نوع من الدراسة التعريفية وذلك لأنّ دراسة مشبعة للأعمال العلمية خلال مدة طويلة مثل قرن هي عمل يتطلب عمراً طويلاً بأسره فلا تقدر رسالة في هذه الآثار إلا على مسح حواشيها، وعندما قام بإعادة النظر في عمله الذي يتم إكماله أثناء التقدم في هذا البحث أدرك أنه غير بارز لا تام وخلو من القدر الحقيقي فكشف له هذا الفهم والشعور إلى إجراء هذا

¹ نفس المرجع، ص 7

البحث، الأمر الذي أُنْهِىَ البحث بصورة واقعية وفعالية.¹

أما فيما يخصّ الكتاب فهو مشتمل على أربعة أبواب وتحت كل باب تأتي عناوين تابعة لها مما يحوي من التفاصيل والمعلومات فيتبع الباب الأول أصل المدينة وتاريخها وتطورها وذكر كيف تم الحصول على اسمها الحاضر وما هي الأوضاع التي تطوّرت فيها خلال عهود شتى الحكام والنوابين والملوك. ينتهي الباب بورود سعادت علي خان برهان الملك مؤسس عاصمة أوده.

ويناقش الباب الثاني بشيء من التوضيح تعريف الإسلام والدراسات الإسلامية في الهند بجانب التطور في مختلف المجالات، يتتبع هذا الباب بتعريف الإسلام في وادي السند في القرن الأول الهجري ما يوافق بالقرن الثامن الميلادي ويختتم على تأسيس الحكم الإسلامي في دلهي وكذلك جاء ذكر ورود العلماء المسلمين في الهند من مختلف البلاد خلال العهد بجانب صفة ووضع تدريس العلوم الإسلامية في البلاد حين ورودها وخلال قيامهم فيها.

وهكذا جاء ذكر عهود شمس الدين أتمش وعلاء الدين الخلجي ومحمد تغلق وإبراهيم اللودهي لكونهم أبرز السلاطين كما لمس وضع الدراسات الإسلامية في عصور الحكام الآخرين وأما العصر المغولي فقد عني بذكر التطورات لا سيما في عصري أكبر وأورنگ زيب وكذلك شعر الأستاذ الفاروقي بالحاجة إلى ذكر وتعريف التطور المبكر للدراسات الإسلامية خلال القرن الذي نحن بصددده، لتوفير منظور ملائم لتتبع تطور وتقييم هذه الدراسات في الهند الشرقية لا سيما في لكناؤ.

يقول الأستاذ الفاروقي: "لم يكن بمستطاعنا أن نهمل عن بحث شامل مفصل عن مساهمة العلماء والباحثين خلال ذلك العصر، الأمر الذي أدّى إلى بحث مفصل عن فرنغي محل وكذلك تم فصل اعتراضين أو مؤشرين إلى شتى النقائص؛ أولهما لا

¹ نفس المرجع، كلمة المؤلف، ص 10

مبالاة عامة علماء الهند عن دراسة وتدرّيس الحديث والآخّر شغلهم الشاغل بالعلوم المعقولة.¹ حاول فيه أن يبين الأسباب والبواعث على التطورات التي أدّت إلى تلك الاتهامات وهكذا عالج النظام الرائج للدراسة الإسلامية والمنهاج الدراسي في المدارس وطبيعة الدراسات خلال العهود التي يتمّ ذكرها في هذا الباب. ينتهي الباب بانتهاء القرن الثامن عشر أو فجر القرن التاسع عشر الميلادي. ولم يحاول الفاروقي أن يبلغ ختاماً عاجلاً بالطريق الذي اختاره في العمل اتبعه حتى الوصول إلى ختام فطري وعقلي. وإذا وجد نقصاً عند أيّ كاتب سابق خلال دراسته قام بتصليحه.

والباب الثالث هو الموضوع الرئيس الذي يتمحور حوله البحث. هذا يشتمل على صفة مفصلة وحية لعلماء القرن التاسع عشر ومساهماتهم فأولاً يذكر عن الحكم ثم يتبع بذكر الوضع السياسي ثم يذكر العلماء الأفاضل خلال عصر كل حاكم على حدة ومساهماتهم وأعمالهم. هذا ليس بطريقة مناسبة. وذلك لأنّ عالماً ولد خلال عهد حاكم خاص، يمكن أن يحكم رجل آخر عند شبابه كما يمكن أن يساهم هو في تطور العلوم خلال حكم ملك آخر وردّ على ذلك ضرورة صفة الجوّ السياسي والتطورات السياسية عند البحث عن الأعمال العلمية ولكنه كان مضطراً إلى اتباع السير الذي قرّره مشرفه وبالتالي اقترض أنّ عالماً خاصاً لا بد من انتمائه إلى عهد حاكم مات فيه.

يبتدئ هذا الباب ببروز حكام أودھ ويتقدم بنوهم وإنجازاتهم وينتهي بزوالهم، هذا يشمل بحثاً مفصلاً عن تطور وتقييم الدراسات الإسلامية ومساهمات كبار علماء ذلك العصر وأثرهم وكذلك تمّ ذكر العلماء الذين برزوا عند ورود العهد البريطاني والذين تسمّوا بعلماء عهد ما قبل حرب الاستقلال ومساهماتهم وضمن ذلك جاء ذكر حرب 1857م للاستقلال وعواقبها الدامية.

والكتب التي توفر الخلفية والمواد الأساسية لهذا الباب تمّ ذكرها في فهرس المراجع

¹ نفس المرجع، ص 11

ولكنه بما أنّ هذه الكتب يمكن اعتبارها من نوع الكتب الابتدائية فهي لا توفر تفاصيل مؤلفات العلماء المهمة كل التوفير. وقد اضطر إلى تفتيش مختلف المكتبات في تتبع التفاصيل المطلوبة فقد واجه كثيراً من الضيق والقلق والمصيبة وكذلك الكتب التي ظفر بها الكاتب في رفوف المدارس الإسلامية قد ثبتت مفيدة للغاية وكذا لقاءه بكار العلماء والباحثين واستفادته من مشاهداتهم ومناقشاتهم ومشوراتهم أفادته كثيراً.

لم يأل الفاروقي أيّ جهد في الحصول على التفاصيل عن كتاب وذكرها بدون زيادة منه ولا إسقاط ولكن بقي هناك عدد ملبوس من الكتب التي لم يظفر بالتفاصيل المقنعة عنها.

هناك كتب جاء ذكرها في هذا الباب وهي تحمل علامة "مطبوع" ولكنها لا تمتلك تفاصيل عن طبعها فقد ذكرها بعدما رآها في سجل مكتبة ندوة العلماء بلكاؤ فلتكون موجودة بها في صورتها المطبوعة إلا أنها لا تتوافر عند مراجعته إياها. فعثر على شيء قليل من مثل هذه الكتب في مكتبة رضا برامبور وكذلك قام بالإحالة إلى بعض نسخ الكتب الخطية ولكنها لا تعني أنها غير مطبوعة. إنما هي تعني أنه لم يجد شيئاً عن طبعها فيمكن أن قد طبع عدد منها وعلى كل حال فقد قام بتحديث العمل حتى الوسع عند طبعه ونشره، إنه يرى نسخاً خطية عديدة للكتب المطبوعة في مختلف المكتبات ولكنه فضل ألا يخوض في التفاصيل عنها مخافة تطويل هذا العمل الوجيز.

والباب الرابع يحتوي على تفاصيل الكتب في الدراسات الإسلامية العديدة. قام المؤلف بذكر هذه التفاصيل على حدة باباً باباً للعلوم والدراسات فخصص قسماً بكل مجال وذكر فهرساً من الكتب المتعلقة به بشيء من التعريف بها. لم يذكر فيه مجرد الكتب التي اقتبس منها في الباب الثالث بل تجاوزها فذكر ما لم يجيء ذكره من قبل ويختتم الكتاب هنا.

ويمكن أن يعتبر هذا العمل محاولة لتوفير مواد أساسية لمن له ولع بإعداد أيّ بحث في

هذا المجال. إنه ذكر فيها مآت من المخطوطات النادرة التي لا يعنى بها أرباب المكتبات وتركوها لتكون طعاماً للديدان. فهل من باحث يقوم فينظر إليها فيجترئ على أن يوقف عمره الثمين على تدوينها ونشرها ولو بقليل.

يصرح فيضان الله الفاروقي: "إنه أشار عليّ الباحثون وتقدم الناشرون، على أن أقوم بترجمة هذا العمل إلى الأوردية والعربية لأجل النشر وبما أن للعربية نطاقاً أوسع فإنهم أرادوا أن أنقله إليها في المستقبل القريب مع المزيد من المعلومات التي لم يتم إضافتها إلى هذه الطبعة الإنجليزية لأسباب متنوعة لا يعني هذا الموضوع ذكرها. وعلى كل حال فقد تم تحديث العمل بقدر ملبوس من المعلومات الحديثة".¹

وبعد جهد جهيد ومسافة علمية طويلة قطعها في إتيان هذه الصفحات المنتشرة اتضح له أنّ لكناؤ لا تتجاوز الحق إذا ادعت بكونها فاقدة النظير في مجال الدراسات الإسلامية في تلك الأيام فكان لهذا الإقليم الهندي منزلة فريدة منذ فجر بروزها إلى حيز الوجود، لا في مجال التعليم فحسب بل وجدها خصبة في كافة مجالات الحياة فقد تشرف، قبل العهد الإسلامي، باعتبارها مكاناً مقدساً لدى الهندوس وقد ادعى بعض رجال التاريخ أنّ أول إنسان آدم عليه السلام نزل إلى هذه الأرض كما أنّ ولده شيث عليه السلام قد أقام بها فيشار إلى أنّ قبره موجود بين فيض آباد ولكناؤ ولكنه بما أنّ الدعاوى المذكورة أعلاه لا تحظى بدليل تاريخي فلا نعطيها أهمية أكثر من هذه فيقول صاحب "حضارة الهند" فيما يلي:

"إن دولة أوده التي هي أخصب الأقاليم على الأرض تقع في شمال بنغال الغربية فيما بين نهر الكنج وسلسلة جبال هملايا الشمالية فلاهاليا الجميلة والطاهرة والقوية علاقة دموية وطيدة مع أهالي أوروبا".²

¹ نفس المرجع، ص 11-12

² نفس المرجع، ص 246

فقد جاء في أساطير الهندوس بيان عن جمال وخصوبة أودھ كما جاء في القصائد الهندوسية التي قالها عديد من الشعراء الأقدمين، ذكر جميل لعاصمة أودھ سُميت بـ"كوسالا" كما سُميت عاصمتها بـ"أيودھيا".

خلال فجر العهد الإسلامي لم يكن للکناؤ الخاصة شهرة مذكورة ولكنها احتلت منزلة ممتازة من بين مناطق الهند الأخرى فقد كانت بلغرام وكاسمندي وكاكوري وخير آباد وسيهالي وهانسواه وغيرها من القصبات مراكز مهمة لتدريس العلوم وهكذا فازت جونپور بلقب "شيراز هند".

"كان علماء فرنسي محل وسنديله يضربون على طبل "لمن الملك؟" كما رفع منطقتي سيهالي وكاسماندي هتاف "هل من مبارز؟" وكان فلاسفة خير آباد ينظمون أنفسهم في سلك التحقيق والواقعية وكان الأشارقة يتحدّون الفجر وبدت أرض بلغرام كجثة البشر بناء على إنجابه رجالاً ذوي مؤهلات وكانت أرض ميرزا بور ترفع جنباً بجنب السماء السابعة في الرفعة والعلو". فظهر أنّ مجالاً للحياة أخذته هذه المنطقة جعلته سماء عالية.

كما أصبحت قصص ترف ونظافة لكناؤ أسطورة فكذلك أثبتت أبطالها المشاكسة رجولة فائقة في حرب الاستقلال في 1857م وكما كانت لكناؤ فاقدة المثل في أعمال العبث بحيث أصبح المزج الحرّ بالرقاصات جزءاً لا ينفك من الثقافة فكذلك وجد في بيانات الکتاب المعاصرين أنّ كل عالم فيها كان يتوجه نحو ميدان الصراع في الصباح المبكر فكان يشعر كأنه لا يعيش هنا إلا رجال الصراع.

وبما أنّ المطابع تلعب دوراً مهماً في تطور وإذاعة العلم فقد احتلت لكناؤ منزلة ممتازة في هذا المجال الخاص فأولاً تم التعريف به بأيدي الأوروبيين في أيام حكم غازي الدين حيدر فصدر "زاد المعاد" و"هفت قلزم" و"تاج اللغات" وغيرها من الكتب. نظراً لهذا الوضع المتغير لفت أهالي لكناؤ أنظارهم إلى المطابع وفي مدة غير طويلة بلغ صيت لكناؤ كلّ أرجاء البلاد. وبهذا الشأن، خارج الهند والعالم الإسلامي كله وهذا من الواقع

أنهم لم يختاروا هذا الفن كتجارة بل لتسكين غليلهم وتطوير الفن وبالتالي فالكتب الدراسية العربية والفارسية التي تم طبعها من لكناؤ خلال العصر الملكي لم تكن تطبع من مكان آخر. وفي هذا العصر لم يعرف المطبع المصطفائي عن أيّ بديل له في الطبع ثم أسس منشي نول كشور مطبعته وقام لغرض التجارة بطبع كتب عربية وفارسية ذات مجلدات عديدة ضخمة لم يكن أيّ مطبع قادراً على طبعها فإنه نال علواً ورفعة بحيث إنه أحبي كافة الآداب الشرقية فقد اعترف بمنزلة لكناؤ الممتازة في سعة نطاق الطبع وجودة فعله وهذا أسفر عن توفير كافة المواد الدراسية للمناطق في كاشغر إلى بخارا في آسيا الصغرى وإيران وأفغانستان من قبل لكناؤ فحسب، فقد كان عشرون مطبعاً في لكناؤ في تلك الأيام ومن يرد التفصيل عن ذلك فليراجع "تاريخ لكناؤ" لآغا مهدي و"تاريخ صحافة الهند" لصاحبه جيه. تاتاراجان إلى أن اعتبرت جريدة "أوده أخبار" أهم جرائد الهند الشمالية كما اعتبره أهم ناشريها المقدامين.

في ضوء ما تقدّم في السطور أعلاه، فلا يتجاوز الحق والصواب إذا يتم الادعاء عليه، وبناءً على المعلومات المتوفرة في هذه الصفحات، بأنّ لكناؤ كانت مركزاً للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

وما جاء في هذه الورقة المتواضعة من الأخبار والمعلومات عن شخصية فيضان الله الفاروقي ونشاطاته ومؤهلاته وخدماته في ميدانه العلمي وتأليفه الذي يظهر من عنوان الورقة هذا الذي تناول كل ما تحوي مدينة لكناؤ والمنطقة المجاورة لها من العلم والمعرفة والثقافة والحضارة الهندية الإسلامية. مع ذلك إذا نمنع النظر في الكتاب حسب عنوانه، فهناك بعض من المواضيع قد أمهلها المصنف في جلب معلوماتها بكل دقة وإمعان على وجه المثال، موضوع "مدرسة فرنجي محل"، فالمؤلف لا يذكر في بحثه كيف استقر الفرنسي في القصر وسكنه وعاش فيه، ولكم مدة أقامها وكيف أجبر له أن يهجره حتى امتلكته عائلة الملاّ قطب الدين بعد تخلية الفرنسي، وهكذا مواضيع أخرى تحتاج إلى دقة النظر فيها.

أما فيما يتعلق بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية، فحاول المترجم الدكتور أورنك زيب الأعظمي في معظم الأماكن أن يسير مع النص، وذلك في أحسن التعبير وأصح وأحلاه. وفي بعض الأماكن يترجم المترجم عن طريق إفهام النص الأصلي ومعناه في اللغة تم نقلها إلى لغة الغاية، والمقصود منه نقل اللغة إلى اللغة الأخرى كي يتعرف أصحاب اللغة عن موضوع الكتاب والمضمون ما قام به المؤلف من معالجهما في الكتاب. وما إن ترجم المترجم إلا وهو أتم حقه قدر المستطاع، فإن الترجمة ترجمة جميلة بلغت في ذروتها من خلال قواعد النحو وتراكيبها وأشكالها ومضامينها، وطبعت من خارج الهند، باكستان، ونالت قبولاً حسناً.

وفي السطور التالية، من المستحسن أن يتم تقديم بعض النماذج من الترجمة مع ذكر اللغة الأصلية التي ترجمت إلى لغة الغاية وأن تتم مقارنة النص الأصلي الإنجليزي بالترجمة التي نقلت إليها ليعرف القارئ إلى حيث بلغ المترجم في أداء مسؤوليته في الترجمة العربية، وهل هناك تبقى سعة من النقد والتعليق على تحسين الترجمة أم لا؟

على سبيل المثال:

Sikander Lodi came to power in 894A.H. Although, his period was not more important from political point of view, yet a great progress was made in the field of education. Sheikh Abdul HaqMuhaddith of Delhi writes in Akhbarul 'Akhyar':

The reign of Sikander Lodi was a period of piety, reforms, integrity, trusts, learning and dignity. He has a great regard for 'Ulama' and the righteous, the nobles and the courteous. So many people from all corners of the world from 'Arab and 'Ajam, some by advance invitation and some without it, came during his regime and settled in this country.¹

¹ Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies during 19th Century، ص 30

ترجم المترجم النص المذكور أعلاه في أسلوب جميل شيق بالعبرة الآتية:

تولّى سكندر اللودهي الحكم في 894هـ ولو أنّ عهده لم يكن مهماً جداً من ناحية السياسة ولكنه حدث تطور كبير في مجال المعارف والتربية. يقول الشيخ عبد الحق محدث الدهلوي في كتابه "أخبار الأخيار":

"إن عهد سكندر اللودهي كان عهداً للتقوى والإصلاح والإخلاص والدراسة والكرامة. وقد وجه تكريماً بالغاً إلى العلماء والأتقياء والأفاضل والكرماء. لذلك فقد قام عدد كبير من الناس من مختلف أنحاء العالم من العرب والعجم على دعوة خاصة أو بدونها خلال حكمه وأقاموا في هذه البلاد".¹

وجاء في مكان آخر:

During the period of Sikander Lodi, considerable work was done in Persian also, several books of other languages, such as Sanskrit were rendered into Persian. In Greek medicine, a collection was prepared by the 'Ulama' of Khurasan who were invited from Khurasan. This compilation received the title of 'TibbeSikandari'. Narendra Nath Law has mentioned in detail in his book 'Promotion of Mohammeden learning in India during Mohammeden Rule'. The patronage of Sikander Lodi to education. Sheikh Abdul Haq also emphasised the educational progress of his period. After Sikander Lodi, the Lodi dynasty has no considerable importance from educational point of view.²

ترجم النص المذكور أعلاه بكل ما يحتوي عليه من خصائص الترجمة، وترتيب الكلمات ما جاء في النص الأصلي وسداجة الجمل التي توجد فيه، بنفس المنوال يوجد

¹ لكنائز مركزاً للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ص 37

² Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies during 19th Century، ص 36

في اللغة الهادفة أيضًا حتى لا يواجه القارئ أية صعوبة في إدراكه وفهمه وهو ما يلي:
"وقد ظهر إلى حيز الوجود أعمال معقولة في اللغة الفارسية أيضًا خلال عصر سكندر اللودهي فقد تم نقل عدد من كتب اللغات الأخرى من السنسكريتية إلى الفارسية وكما ظهر مجموع في الطب اليوناني بأيدي العلماء الخراسانيين الذين تمت دعوتهم من خراسان. سمي هذا المجموع بـ "الطب السكندري". ذكره السيد ناريندرا نات لا بالتفصيل في كتابه (تطورات الدراسات المحمدية في الهند خلال الحكم المحمدي). وقد أثنى الشيخ عبد الحق على تكريم وتفضيل سكندر اللودهي للدراسة. ولما توفي سكندر اللودهي لم نجد في سلالة من اهتم بالمعارف والتربية".¹
وكذلك عند ذكر مساهمة فرنسي محل في الدراسات العربية والإسلامية، يجب أن تتم الملاحظة في الفقرة التالية: وترجمتها:

In the beginning of the 12th century, a sun rose on the horizon of Sihali, and its rays illuminated every nook and corner of Lucknow and in a short time took whole of India in its grip outshining all the luminaries and is still shedding its light. I mean the famous academic centre of Firangi Mahal. Its short history is as follows:
A respected family of the 'Ansar' at resided at Sihali, a village situated at a distance of 22 km. from Lucknow in the district of Barabanki. A branch of this family was settled in Panipat. A distinguished member of this family was the famous Urdu poet and writer MaulanaAltaf Hussain Hali. A prominent of that branch of the family settled at Sihali, was Qutbudding of Sihali who was a disciple of Mulla Abdul al- Salam of Dewah and MullaDaniyal of Chauras.²

¹ لكانّاؤ مركزًا للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ص 38
² Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies during 19th Century، ص 52

ترجم المترجم العبارة المذكورة أعلاه نظراً إلى ترتيب الكلمات وتنسيقها حتى لا يظهر منه أي غموض في فهمها.

"طلع في بدء القرن الثاني عشر شمس على آفاق سيهالي، أضاءت أشعتها كل أنحاء لكّاؤ ولم تمض مدة طويلة إلا وأحاطت بكل أنحاء البلاد الهندية فائقة كل النجوم في تنويرها بل حتى الآن هي تنشر أنوارها. إنني أعني بتلك المركز العلمي الشهير "فرنغي محل". أذكر تاريخه بالإيجاز فيما يلي:

سكنت عشيرة مكومة من الأنصار في سيهالي، قرية تقع على بعد نحو 22 كليومتراً من لكّاؤ في مدينة باره بانكي. أقام فرع من هذه العشيرة في باني بات. كان الشاعر والكاتب الأردوي مولانا أطفاف حسين حالي عضواً من هذه العشيرة كما كان قطب الدين السيهالوي، الذي كان تلميذاً للملا عبد السلام الديوهي والملا دانيال التشورسي، عضواً بارزاً لفرع هذه العشيرة، عضواً بارزاً لهذه العشيرة".¹

ومحاكاة قصة الإقامة في قصر فرنغي محل والسيطرة عليه، يأتي ذكره فيما يلي:

"In the days of Emperor Akber, there was a French horse trader. When his trade license was not extended at the end of one year, he insisted on staying without permission; as a punishment, his properties were confiscated. These very buildings were awarded to the family of MullaQutbuddin by Aurangzeb, for residence."²

ترجمة العبارة التي ذكرت أعلاه، ترجمة رصينة في طريقة سهلة ستحلو للقارئ في قراءتها ولا يوجد فيها مشكلة في فهمها.

"كان هناك تاجر فرنسي للجياد في عهد الإمبراطور أكبر. لما لم يوسع في رخصته على

¹ لكّاؤمركزاً للدراسات العربية والإسلامية العربية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ص 54

² Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies during 19th Century، ص 53

نهاية السنة الأولى وأصرّ على القيام بدون الرخصة، فصودرت عقاراته عقاباً لذلك. فهذه البيوت الجميلة أعطيت كجائزة لعشيرة الملاّ قطب الدين من قبل أورنغ زيب للسكن فيها".¹

جملة القول: يبدو من هذه الأمثلة من الترجمة للكّاب مما قننا بدراسته في هذه الورقة المتواضعة، أن الأستاذ فيضان الله الفاروقي كان من أساتذة اللغة العربية وآدابها الذين أنجبهم الهند في القرن العشرين والذين كرّسوا جهودهم في خدمة اللغة العربية ونشرها في البلاد. ومن خلال دراسة تأليفه "لكتاؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر الميلادي"، كشف لنا الغيوم التي احتجبت آفاق الهند من العلم والمعرفة من خلال علمائها ومراكزها ومعاهدها ومدارسها ومؤسساتها ومطابعها التي نشرت العربية ودراساتها مما يتعلق بعلوم القرآن والحديث والفقه والعلوم الأخرى. أما الترجمة العربية للكّاب التي قام بها الدكتور أورنك زيب الأعظمي الذي يخدم اللغة العربية منذ أكثر من عشر سنين، فهي ترجمة فريدة من نوعها ورصينة شكلاً ومضموناً وبها تعرّف العلماء والباحثون على ما اختفى في الهند من كنوز العلم والمعرفة والأخص بالذكر مدينة لكتاؤ وما يجاورها من المناطق والأقاليم، تقبلها الله قبولاً حسناً.

¹ لكتاؤ مركزاً للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ص 55

لکناؤ مرکز للدراسات العربية والإسلامية (خلال القرن التاسع عشر الميلادي) استعراض وتحليل

- د. جمشید أحمد الندوي¹

البروفيسور فیضان الله الفاروقي (2020م) من أساتذة اللغة العربية الهنود الذين شغلوا أنفسهم طول حياتهم بنشر اللغة العربية وتطويرها إما بحاضراته أو مؤلفاته أو بمراجعاته لبحوث الأساتذة ورسائل الباحثين. ولقد كان، أيام حياته، مرجعاً للأساتذة ومصدراً للباحثين الهنود والأجانب في جامعته وفي بيته بدلهي الجديدة. فاستفاد منه جيلٌ علميٌ ممتاز في جامعات الهند وخارجها، واعترفوا بجانبه العلمي الجليل هذا. خلف الأستاذ المرحوم آثاراً قيّمة في اللغة العربية والإنجليزية والأردوية التي هي لغته الأم.

ومن أهم مؤلفاته "لکناؤ مرکز للدراسات العربية والإسلامية (خلال القرن التاسع عشر الميلادي)"، نشرته مؤسسة بوابة البحث والتحقيق بحيدرآباد (السند، باكستان) في 2016م. وهو يشتمل على مقدمة وأربعة أبواب في 258 صفحة.

والجدیر بالذكر أنّ هذا الكتاب ألف باللغة الإنجليزية وعنوانه: "Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies during the 19th century" وهو رسالة دكتوراه قدّمت إلى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إله آباد تحت إشراف الأستاذ محمد رفيق رحمّة الله سنة 1982م وبعد مدة طويلة أصدرها فلاح دارين ترست (قسم الطباعة) بنیو دلهي سنة 1999م. وقد قام بتعريب الكتاب ومراجعتها

¹ رئيس قسم اللغة العربية وآدابها سابقاً، جامعة مومباي، مومباي، مهاراشترا

الدكتور أورنک زيب الأعظمي کما قدّم له الدكتور محمد خيرى بن محي الدين من جامعة العلوم الإسلامية الماليزية.

إنّ هذا الكتاب يقّدّم لنا مساهمة العلماء الهنود في تطور اللغة العربية والدراسات الإسلامية من القرن الثامن الميلادي إلى الثامن عشر الميلادي بالتركيز على مساهمتهم في القرن التاسع عشر الميلادي.

يبدأ الكتاب بكلمة الناشر بشير أحمد درس رئيس مؤسسة بوابة البحث والتحقيق بجيدر آباد (السند، باكستان) التي أشار فيها إلى أهداف المؤسسة وشكر للمترجم تقديم هذه الترجمة للنشر والطباعة کما وجّه الشكر إلى الدكتور محمد خيرى على تقديمه للكتاب (ص 3-4).

إنّ الدكتور محمد خيرى بن محي الدين، أحد أعضاء جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، أبرز في مقدمته أهمية الكتاب فقال: "فبعد متابعة هذا الكتاب وجدته مشتملاً على الفوائد الكثيرة والمعلومات القيّمة التي ستأخذ بأيدي المتعلمين وغيرهم إلى معرفة مدى التطور العلمي والمعارف الإنسانية عبر التاريخ الهندي في منطقة القارة الهندية" (ص 5) وسوّى مساهمة لکناؤ بمساهمة بغداد والمغرب ومصر والأندلس في تطوير العلوم العربية والإسلامية ثم كتب: "... كانت لکناؤ مركزاً علمياً محترماً لدى المجتمع الإسلامي شرقاً وغرباً. ولذا يعتبر علماء لکناؤ كالشجرة وعلومهم كالثمرة يأكل منها الناس جميعاً، كلّ على حسب حاجته: الروحية أو العقلية". (ص 6)

وأشار المترجم (الدكتور أورنک زيب الأعظمي) إلى أهمية الكتاب المذكور والحاجة إلى ترجمته باللغة العربية والأردوية ومنهجه فقال: "وبما أنّ المحاولة كانت جيدة وكانت تفقد نظيرها في العربية والأردوية فقد طلب الباحثون من مؤلفه الفاضل أن ينقله إليهما لإفاضة الجميع ففوّضه إليّ وامثلت بأمره وها هي ذي ترجمته العربية وسأقوم بترجمته الأردوية في المستقبل القريب إن شاء الله الحكيم القدير". (ص 8)

وقال: "ولم أنقله إلى العربية فقط بل قُتُّ بمراجعته حسب المستطاع ويعون من الشيخ المحترم فبدلنا وزدنا حيث مَسَّت الحاجة كما أَقننا الاعوجاج الذي وقع في الطبعة الإنجليزية والآن جاء الكتاب في صورته الحديثة". (الصفحة ذاتها)

وإنَّ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ قد أشار في تقديمه إلى حاجة دراسةٍ شاملةٍ قيمةٍ لمساهمة لكتاؤ/أوده في تطوير العلوم العربية والإسلامية واستشارته مشرفه البروفيسور س. م. رفيق رَحِمَهُ اللهُ عن موضوع رسالته للدكتوراه في يوليو سنة 1976م فحُثَّه أن يختار الموضوع المذكور أعلاه فاختاره لسدِّ الفراغ وإبراز مساهمة لكتاؤ/أوده في تطوير العلوم العربية والإسلامية في صياغة علمية متوفرة.

وقد ذكر المؤلف في تقديمه خطة بحثه ومنهج دراسته بالتفصيل. فينقسم الكتاب، حسب خطة البحث، إلى أربعة أبواب كما يلي:

الباب الأول: لكتاؤ: أصلها وتطوُّرها (ص 15-23)

الباب الثاني: تعريف بالدراسات العربية والإسلامية في الهند بخصوص لكتاؤ (من القرن الثامن الميلادي إلى القرن التاسع عشر الميلادي) (ص 24-74)

الباب الثالث: وضع الدراسات العربية والإسلامية في لكتاؤ خلال القرن التاسع عشر الميلادي (ص 75-202)

الباب الرابع: لمحة عن الآثار القيمة لعلماء لكتاؤ في مختلف مجالات الدراسات الإسلامية والعربية خلال القرن (ص 203-245).

حينما نتصفح الكتاب نجد فيه سوى الأبواب المذكورة العناوين الأخرى مثل: كلمة الناشر (ص 3-4)، ومقدمة (ص 5-6)، وكلمة المترجم (ص 7-8)، وكلمة المؤلف (ص 9-14)، واختتام (ص 246-248)، وثبت بالمصادر والمراجع (ص 249-255)، وفهرس المحتويات (ص 256-258).

إنّ الباب الأول "لکناؤ: أصلها وتطورها" باب تمهيدي قام فيه المؤلف بتعريف مدينة "لکناؤ" في ضوء المصادر القديمة والحديثة وذكر سبب تسميتها وموقعها الجغرافي ونبذة من تاريخها المضيء وحضارتها وثقافتها حتى القرن الثامن عشر بأشد الإيجاز.

فقال إنّ اللغة العربية انتشرت في لکناؤ بعد مجيء الملاً نظام الدين رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَيْهَا خلال بحثه ولكن أظن هذا القول ليس بصائب إذ اللغة العربية قد انتشرت قبل مجيء الملاً نظام الدين رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى لکناؤ وقد سبقه عدد كبير من علماء اللغة العربية.

والباب الثاني يعرف بالدراسات العربية والإسلامية في الهند عامة وفي لکناؤ خاصة فألقى المؤلف نظرة عابرة على مساهمة العلماء الهنود عن اللغة العربية وآدابها بصفة عامة ومساهمة علماء لکناؤ في تطوير اللغة العربية وآدابها بصفة خاصة من القرن الثامن الميلادي إلى القرن التاسع عشر الميلادي.

ففي بداية الباب ذكر المؤلف بعض علماء السند ومحدثيها مثل الربيع بن صبيح السعدي البصري وأبي معشر نجیح (ت 170هـ/786م) صاحب "کتاب المغازي" والمحدث رجاء السندي بأشد الإيجاز واكتفى بسرد أسماء بعض علماء السند ومحدثيها.

وبعد ذلك أشار إلى تطور الدراسات الإسلامية خلال العهد الغزنوي واكتفى بذكر الشيخ إسماعيل (ت 448هـ)، والشيخ الهجویری المعروف بداتا غنج بخش (ت 1072م) صاحب "كشف المحجوب".

ثم ذكر مساهمة العلماء الهنود في الدراسات العربية والإسلامية خلال الدولة الإسلامية في دلهي ولكن اكتفى بسرد أسماء العلماء الموجودين في ذلك العهد إلا القاضي حميد الدين الناغوري (ت 605هـ) والشيخ جمال الدين التبريزي، والشيخ برهان الدين محمود (ت 887هـ)، وکمال الدين زاهد.

وبعد ذلك ألقى الضوء على تطور الدراسات العربية والإسلامية بأشد الإيجاز خلال

عصر محمد تغلق وفيروز شاه تغلق وعصر سكندر اللودهي والولايات الأخرى التي أسست خارج دلهي مثل غولبرغه وييدر وقندهار ودولة آباد ومالوه وغيرها وذكر موجزاً بعض علماء تلك العصور من مثل معين الدين العمراني والقاضي المقتدر (ت 791هـ) والشيخ أحمد التهانيسري والشيخ عبد العزيز الأردبيلي والشيخ عبدالعزيز والشيخ عبد الله من العصر التغلقي.

ثم قام المؤلف بدراسة تطوّر الدراسات العربية والإسلامية في إمبراطورية المغول وبعد سقوطها وذكر بعض علماء ذلك العصر أمثال فتح الله الشيرازي ومير زاهد وتلاميذه عشيرة القاضي مبارك والشاه ولي الله الدهلوي.

وفي نهاية الباب ألقى الضوء على مراكز الدراسات العربية والعربية في المشرق وعلمائها بالإيجاز وهي بدايون، وكارا، وأوده عامة ولكتاؤ خاصة. ورکز الكاتب دراسته على تطور الدراسات العربية والإسلامية في مدينة لكّاؤ فذكر ثلاثة مدارس لكّاؤ التي أدّت دوراً كبيراً في تطورها وهي مدرسة الشيخ أعظم الثاني ومدرسة السيد جلال الدين البخاري (ت 840هـ) ومدرسة الشيخ سماء الدين اللكاوي مع الإمام بمساهمة مدرسة الشاه بير محمد (ت 1080هـ/1668م) في تطور الدراسات العربية والعربية. وبعد ذلك ألقى نظرة عابرة على الدراسات الإسلامية في لكّاؤ خلال القرن الثاني عشر وذكر أسباب اختيار هذا القرن بأنّ الدراسات الإسلامية بلغت أوجها في الهند ولا سيما في لكّاؤ، ولكن اكتفى بسرد أسماء علماء القرن المذكور.

وبعد سرد أسمائهم ألقى الضوء على مساهمة مدرسة شهيرة في لكّاؤ وهي "فرنغي محل" في تطور الدراسات الإسلامية والعربية مع الإمام بنبذة من حياة مؤسسها وتاريخها وخلفيتها. ثم كتب عن تطور علم الحديث الشريف في الهند وقام بتقييم مساهمة العلماء الهنود في تطور العلوم العقلية موجزاً مع الإمام بالمنهاج الدراسي في بدء تاريخ الهند الإسلامية. وقسمه في

جزئين: المنهاج الدراسي في مدارس غجرات والمنهاج الدراسي في مدارس دلهي.

يبدو من عنوان الباب أنّ هذه الدراسة الموجزة ستحيط بمساهمة علماء القرن الثامن الميلادي حتى القرن التاسع عشر الميلادي في تطور اللغة العربية وآدابها ولكننا نجد أنّ المؤلف قد ألقى الضوء على قيام الحكم الإسلامي بالهند ومؤسسيها عبر العصور أكثر من ذكر مساهمة العلماء في تطور الدراسات العربية والإسلامية مع الإشارة إلى تأسيس بعض المدارس والأوضاع العلمية والتعليمية- خاصة في العصر المغولي- في العصور المذكورة آنفاً.

والجدير بالذكر أنّ المؤلف قد صحّح بعض الأخطاء التاريخية، على سبيل المثال، أقام تاريخ وفاة جمال الدين التبريزي سنة 642هـ بأنه لقي ابن بطوطة سنة 744 هـ (ص 27).

وكما كتب في الصفحة 37 "إني سأناقش فيما بعد أعمالهما وإسهاماتهما" (أي الشيخ عبد العزيز والشيخ عبد الله)، وفي الصفحة 39 "وسنذكر فيما بعد إنجازاته بالتفصيل" لكن لم يكتب شيئاً عنهم في الصفحات التالية إلا أنه اكتفى بترجمة موجزة للشيخ عبد العزيز (1167-1191هـ) في الباب الثالث. (ص 86)

وفي الباب الثالث ركّز المؤلف على ذكر وضع الدراسات العربية والإسلامية في لكّاو خلال القرن التاسع عشر الميلادي وحدّد عصر دراسته منذ رمضان 1214هـ حتى شوال 1317هـ.

ففي بداية الباب كتب عن قيام مملكة أوده ومؤسسيها النواب سعادت خان برهان الملك وحكامها الآخرين وألقى الضوء على الجوانب الاجتماعية والدينية في عصور بعضهم مثل آصف الدولة وسعادت علي خان وغيرهما وذكر سببه كما يلي: "قد ناقشنا في أوائل الباب هذه الرسالة تاريخ أوده الفكري والسياسي بخصوص لكّاو والآن نتناول عوائد وخسائر لكّاو بعد قيام مملكة أوده في مجالات السياسة والثقافة والاجتماع، وهكذا لكي نرسم بها صورة مبهمة لجوّ ذلك العصر ومع هذا فإنّ هذه

الخلفية واجبة كجلا نعتبر جو لكتاؤ الاجتماعي والفكري في القرن التاسع عشر الميلادي اتفاقاً أو أسطورياً". (ص 75)

ولقد كتب المؤلف تراجم موجزة للعلماء الموجودين في تلك العصور على سبيل المثال أحمد عبد الحق بن الملا سعيد (1103-1187هـ) والشيخ عزيز الله (1167-1191هـ) والملا محمد حسن بن غلام مصطفى (ت 1209 هـ) من علماء عصر آصف الدولة، والملا عبد العلي بحر العلوم (1142-1225هـ) والملا مبین بن الملا حبيب الله (ت 1225هـ) والشيخ أحمد بن يعقوب والعلامة تفضل حسين خان (ت 1215 هـ) والميرزا حسن علي المحدث (ت 1226هـ) من علماء عصر سعادت علي خان، والسيد دلدار علي غفران مآب (1166-1235هـ) والعلامة أنوار الحق (1150-1236هـ) وحسن بن إبراهيم (ت 1241هـ) والشيخ عبد الأعلى والسيد مهدي بن غفران مآب (1208-1231هـ) والميرزا نغر الدين (ت 1230هـ) وإحسان الله بن الملا نعيم (ت 1234هـ) وعلاؤ الدين أحمد بن أنوار الحق (ت 1242هـ) من علماء عصر غازي حيدر شاه زمان، وأمين الله (ت 1253هـ) وعبد الرحمن بن محمد حسن (1161-1245هـ) والميرزا كاظم علي (ت 1249هـ) ومحمد أشرف بن نعمة الله (ت 1244هـ) والميرزا محمد رفيع ومرضى علي حسين بن مصطفى (1250هـ) من علماء عصر الملك نصير الدين حيدر (1243-1253هـ)، وحيدر بن الملا مبین (ت 1256هـ) والميرزا جواد علي (1174-؟؟هـ) والميرزا حسن علي الشافعي (ت 1255هـ) والمفتي ظهور الله بن الملا محمد ولي (1174-1256هـ) والمفتي محمد أصغر ومعين بن الملا مبین من علماء عصر أبي الفتح معين الدين محمد علي شاه (1253-1258هـ/1837-1842م)، والسيد علي بن غفران مآب (1200-1259هـ) والمفتي محمد قلي بن السيد محمد حسين (1188-1260هـ) والملا محمد مهدي بن محمد شفيع (ت 1259هـ) والسيد حسن بن غفران مآب (1205-1260هـ) ونور الله بن الملا ولي (ت 1261هـ) من علماء عصر أمجد علي شاه

(1253-1263هـ)، وخادم أحمد بن حيدر (ت 1217هـ) والنواب سبحان علي والسيد علي بن صفدر شاه (1269-1277هـ) هكذا وهو وهم، والميرزا محمد ذكي بن جواد علي (1272هـ) ومولانا محمد علي والسيد حسين بن دلدار علي (1211-1267هـ) ومولانا ولي الله بن حبيب الله (ت 1270هـ) من علماء عصر واجد علي شاه (1263-1272هـ/1847-1856).

ينبغي للمؤلف أن لا يذكر بعض العلماء المذكورين أعلاه مثل أحمد عبد الحق بن الملا سعيد (1103-1187هـ) والشيخ عبد العزيز (1167-1191هـ) والملا محمد حسن بن غلام مصطفى (ت 1209هـ) بأنه حدّد عصر دراسته أي منذ رمضان 1214هـ. وبعد ذلك ألقى نظرة عابرة على تطور الدراسات الإسلامية بعد حرب الاستقلال مع الإشارة إلى ثلاثة دوافع وهي التي أدّت دوراً كبيراً في تطوير الدراسات الإسلامية وكذا أشار إلى دور علماء فرنسي محل في تطويرها ومكانة المآثر العلمية لعلماء ذلك العصر.

إنّ الأستاذ الفاروقي قد عيّن مكانة مساهمة العلماء الهنود في تطوير الدراسات الإسلامية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر قبل ذكر تراجم العلماء قائلاً: "مع هذا الازدهار الواضح يبدو أنّ لكتاؤ لم تقدّم عملاً يمكن اعتباره عملاً ذا سمعة دولية. والشيء الثاني الذي هو أهم من ذلك أنّ كافة علماء هذا العصر يرون أتباعاً عمياناً ... فقصروا أنفسهم في كتابة الحواشي والتعليقات على مؤلفات القدامى أو تأليف الشروح لأعمالهم فكان هذا الطريق الوحيد لإبراز أفكارهم وتحقيقاتهم". (ص 138-139)

وبعد نقل ترجمة موجزة لـ 55 عالماً أشار إلى منهجه لاختيار تلك التراجم فكتب في نهاية المبحث: "هذا فهرس وجيز للعلماء الذين تألّفوا في سماء لكتاؤ خلال هذا القرن. لم أودّ أن أحيط بكافة العلماء ومساهماتهم فقد حاولت أن اعتني بالألّيفوتي عالم بارز قام بدور قيادي مع ذكر مساهماتهم وإخلاصهم وعكوفهم على خدمة الدراسات

الإسلامية. فقد أردت بهذه الدراسة أن أرى مدى تأثيرها في بناء مركز تعليمي في لكتاؤ". (ص 202)

في هذا المبحث كتب الأستاذ ترجمة موجزة لعلماء ذلك العصر مع سرد أسماء مؤلفاتهم وهم الملا أبو الحسن محمد صالح (ت 1282هـ) والسيد إنجاز حسين الكنتوري (1240-1286هـ) والسيد أحمد علي محمد آبادي (ت 1295هـ) والسيد محمد إبراهيم بن محمد تقي (1254-1307هـ) والسيد أبو الحسن بن بنده حسين (1268-؟؟هـ) والسيد أبو الحسن بن السيد علي شاه (1220-1313هـ) والسيد أبو الحسن (1266-1342هـ) والسيد إفهام الله بن ولي الله (ت 1316هـ) والقاضي أنور علي (ت 1303هـ) والسيد بديع الزمان (1250-1304هـ) والحكيم بنده حسن بن إمام بخش (1233-1305هـ) والسيد بنده حسين (ت 1294هـ) من أولاد السيد محمد بن دلدار علي والسيد باقر بن محمد (1241-1276هـ) والسيد تراب علي بن شجاعت علي (؟؟) والسيد جمال الدين بن علاء الدين (ت 1276هـ) والسيد حفيظ الله بن حبيب الله (ت 1279هـ) والسيد محمد تقي ممتاز العلماء (1234-1289هـ) والميرزا رضا علي (ت 1334هـ) والسيد سبط حسين بن رمضان علي (؟؟) والسيد جعفر (1289-1310هـ) وحيدر علي (؟؟) والسيد حامد حسين الكنتوري (1246-1308هـ) والمفتي عباس بن السيد علي أكبر (1224-1306هـ) والعلامة عبد الحي الفرنغي محلي (ت 1304هـ) والشيخ رحمة الله بن نور الله (ت 1305هـ) والسيد أمان الحق بن نور الحق والشيخ ظهور علي بن حيدر علي الأنصاري (ت 1275هـ) وعبد الحكيم بن عبد الرب (ت 1286هـ) وعبد الحلیم بن أمان الله (1239-1285هـ) ومير السيد علي بن السيد محمد (ت 1305هـ) والسيد علي محمد بن السيد محمد سلطان العلماء (1262-1312هـ) وعلي میان کامل بن السيد أحمد (1215-1332هـ) والسيد علي أكبر بن السيد محمد (1249-1327هـ) وكمال الدين بن السيد نظام الدين الموهاني (ت 1299هـ) والسيد

مرتضى بن السيد محمد سلطان العلماء (ت 1276هـ) والسيد محمد هادي بن محمد مهدي (1248-1276هـ) والسيد محمد بن دلدار علي غفران مآب (1199-1284هـ) ولطف الله بن عبد الله (ت 1297هـ) والمفتي نعمة الله بن نور الله (ت 1299هـ) والسيد مهدي بن هادي (ت 1277هـ) وهادي علي بن حسين علي (ت 1281هـ) ومراد الله بن نعمة الله (ت 1303هـ) ونعيم الله بن حبيب الله (1200-1282هـ) والمفتي يوسف بن أصغر (1223-1286هـ) والسيد محمد بن المفتي عباس (ت 1313هـ) ومحمد مصطفى المعروف بمير آغا بن عمدة العلماء (1252-1323هـ) ومحمد حسين بن السيد حسين (1275-1337هـ) والسيد محمد حسين المعروف بالسيد الن بن بنده حسين (1267-؟؟هـ) ومحمد حسن بن السيد حسين (1276-؟؟هـ) والسيد نصير حسين بن حامد حسي الشيعي (1284-؟؟هـ) والسيد محمد هادي بن محمد مهدي (1275-1288هـ) وعبد الرزاق بن جمال الدين (1237-1307هـ) وعبد العزيز بن عبد الرحيم (ت 1338هـ) والسيد فتح محمد (ت 1327هـ) وشمس العلماء محمد نعيم بن عبد الحكيم (ت 1318هـ).

ينبغي للمؤلف ألا يعنون المبحث المذكور أعلاه بـ"الدراسات الإسلامية بعد حرب الاستقلال" لأن الذهن يتبادر فوراً إلى أن الكاتب سيستعرض مساهمة العلماء الهنود في تطوير الدراسات الإسلامية في القرن العشرين بأن الهند قد نالت الاستقلال في نهاية النصف الأول من القرن العشرين أي 15 أغسطس سنة 1947م. أظن أن مراد الكاتب من العنوان المذكور هو عرض تطور الدراسات الإسلامية في القرن التاسع عشر كما يبدو من قول الأستاذ في بداية المبحث: "وفي الصفحات التالية نناقش العلماء وإنجازاتهم بعد حرب استقلال 1857م... وعلى كل حال أقدم فيما يلي فهرساً للأعمال التي برزت في لكتاؤ عن الدراسات الإسلامية منذ 1856م مع سيرة موجزة لأصحابها" (ص 139) فأجدر بالأستاذ أن يعنون هذا المبحث بـ"الدراسات الإسلامية بعد حرب استقلال 1857م".

والباب الرابع يحيط بالآثار القيمة لعلماء لكأؤ في مختلف مجالات الدراسات الإسلامية والعربية خلال القرن. هذا الباب باب رئيسي للكتاب وينقسم إلى أحد عشر قسمًا كما يلي:

القسم الأول: التفسير: هذا القسم يذكر 23 كتابًا ونذكر منها المؤلفات العربية فقط وهي حاشية البيضاوي للمفتي شرف الدين الأعظمي اللكاوي وحاشية البيضاوي لعبد الحكيم الأنصاري الفرني محلي وروائع القرآن للمفتي عباس.

القسم الثاني: الحديث: قسم المؤلف هذا القسم إلى جزئين:

(الألف) أعمال طائفة أهل السنة (20 كتابًا): هذا الجزء يحتوي 20 كتابًا وذكر منها الكتب العربية للشيخ عبد الحي الفرني محلي فحسب وهي كما يلي:

خير الخبر في أذان خير البشر، إمام الكلام فيما يتعلق بالقرأة خلف الإمام، غيث الغمام على حواشي إمام الكلام، نزهة الفكر في سبحة الذكر، النفحة في تحشية النزهة، التعليق الممجد على مؤطا الإمام محمد، حاشية الحصن الحصين، والآثار المرفوعة في الأحاديث المرفوعة.

(الباء) مجموع أحاديث الطائفة الشيعية: في هذا الجزء ذكر فيه 7 كتب ولكن لم يشر فيه المؤلف إلى أيّ كتاب عربي.

القسم الثالث: أصول الحديث وهو ينقسم إلى جزئين:

ففي القسم الأول ذكر كتب أصول الحديث حسب عقائد أهل السنة، وسرد أسماء 7 كتب عربية فحسب وهي ظفر الأمان، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للشيخ عبد الحي الفرني محلي، رسالة في تقسيمات الحديث، النسبة المثناة بالتكرير، شرح الضابطة للشيخ بحر العلوم عبد العلي، كلمات الحق للصوفي عبد الرحمن، ومعراج نامة للشيخ ظهور علي الفرني محلي.

وفي القسم الثاني ذكر 4 كتب في أصول الحديث حسب عقائد الشيعة ومنها رسالة في الجمع بين الأخبار للشيخ محمد باقر بن محمد أكمل باللغة العربية.

القسم الرابع: الفقه: إن المؤلف قسم هذا القسم إلى جزئين أيضاً ففي القسم الأول ذكر 73 كتاباً في فقه أهل السنة. ونذكر منها بعض الكتب العربية فحسب وهي الرسالة في الزوال، معرفة وقت الزوال وفيء الزوال للشيخ خادم أحمد، تحفة النبلاء في جماعة النساء، أكام النفائس في أداء الأذكار بلسان فارس، الإنصاف في حكم الاعتكاف، السعاية (شرح شرح الوقاية)، وعمدة الرعاية (شرح النصف الأول لشرح الوقاية في مجلدين) للعلامة عبدالحلي الفرغني محلي.

والقسم الثاني يحتوي 60 كتاباً في الفقه الشيعي ونذكر منها بعض المؤلفات العربية فحسب وهي رسالة في إثبات الجمعة والجماعة عند غيبة الإمام (اسم المؤلف غير مذكور)، رسالة الطهارة (اسم المؤلف غير مذكور)، المثالية في إثبات التصاوير العكسية للشيخ علي محمد بن محمد، مناهج التدقيق ومعارج التحقيق للسيد حسين بن دلدار علي، إرشاد المبتدئين للسيد تقي، بشارة الشيعة في المسائل الشرعية للملا مهدي بن هادي، رسالة في أحكام الأرضين للشيخ دلدار علي غفران مآب، رسالة في أحكام العقود للشيخ محمد باقر بن محمد أكمل.

والجدير بالذكر أنّ المؤلف ذكر عديداً من الكتب العربية في جزئي القسم الرابع.

القسم الخامس: أصول الفقه: ينقسم هذا القسم إلى الأجزاء الآتية:

(الألف) أصول الفقه السني: ذكر فيه 10 كتب ومنها قر الأقار للشيخ عبد الحلیم بن أمين الله، حاشية توضيح تلويح للشيخ سعد الدين التفتازاني، شرح مسلم الثبوت للملا حسن الفرغني محلي، شرح مسلم الثبوت للملا مبین بن محب الله، وشرح مسلم الثبوت للشيخ أحمد عبد الحق الفرغني محلي باللغة العربية.

(الباء) أصول الفقه الشيعي: ذكر فيه 18 كتاباً ومنها شرح زبدة الأصول للعلامة أحمد

بن محمد الأردبيلي، ثمرة الفؤاد للملا مهدي بن شفيع، رسالة في إثبات حجية الظن إذا لم يحصل العلم للشيخ محمد باقر بن محمد أكل، ورسالة في الاجتهاد والأخبار وما يتعلق بهما ودفع الشبهات فيها للشيخ محمد باقر بن محمد أكل وغير ذلك باللغة العربية.

(الحليم) إثبات التقليد: ذكر فيه ثلاثة كتب ومنها القول السديد في إثبات التقليد للشيخ فتح الله بن محمد باللغة العربية.

(المدال) الفرائض: سرد المؤلف فيه أسماء ثمانية كتب أربعة منها باللغة العربية وهي ضوء السراج للقاضي أنور علي، حاشية السراجي للعلامة عبد الحي الفرنجي محلي، حاشية السراجي للشيخ عبد الباري الفرنجي محلي، تعليقات شريفة للعلامة عبد الحي الفرنجي محلي، وخلاصة الفرائض للشيخ نعيم الله الفرنجي محلي.

القسم السادس: التصوف: ذكر فيه 18 كتاباً نصفها باللغة العربية على سبيل المثال منح المدينة في مختارات الصوفية للشيخ عبد الباقي بن علي محمد الأنصاري، عمدة الوسائل لكشف الفضائل للشيخ عبد الرزاق بن جمال الدين، التنزيلات الستة للشيخ عبد العلي بحر العلوم، تحلية للشيخ عبد الحليم الفرنجي محلي، ومفتاح التوحيد للصوفي عبد الرحمن.

القسم السابع: الكلام والعقائد: قسم المؤلف هذا القسم إلى أربعة أجزاء:

(الألف) الكلام والعقائد: سرد المؤلف فيه ستة وخمسين كتاباً بعضها باللغة العربية وهي تشييد المطاعن للمفتي محمد قلي خان الكنتوري، قسالة في دفع شبهات النصاري للسيد محمد هادي بن مهدي، رسالة في رد شبهات الإخباريين للشيخ مرزا كاظم علي، رسالة في الكلام للسيد علي بن دلدار علي، الشعلة الجواله للمفتي محمد عباس، الشهاب الثاقب للسيد دلدار علي، عماد الإسلام للسيد دلدار علي، الفوائد الحسينية للسيد حسين بن دلدار علي، ونور الأنوار في رد أصل الأخبار للمفتي محمد عباس.

(الباء) المؤلفات ضد فكرة أهل التشيع: ذكر المؤلف خمسة كتب ولكن لم يصرح عن

لغة أيّ كتاب.

(الجيم) المؤلفات ضد النصرانية: ذكر المؤلف سبعة كتب ولكن لم يصرح عن لغتها سوى واحد وهو باللغة الأردوية.

(الدال) شروح الكتب القديمة مع الكتب المستقلة بذواتها لأهل السنة: ذكر المؤلف تحت العنوان المذكور ثلاثة وعشرين كتاباً بعضها بالعربية وهي حلّ المعاهد للشيخ عبد الحلیم بن أمين الله الفرغی محلي، نظم الدرر في سلك شق القمر للمؤلف نفسه، زجر الناس عن إنكار ابن عباس للعلامة عبد الحي الفرغی محلي، والآيات البينات على وجود الأنبياء في الطبقات للمؤلف نفسه.

القسم الثامن: المنطق: قسم المؤلف هذا القسم إلى ثلاثة أجزاء:

(الألف) المنطق: ذكر فيه 8 كتب واحد منها باللغة العربية وهو غاية العلوم ومعارج الفهوم للملا حسن بن غلام مصطفى.

(الباء) شروح وحواشٍ على الكتب الدراسية في المنطق: سرد المؤلف 37 كتاباً وأوضح أنها ألّفت باللغة العربية.

(الجيم) المؤلفات في الفلسفة اليونانية: ذكر فيه المؤلف 10 كتب ولكن لم يشر إلى لغتها.

القسم التاسع: النحو والصرف العربي: وهو ينقسم إلى جزئين:

(الألف) النحو العربي: ذكرت فيه ستة كتب اثنان منها باللغة العربية: إزالة الجمد عن إعراب أكل الحمد للعلامة عبد الحي الفرغی محلي وخير الكلام في تصحيح كلام الملوك ملوك الكلام (هكذا) للمؤلف نفسه.

(الباء) الصرف: نجد فيه ذكر 13 كتاباً ولم نجد فيه أيّ كتاب بالعربية.

القسم العاشر يحتوي 12 كتاباً في الأدب العربي ومعظمها باللغة العربية.

القسم الحادي عشر: كتب التاريخ والتراجم: قسم المؤلف هذا القسم إلى خمسة أجزاء: (الألف) تاريخ السياسة (6 كتب). ذكر المؤلف كتاباً واحداً باللغة العربية تحت الجزء في التاريخ السياسي لأوده وهو سبيكة الذهب للحكيم علي أكبر بن مختار.

(الباء) المؤلفات في حادث كربلاء: ذكر المؤلف 7 كتب تحت الجزء أربعة منها باللغة العربية وهي ضياء الأبصار للسيد أكبر علي، إثارة الحزن للسيد دلدار علي، المجالس المفجعة للسيد حسن بن دلدار علي (في مجلدين)، ورسالة لمجهول في ذكر مصائب كربلاء التي واجهها الإمام حسين.

(الجيم) البليوغرافيات: ذكر المؤلف كتابين تحت الجزء وأولهما كشف الحجب والأستار للسيد إعجاز حسين الكنتوري باللغة العربية وثانيهما رفع الحجب عن أسامي الكتب للشيخ أحمد حسين باللغة الأردوية.

(الذال) تراجم العلماء والصوفية (30 كتاباً): ذكر المؤلف 15 كتاباً باللغة العربية منها شذور العقيان في تراجم الأعيان للسيد إعجاز حسين الكنتوري، تذكرة العلماء للشيخ محمد أشرف بن نعمة الله، الفوائد البهية للعلامة عبد الحي الفرنغي محلي، طرب الأمائل في تراجم الأفاضل، التعليقات السنية، والنافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير للمؤلف نفسه وكتب أخرى للعلامة عبد الحي الفرنغي محلي.

إنّ الأستاذ الفاروقي ذكر "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للسيد الحكيم عبد الحي (الاسم الحديث: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام) وقرّره أحسن كتب وأبرزها في الموضوع ولكنه لا يأتي تحت الموضوع المحدد (ص 243).

(هاء) سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذكر المؤلف فيه أربعة كتب واحد منها باللغة العربية وهو رسالة المعراج للشيخ ظهور بن حيدر علي الأنصاري.

ذكر الأستاذ الفاروقي رَحِمَهُ اللَّهُ تحت هذا العنوان سيرة النبي للعلامة شبلي النعماني

وأشار إلى سبب ذكره قائلاً: "كتاب فاقد النظير في سيرة النبي. ذكرته في فهرس مؤلفات علماء لكتاؤ لعلاقته الودية مع لكتاؤ وإلا فالعلامة من علماء أعظم كره". (ص 244) ولكن ينبغي له ألا يذكر هنا سيرة النبي لأنّ هذا يفتح باباً لتسلل العدد الكثير من الكتب التي لا تتعلق بهذا القسم.

وبعد سرد أسماء كتب السيرة النبوية ذكر تحت الجزء المذكور ثلاثة كتب للشيخ عبد الحلیم شرر في سير أعظم الإسلام.

وفي نهاية المبحث صرح الكاتب أنّ هناك يوجد بعض الموضوعات الأخرى لكن لم يقد بدراسته مع ذكر سببه فيقول: "وبجانب هذه العلوم الإسلامية الشهيرة هناك كتب لا تخص في الموضوعات الأخرى المناسبة مثل البلاغة، والمعجم، وعلم العروض، والطب وما شابهها، صرفت النظر عنها بما أنّها لا تتعلق بالدراسات الإسلامية إلا قليلاً، وبالرغم من هذا فنه الفصاحة وشجرة الأمانی لمحمد حسن قتيل في البلاغة بالفارسية، وشجرة العروض، روضة القوافي لمظفر علي أثير في علم العروض بالفارسية، فقه اللسان لكرامت حسين الكتوري في استخراج الكلمات الذي هو نوع من أنواع صنع المعاجم، وتاج اللغات معجم أردوي-عربي لوجيه الدين اللكتاوي كتب تجدر بالذكر الخاص". (ص 244-245)

وبعد ذلك ذكر الكاتب مصادره الأساسية (9 كتب) تحت العنوان "الكتب التي راجعتها في إعداد هذا الباب". (ص 245) أظن أنّ هذا المكان لا يليق بذكر المصادر. فلو أوجب ذكرها هنا فينبغي له أن يذكرها في الهامش.

يبدو من عنوان الباب الرابع أنّ الكاتب سيقوم باستعراض المؤلفات المهمة لعلماء لكتاؤ في مختلف مجالات الدراسات الإسلامية والعربية خلال القرن ولكننا حينما نتصفح الباب نجد أنّ المؤلف اكتفى بسرد عنوان الكتاب في كل قسم مع ذكر لغته أي في لغة كتب ذلك الكتاب عامة، وكما أشار إلى عدد من الكتب بأنه مطبوع أم مخطوط.

وكذا يجدر بالذكر أنّ أكثر الكتب المذكورة في الباب الرابع ألّفت باللغة الفارسية أو الأردوية، والمؤلفات العربية المذكورة في الباب قليلة.
وفي نهاية الكتاب حرّر الكاتب "اختتام" وتلّص فيه الكتاب.

وبعد ذلك ذكر مصادره ومراجعته من الكتب الفارسية والأردوية والإنكليزية والعربية وقسمها تحت عناوين "التاريخ السياسي"، "التاريخ الثقافي"، "التاريخ العلمي" و"كتب التراجم"، "البليوغرافياوات"، "عامّة الكتب" "فهارس الكتب" و"المجلات".

تتألج البحث: تخلصنا بعد هذا العرض السريع للكتاب إلى ما يلي:

أولاً: أنّ هذا الكتاب رسالة الدكتوراه قدّمت إلى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إله آباد في 1982م لنيل شهادة الدكتوراه.

وثانياً: أنّ من ميزاته اعتناء المؤلف بتحديد مواليد ووفيات الأعلام المذكورين في الكتاب إلا أنّ اكتفائه في بعض المواضع بذكر مواليد أو وفيات الأعلام طبقاً للهجرة يلبس على القاري.

وثالثاً: أنه دراسة موجزة في الموضوع تحتاج إلى من ينهض فيفصلها في مجلدات.

ورابعاً: أنه أداة ناجحة لمن يريد دراسة شاملة لمساهمة لكتاؤ في القرن التاسع عشر الميلادي.
وخامساً: أنه بريء من الأخطاء المطبعية إلا القليل النادر.

تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، دراسة تحليلية

- أ. د. فيضان الله الفاروقي¹

إنّ اللغة دعامة أساسية يرسو عليها كيان الحياة الاجتماعية متحضرة كانت أم بدوية. وهي في شكلها الملفوظ أو المكتوب أداة عجيبة تنتقل بها الأشياء التي تقع عليها حواسنا، إلى أذهاننا. فكل ما بين السماء والأرض من مشاهد ومناظر سواء كانت صوراً فكرية أم خيالية تنتقل بصورة عجيبة إلى الذهن بواسطة الكتابة أو اللفظ وكذلك كلّ ما يتندر إلى الذهن من خواطر ومشاعر وأفكار تنتقل هي الأخرى إلى الآخرين ومن عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل بهذه الوسطة الهامة أي اللغة، إذّا فاللغة هي الجسر الذي يوصل ما بين الفكرة والحياة فأول فكرة تبتدر إلى الذهن تكون مجردة لتتحول إلى شيء محقق معهود فيما بعد. فإذا أردنا نقل هذا الشيء المحقق المعهود إلى الآخرين فلن نجد لذلك من سبيل إلا اللغة. وإنني حينما كنت أقوم بالبحث عن اللغة وقوامها إذ خطرت ببالي فكرة قد تكون مبتكرة إلى حد ما. وهو "ما هي الصلة بين اللغة وقواعدها؟ فتلك هي النقطة التي أريد أن أعرضها للنقاش في هذه العجالة لكي استفيد من آراء النقاد وعلماء اللغة الأفاضل المتخصصين بهذه الصناعة.

كلّ منا يعرف أنّ القواعد لأي لغة من اللغات لا تنشأ إلا إذا تطل اللغة قائمة على أصولها مستقلة إلى حد كبير في تعبيراتها ومعانيها. وذلك لأنّ القواعد تستنبط قوانينها من كلام الناطقين بها. فإذا لم تكن اللغة كاملة فلا تكتمل قواعدها أيضاً وهي تبقى ناقصة. تنشأ اللغة أولاً فتزدهر وتترقى وإذا صارت تلك اللغة الحديثة الناشئة وسيلة التعبير لقوم أو مجتمع وبكلمة أخرى إذا صارت التعبيرات معترفاً بها من مجتمع أو قوم فيضع ذلك المجتمع أصولاً وضوابط للغة ويسجلها تسجيلًا. ولكن قد يسأل أحد

¹ شخصية يختص بسيرتها وأعمالها هذا العدد

إذا كانت اللغة مستقلة مكتفية بالذات قبل وجود قواعدها فلماذا توضع القواعد؟ وما الحاجة إليها؟ وما هي الصلة بينها وبين اللغة؟ وما الفائدة فيها؟ اعتقد أنه يمكن الإجابة على هذه الأسئلة إذا أمعنا النظر في نشوء اللغة وطريق نموّها ورقيّها. فنحن نعلم أنّ اللغة هي وسيلة التعبير الاجتماعي وتُتأثر بحدوث المجتمع وتُتصل بحياة شعب من الشعوب في احتياجاته المادية والمعنوية وترسم فيها صورة بنيته الخصبّة أو العقيمة وتنعزل معه إذا انعزل وتختلط معه إذا اختلط بغيره من الشعوب. ثم هي ترافقه مختلف ساحات حياته الفكرية وقضاياها الثقافية والأدبية فكل مجتمع أو شعب يتحرّك دائماً وإن لم تكن حركته في معنى التقدم بالضبط بل قد يكون التحرك تردّياً وأشكاساً حسب ظروفه الطبيعية والسياسية فتختلف لغة شعب من غيره حسب الظروف الذاتية لكلّ شعب من الشعوب وإنها تتفاوت في سرعة الازدهار والانتشار حسب تفاوت ارتقاء المجتمعات. فهذا المجتمع يتقدم إلى التطور العقلي والنهضة الفكرية فترافقه لغته وتقدم هي الأخرى جنباً لجنب حسب رقيّ ذلك المجتمع. وذلك المجتمع يتخلف ويتمدن فيصاب بالجمول والتشتت لسبب من الأسباب فلغته لا تستطيع أن تجاري الحياة وتكفل عن تعبيرات أصحابها فتغلب عليها لغة أجنبية غلبة قد تقضي على حياتها وتحلّ محلّها وهكذا يسوق تطور هذه اللغة إلى الفناء والانقراض. فلخص القول أنه لا بدّ من التطور على كلّ حال. والأمر الثاني أنّ لغة ما مهما كان نوعها لا تنشأ ولا تنتعش بين عشية أو ضحاها بل تستغرق فترة غير قصيرة من الزمن للانتعاش والاستقرار والتقدم والازدهار وذلك لأنّ الكلمات والتعابير تتردد وتكرّر أولاً بصورة عملية بين أفراد الشعب. فإذا أصبح ذلك المجتمع قادراً على التعبير عن عواطفه ومشاعره وتوفّرت عنده كلمات بعدد لا بأس به للتعبير عن الأشياء الخارجية والمعاني المبتكرة والأخيلة البديعة عندئذ تصبح اللغة قائمة على أصولها، مستقلة في تعبيراتها وألفاظها، كاملة في معانيها، غنية بثروتها ومادتها، مكتفية بذاتها. ولا شك أنّ هذه العملية لا تتم إلا في فترة من الزمن غير قصيرة.

فيبدو أنّ هذه الكلمات أو التراكيب التي أصبحت وسيلة التعبير الاجتماعي وذريعة الإفهام والتفهم بعد التجربة الطويلة والتعب الكثير وعملية الحكّ والاختيار لا يدعها المجتمع عرضة للضياع بل إنه يصونها ويحافظ على بقائها ويحميها عن أيّ عادية من عوادي الزمن لئلا تخالطها التجارب التعبيرية الأخرى والمحاولات غير الناجحة فتلتبس المعاني وتفقد اللغة مميزاتا التعبيرية واستقلالها الذاتي أو شخصيتها المستقلة فإذا دأبت اللغة تقبل كلّ تجربة تعبيرية شخصية حديثة وعملية تمرينية صبيانية عابرة فلن تبقى أبداً وسيلة التعبير الاجتماعي بل يدبّ إليها، بصورة تدريجية، التفكك والانحلال، وهذه الظاهرة قد تؤدي بها إلى فقدان القطعية في التعبيرات. فالقواعد النحوية والصرفية تساعد في صيانة هذه القطعية والحفاظ على تقويم التعبيرات وتقييمها وإنها تجعل اللغة واضحة الدلالة، بيئة المعاني، صريحة في تعيين المدلولات. أما من ناحية الفوائد فإنها تفيد، في المرتبة الأولى، الناطقين بتلك اللغة فإنهم يسهلون من تعدد التعبير كما أنها تقيّم من الخطأ التعبيري. وإن انحرّف أحدٌ عن الطريق القديم المتعين رفضه المجتمع واعتبره ركيك التعبير وسقيمه. فرأينا أنّ للقواعد منافع جمة على غاية من الأهمية والخطورة ولولاها لفسدت الألسن واللغات معاً. فإنها تضبط اللغة وتسددها وتكفّف أفراد المجتمع أو الشعب برعاية القوانين اللغوية والالتزام لها عند استخدام هذه اللغة.

لقد مرّت اللغة العربية أيضاً بهذه المراحل الابتدائية في طريقها إلى الازدهار الكامل قبل أن تضبط قوانينها في العهد الأموي. مضينا نسمع أنّ النحو العربي قد وُضع ودوّن لصيانة القرآن الكريم من اللحن والخطأ التعبيري وذلك عندما دخل الإسلام إلى البلاد غير العربية واعتنقت الأمم العجمية الإسلام ديناً وخالط العرب الأعاجم فقد العرب شيئاً من سليقتهم اللغوية الفطرية فبدأ اللحن يظهر في كلامهم حتى تعدّى من محادثاتهم اليومية إلى تلاوة القرآن الكريم. فأحسّ المصلحون المهتمون بأمر الأمة بضرورة وضع قوانين تصون رعايتها من الخطأ التعبيري اللغوي. وذلك أمرٌ لا يخامرهم

شك ولا نزاع فكلنا يعترف بأن النحو العربي قد دَوّن لصيانة القرآن الكريم من اللحن والخطأ ولكن كيف وبأية طريقة؟ لأنه لم يسمع قط بأن باحثاً درس سائر أصول النحو والصرف لأجل دراسة القرآن الكريم، وثانياً أنه لم يستوعب القرآن الكريم نفسه سائر المواد النحوية والصرفية الضخمة التي نجدها متراكمة اليوم في الكتب النحوية والصرفية إذن فالغرض من صيانة القرآن لم يكن إلا صيانة لغته، ذلك لأن اللغة إذا أصبحت محددة المعاني، صريحة التعبير، منضبطة بالأصول، ملتزمة القوانين كان لزماً على كل من يتلقى القرآن الكريم تلاوة ودراسة أن يراعي تلك الأصول الموضوعية للغة القرآن الكريم. فعنى صيانة القرآن الكريم في الحقيقة هو صيانة اللغة العربية الفصحى من اللهجات العامية الأخرى التي كانت شائعة آنذاك بين القبائل المتجاورة بالبلاد العجمية أو في داخل جزيرة العرب. وفي القرون المتلاحقة أغنت المعاجم القرآنية وترجمات القرآن الكريم عن أن يدرس المراء اللغة العربية أولاً لغرض تلاوة القرآن الكريم فقط. ففي عصرنا هذا نشاهد ملايين من المسلمين يتلون القرآن الكريم ليلاً ونهاراً ويحفظونه عن ظهر قلوبهم وإنهم لا يعرفون اللغة العربية حتى كلمة واحدة منها ودع عنك إتقانهم لها. ومع ذلك لا يجحد أحد بأنه لولا القرآن الكريم لضاعت اللغة العربية أو لانقسمت على الأقل إلى لهجات ولغات مستقلة مختلفة وفي القرن الراهن إنما يشكّل القرآن وحده العامل الوحيد المؤثر الذي يضمن اللغة العربية أن لا تصبح عرضة للضياع والفناء. فالاعتقاد بقدسية ألفاظه لعب دوراً هاماً في الإبقاء على اللغة العربية بكلماتها وتلفظ حروفها وسائر عناصرها ومحتوياتها فلولا ذلك لأدى الأمر إلى ظهور لغات محلية عديدة في مختلف البلاد العربية المتطورة نحو التباين والاستقلال. فاتضح مما ذكرنا آنفاً أن قواعد النحو لم توضع ولم تضبط إلا لتقويم اللغة وتسديدها وللحفاظ على تعبيراتها. ولكن من الذي يرتكب الخطأ والحن؟ ومن يخاف على ضياع القرآن الكريم واللغة؟ هل كان ذلك الشخص فرداً من الناطقين بالعربية أم من الذين كانوا غير العرب ولم يكونوا ينطقون

باللغة العربية كلغة أمّهم. اعتقد أنا شخصياً أنّ الذين فسدت ألسنتهم فلتحنوا وأخطأوا في التعبيرات هم أناس من العرب أنفسهم....! أي أفراد من الناطقين بالعربية نفسها. ولست أقول ذلك جزافاً خبط عشواء بل التاريخ العلمي على ما أقول شهيد، والعقل والتحليل النقدي دليل قاطع على ما أميل إليه. وهذا إذا لم يكن للغة مقياس لغوي يقاس عليه اللغة ليمارس كلّ أحد تجاربه الشخصية التعبيرية ويخلطها باللغة ويعتبر تجربته صحيحة مستقيمة ويرجو من المخاطب أن يفهم من مقاله ما يريد هو بنفسه أن يقول، تاركاً وراء ظهره ما عينه اللغوي من التعبير لذلك اللفظ أو التركيب. وهذه التعبيرات الشخصية إذا اختلقت باللغة لتفسدها وتفقددها جمالها وبهاءها وروعها وهاكم مثلاً "نادت سلبى حسنى" هذه الجملة مركبة من فعل وفاعل ومفعول، أما الاسمان فهما من الأسماء المنقوصة لا تصلح إلا للإعراب المحلي. فكيف تميّز الفاعل من المفعول؟ لأنّ الوسيلة إليه فقط الإعراب اللفظي. وهو متعذر التحقيق في مثل هذه الجمل. فمثل هذه الأحوال وضع النحو قاعدة وجوب تقديم الفاعل على المفعول وشروطها لئلا يلتبس الأمر. فإن لم يتبع أحد هذه القاعدة وقدم المفعول على الفاعل فلا يكون كلامه مفهوماً حسب ما يريد هو من جملة. لماذا؟ لأنّ القاعدة متعينة فلا يلتبس الأمر في تعيين الفاعل والمفعول ومن المعلوم أنّ أمثال هذه الأخطاء لا تصدر إلا من قبل الناطقين بتلك اللغة في أول الأمر زعماً منهم بأنهم أصحاب سليقة فطرية تهديهم إلى الصواب في أغلب الأحوال فالقواعد النحوية والصرفية تصون اللغة في المرتبة الأولى من أمثال هؤلاء الأذعياء...أذعياء السليقة واللسن....، وترشدتهم إلى الصواب والسداد وإذا وضعت قاعدة لغة من اللغات فلا يراد بها في بدء الأمر إلا تقويم اللغة وتسديدها والمحافظة على أصالتها وإرشاد الناشئين المخطئين من أفراد القوم أنفسهم لا من الأجانب. أما القوانين والقواعد فهي إذا وضعت مرة أفادت كلّ من يراعيها ويتقيد بها سواء أ كان من أفراد القوم أم من الأجانب على السواء.

ومن هنا يبدأ البحث الذي كنت أريد أن أعرضه للنقاش وهو يتعلق بالذي لا يعرف اللغة هبك مثلاً اللغة العربية بالنسبة للهندي الذي يريد أن يتعلمها ويتقنها فماذا عسى أن يفعل يا ترى؟ أي كيف يدرس هذا الأجنبي اللغة العربية وإلى أي حدّ تساعده هذه القواعد النحوية والصرفية؟ فأقول في هذا الصدد إنه إذا وضعت الأصول والقوانين للغة من اللغات فإنها تنفع كلّ من يستخدمها سواء في ذلك أصحابها والأجانب! ولكن السبيل إلى استخدامها بالنسبة للأجنبي؟ وفيما يستخدم؟ أما الشق الثاني فجوابه بسيط لا يحتاج إلى التحليل. وذلك أنّ القواعد إنما تستخدم في اللغة فعني ذلك أنّ اللغة هي شيء آخر واستخدام الأصول فيها حقيقة مستقلة أخرى. أو في تعبير آخر اللغة حقيقة مستقلة بذاتها أما القواعد فليست من عناصرها الداخلية. وعلى هذا الأساس فالطالب الذي يدرس القواعد فقط ليس من الضروري أن يصبح ملماً باللغة بمعناها الكامل بحيث يتقنها إتقان من يدرسها بصفتها "اللغة" فاللغة، كما صرح به الأخصائيون، تتألف من أربعة أجزاء وهي: الأصوات والكلمات والتراكيب واللهجات. أما الأصوات فتمثلها الحروف، والحروف إذا ما ربطت بعضها ببعض تشكل الكلمات وكل لغة تدل على معنى مخصوص. وعندما تقترب الكلمات بعضها ببعض بتوازن وانسجام يتولد منه هذا النسيج اللفظي الذي يدلّ حسب اصطلاح النحوي على كلام مفيد أو جملة مفيدة فإن تلفظ أحد هذا المركب اللفظي من فيه يسمى الصوت والطريقة التي يصوت بها. وبما أنّ طريقة إخراج الصوت من الفم يختلف عادة من فرد إلى فرد كذلك يختلف من قبيلة إلى قبيلة أو قوم إلى قوم أو شعب إلى شعب أو بيئة إلى بيئة. لأنّ كل هذه البيئات إنما هي أجزاء مركبة من الأفراد. ومن هنا يأتي اختلاف اللهجات في لغة واحدة ولكن الواقع يبقى واحداً وهو أنّ اللغة تتألف من هذه العناصر كلها، أما القواعد النحوية فهي تتعلق بكلّ جزء من هذه الأجزاء بشكل مباشر أو غير مباشر. فاللغة حقيقة ذاتية بنفسها وأما القواعد فإنها عوارض. وملخص كل ما ذكرناه أنّ القواعد ليست

نفس اللغة ولا هي من أجزائها الداخلية التي تتألف منها اللغة. فدراسة النحو والصرف إذن ليست دراسة اللغة نفسها لما تفيد دراسته تقويم اللغة لمن يعرف اللغة. أما الذي لا يعرف اللغة فعليه أن يعدّ العدة ويقوم بتعلم اللغة مستقلاً كتعلمه للنحو والصرف كمادة مستقلة ولا يخدع نفسه أنه، بدراسته للقواعد، يدرس اللغة أيضاً في وقت واحد، أما الطريقة المثلى لتتقن لغة أجنبية ولا سيما اللغة العربية في مناطق نائية من مهد العروبة هي أن تتلقاها بالطريقة الفطرية الطبيعية، كما يتلقى الصبي لغة أمه ولن يتأتاه ذلك إلا بطريق خلق الجو اللغوي في الفصل وخارج الفصل ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساءً ولكن هل هذه الغاية سهلة الإدراك بمسيرة التحقيق؟ كلا، وفيما يتعلق بالجو داخل الفصل فيمكن خلقه إلى حدّ ما ولكن من يتولّى خلق الجو اللغوي خارج الفصل؟ والمراد بالجو اللغوي أن يعرض الكلمات العربية مفرداً، مركبة على الدارس مرة بعد مرة مستمداً بصلة أو إشارة بمعنى الكلمات يستمع إليها الدارس بأذن صاغية وذكرة واعية وعناية تامة حتى ترسخ الكلمات في ذهنه وإذا ترسخت فسوف تجري تلك الكلمات على لسانه عند الحاجة. هذا هو المنهج الفطري ونسميه الطريقة المباشرة. ولكنه، كما ذكرنا آنفاً، قد يتعذر تحقيقها في ديارنا، إما لقلة الوسائل التدريسية أو لقلة المدرسين المتدربين على هذه الطريقة المتعودين على هذا المنهج. فبقي لنا الطريقة الثانية وهي تدريس اللغة بواسطة الكتب وهذا منهج غير فطري، إنه اكتسابي في هيأته وأصله. ولكنه قد عمّ بيننا هذا المنهج وشاع شيوعاً لتدريس اللغات الأجنبية وإني سأتناول هذا المنهج بالبحث والتحليل عسى أن نهتدي إلى الحق سبيلاً.

في المنهج الطبيعي إنما يركّز، بصفة خاصة، على الاستماع ولكن في المنهج الاكتسابي لا بدّ من معرفة الكتابة والقراءة فوق المنهج الأول فإذا تعمّقنا في دراسة هذا المنهج التدريسي وجدناه على نوعين: إما أن تتخذ اللغة أساس التدريس أو تستخدم القواعد النحوية كوسيلة لتعليم اللغة. أما أنا فأميل إلى اختيار المنهج الأول على حين تعتمد معظم معاهدنا العربية على المنهج الثاني في تعليمها اللغة بحيث تقوم هذه المعاهد بتدريس الأصول اللغوية أولاً وتبذل مجهوداتها

القصوى في ترسيخ الأصول في أذهان الطلبة ربما عن طريق الحفظ للقواعد ولكن إلى أية غاية تؤدي هذه الطريقة؟ يصبح الطالب متضلعاً بالقواعد النحوية والصرفية إلى حد كبير بحيث يتمكن من التمييز بين حسن التعبير وقبحه، وبين صحته وركاكته في ضوء القواعد. ولكنه نادراً ما يستطيع أن يكتب من عنده ولو بضعة أسطر باللغة العربية بحيث تطابق القواعد من النحو والصرف فضلاً عن كتابتها، أي تلك السطور، بأسلوب أدبي رصين. أما عند التكلم وهو يواجه الناس فإنه قد يصبح أعيا منه بأقل فلا تبس بنت شفثيه بجملة أو جملة. وليس في ذلك من الغرابة شيء لأنّ المرجو من أمثال هؤلاء الطلبة هو إتقانهم وحفظهم للقواعد فقط وقد فعلوه فامتلكوا ناصية النحو.

ويمكن لهم شريطة تزويدهم بمعاني الكلمات ومفاهيم التعبيرات أن يقرأوا ويفهموا بيسر وسهولة أكثر ما يحتوي الأدب العربي من شعر ونثر فني ولكنهم مع ذلك يعوزهم التكلم والتخاطب، لماذا؟ لأنّ التكلم كذلك الكتابة بمعنى الإنشاء الفني لا تتحقق بواسطة المقروء أو المعلوم من الكلمات والقواعد اللغوية بل بصلاحيّة المرء لاستخدام الألفاظ والكلمات والقواعد التي قد يحفظها عن ظهر قلب في سبك جمل مفيدة وصياغة تعبيرات فنية مؤثرة إذا اقتضت الضرورة إلى استخدامها بكل سهولة ويسر بدون أدنى توقف وعسر وتلعم وذلك مطلب لن يتأتى بدون الممارسة التامة المضنية وذلك القدر من معرفة الكلمات لا يكفي كما أسفنا لتحقيق الغرض المنشود. وهو الطلاقة والبراعة في المحادثة والكتابة. لذلك نرى معظم الخريجين من المدارس الدينية العربية في ديارنا كذلك طلبة القسم العربي للجامعات العصرية أنهم لا يحسنون المحادثة وربما لا يستطيعونها أصلاً لأنهم قد اكتفوا بصورة نظرية مألوقة بهذا القدر من معرفة اللغة فيقرأون ويفهمون طبعاً ولكنهم لا يكتبون ولا يتكلمون عملياً. فإذا أردنا أن يتقن طالبنا التكلم أيضاً يجب علينا إعادة النظر في مناهجنا الدارسية من جديد لكي يتحقق لنا بعض ما ننويه من التدريس وننشده ولذلك فإنّ أول ما يجب علينا عمله هو تعيين الهدف المنشود ثم تحديد المدة التدريسية لتحقيق الهدف والغاية،

وفي الأخير مدى معرفة الهدف. هذه هي ثلاث نقاط أساسية لا مندوحة عنها لمن يريد أن يضع المنهج الدراسي على أساس التقصي والتروي، والبحث والفحص العلميين. أما تعيين الهدف فهو معلوم وهو معرفة اللغة العربية بحيث يقدر الطالب على فهم العبارات العربية إلى حد ما وقراءتها والتكلم بها. أما النقطة الثانية فهي تتعلق بمدة التدريس، واستحسن أن لا أتناولها الآن ونحن في خضم البحث. لأنّ المدة تختلف باختلاف أوضاع الدارسين وظروفهم وهم على أنواع شتى فهذا طالب شاب نشيط يخصّص ست ساعات كل يوم للدراسة إذ ليس له شغل إلا الدراسة. وذلك كهل موظف في أحد المكاتب الرسمية لا يطيق تفريغ أكثر من ثلاث ساعات أو أربع على الأكثر في الأسبوع. وإنه بعد طول شغل المكتب المضني الذي أنهك قواه الذهنية والفكرية عملياً فغلب عليه النسيان وخافته قوة الحافظة ووهنت قوة إدراكه وتفهمه، لا يتمكن بطبيعة الأوضاع والظروف من التفرغ إلى التكرس للدراسة ولو حاول جهد طاقته، كدأب ذلك الشاب النضر الذي يخجز ما عليه من التعلم والتلقن في الموعد المحدّد له بدون أدنى إعياء أو كلال. فليخص القول أنّ المدة تختلف باختلاف الأوضاع والأحوال. إنمّا المهم هو إنجاز الهدف المنشود وخير القيام بهذا الإنجاز وبيانه فيما يلي:

نفرض أنّ الطالب له معرفة بالحروف العربية ويستطيع القراءة والكتابة ويريد تعلم اللغة. واللغة العربية، كما هو المعلوم، خضم زاهر وبحر موج لا حدّ له ولا قرار، تتجوّج فيه آلاف الألفاظ ومئات التعبيرات ومن كل نوع وصنف فأيّ الألفاظ وأيّ العدد منها ومن التعبيرات المختلفة نعلّمها هذا الطالب؟ سؤال هامّ لا شك فيه. ومن هنا تأتي ضرورة تحديد العدد الذي ندرّسه ذلك الطالب، حسب احتياجه ووفق متطلبات ظروفه وأوضاعه. فما هو هذا العدد المحدّد يا ترى؟ وذلك الحد في رأيي القدرة على التعبير الكامل عما يجول في الخواطر والأفكار والتفاهم التام في اللغة العربية. وهذا القدر من معرفة اللغة يمكن الحصول عليه عملياً إذا وفّرنا للطالب قدر

ألفی كلمة مختارة من الكلمات المستخدمة في شتى حقول الحياة وفي الشؤون اليومية للبيئة العربية. فإن استزاد أحدٌ في ضوء بيئته الخاصة ومهنته الشخصية توفر له خمسمئة كلمة أخرى حسب ضروراته الشخصية. على كل حال لا يتجاوز عدد الكلمات ألفين وخمسمئة كلمة على الأكثر. إلا أنّ رهطاً من الإخصائيين يحدّد عدد الكلمات التي يحتاج إليها المرء في التعبير عن شؤونه اليومية في ألف وخمسمئة كلمة سواء أ كانت اللغة أمه أم كانت لغة أجنبية. ويرى أنّ الطالب الذي زوّد بهذا العدد من الكلمات يجب أن يتمكن من التعبير عن الذهن والتفهم للغة شريطة أن كانت الكلمات قد رسيخت في وعيه واستقرت في ذهنه. وهناك فئة أخرى تقول: إنّ أربعة آلاف كلمة يزوّد بها طالب على مستوى وسط من الذكاء وقوة الحفظ، تكفي للكتابة في أيّ موضوع أدبياً كان أو علمياً. والتعبير والترجمة عن ومن أيّ موضوع إلى اللغة العربية إذا ما توفرت له البيئة المناسبة والظروف الملائمة والمساعدة للنوعين من العلم.

ولنأخذ الآن طريق نظم هذه الكلمات أي القواعد وطريق تدريسها فالقواعد العربية تدرس على وجهين؛ أولاً من حيث الفن وثانياً كوسيلة لإتقان اللغة ودراستها وتقويمها. أما إذا تناولها أحدٌ كفّن فيجب عليه أن يستوعب دراسة كل ما فيها من الجزئيات والكلمات كما عليه أن يعرف اختلاف المذاهب النحوية وآراء كل المدارس المتباينة في المسائل المختلف فيها. فإن قام بدراستها على هذا المتوال فإنه يجد لشدة دهشته أنّ هذا الفن يتحول في نهاية المطاف إلى الفلسفة الفنية ولا يكتسب الدراس شيئاً من علم مرجو بل يرجع بخفي حنين بعد هذا الجهد المكلّ والتعب المنهك، ويظل تائهاً في دنيا الآراء المتضاربة والنظريات المتباينة يخبط خبط عشواء دون أن يهتدي إلى الحق والصواب سبيلاً. أما إذا تناولها كوسيلة لإتقان اللغة لا كفّن من الفنون فكما أكدت عليه أكثر من مرة بأنّ اللغة غير القواعد، والقواعد ليست من أسرة اللغة فعلى هذا يجب علينا أن نعطي كلّ ذي حقّ حقّه ونبحث أولاً التناسب الطبيعي بين اللغة وقواعدها ونقيم الوزن بالقسط بين تدريس اللغة وتدريس

قواعدها بصورة ملائمة متزنة فإذا أكدنا على تدريس اللغة أكثر من حقها فعسى أن يودّي هذا التأكد إلى الخطأ التعبيري النحوي وإذا أكثرنا من تدريس القواعد عسى أن تفوتنا اللغة ويصبح الدراس نحويًا محضًا.

كثيراً ما فكّرت في مسألة القواعد وتدريسها أي ما هو القدر الضروري من القواعد التي لا مندوحة عنها للطالب الذي يريد تعلم اللغة إلى حد التعبير الكامل فوجدتها ممكنة التوزيع فيما بين خمس وعشرين وثلاثين قاعدة إذا كان الهدف هو تعلم اللغة كما قدّمناه. وليس هذا التحديد من نسج الخيال ولا هو خبط عشواء اللهم إلا أنه مستفاد من التجربة التدريسية الطويلة. كما حصل لي نفس العدد نتيجة لما جمعت من الأعداد في هذا الصدد. وسنتكلم عن هذا التحقيق على حدة إن شاء الله تعالى.

فلنخص ما أسلفناه أنه ينبغي أن ننظم الدرس مع ما يتعلق به، من جديد على أساس البحث وجمع الأعداد وألا نلقي الدروس جزأفاً من غير ترتيب ونظم. ثم أنه يجب علينا إعداد الدروس مبنية على ألفي كلمة وثلاثين قاعدة نحوية على أكثر تقدير.

الآن نتناول منهج التدريس وفي هذا الصدد يطيب لي أن أشير إلى الطريق الطبيعي للتدريس وميزاته فإذا تأملنا فيه وجدنا أنّ الدارس بالمنهج الفطري (وهو تلقي اللغة في الجوّ اللغوي الحقيقي) يختلط بالناطقين باللغة التي يريد دراستها ويعيش بينهم فترة من الزمن فيستمع لمئات من الكلمات والتراكيب في مرحلته الدراسية الأولى فيعود الدراس فيها سمعه وذاكركه وأحاسيسه بالكلمات والتراكيب شعوراً منه بها أو بغير شعور ثم في المرحلة الثانية من دراسته يظل يفهم الكلمات والتعبيرات بمساعدة سياق الكلام والجو. ثم في المرحلة الثالثة يشرع في التعبيرات. هذا هو المنهج الطبيعي الذي يأخذ الصبي به لغة أمّه والأجنبي لغته الثانوية أو الأجنبية. فإذا طبقنا في مناهجنا التدريسية هذا النظام لم تذهب محاولتنا وجهودنا سدّى بل تعود بإذن الله بحاصل كبير ونفع مرجو. أما في ديارنا النائية عن مهد العروبة فليس بإمكاننا خلق الجوّ

اللغوي الطبيعي الذي هو سهل الحصول بل متوفر بصورة عملية في البلاد العربية ولكن يمكن لنا أن نوجد هذا الجو الاصطناعي غير القطري بأن ننشئ في فصولنا بيئة عربية ونتيح لدارسينا فرصة الاستماع إلى الكلمات والتراكيب العربية حتى نتعود أحاسيسهم ومشاعرهم على الكلمات العربية المنظومة في التركيب ولا نكلفهم في مرحلتهم الأولى الدراسية إلا للإصغاء والاستماع إلى ما يقوله المعلم ثم الاتباع شفوياً بصوت جهير. فإن للتلفظ لأثراً خلافاً في ترسيخ الكلمات واستقرارها في الذهن. أرجو أن الكلمات إذا تكررت وترددت أمام الدارس فإنه لا محالة يعيها ويرتسخ عدد من تلك الكلمات في ذاكرته فتجري بعد ذلك على لسانه، ثم في المرحلة الثانية يسألهم المعلم بأن يأثوا بمثل ما عرض عليهم من الجمل والتراكيب خلال الدرس وأرجو أنه سيمثل ويأتي من عنده بالجمل الصحيحة في هذه المرحلة لأن التكرار والإعادة جدير بأن يمثل بالجو الحقيقي. وعلى هذا فغير مناهج لتدريس لغة أجنبية لا سيما اللغة العربية لغير الناطقين بها هو أن تعدّ الدروس قبل كل شيء على أساس انتقاء الكلمات ولتكن تلك الكلمات منسجمة ومنظومة في سبك الجمل القصيرة. ولتكن تلك الجمل على أساس القواعد النحوية في نفس الوقت. وإذا فعلناه فينبغي أن تكون المقررات الدراسية المعنية واحدة لكل الجامعات والمعاهد الهندية معترفاً بها على السواء. فإن لتوحيد المناهج والمقررات لأثراً لا ينكر في تخليص الطلبة من التشتت والإطراب، وبعد فإن الأمر الذي يمتاز بجانب كبير من الأهمية والخطورة هو أنه يبذل كل من أخواننا المعلمين أقصى مجهوداته في سبيل تدريس اللغة العربية بكل الإخلاص والصدق. ولكن النتيجة ليست حسب المرجو. فلماذا؟ ذلك لأن الهدف نفسه إما غير معين ويكون طريق المعالجة للهدف غير واضح بإلقاء الدروس على الطلبة من غير تفكير وترتيب فقط لغرض التبرير لأداء الواجب أو بكلمة أخرى إذا نوينا في تدريسنا الإبلاغ فقط. فاعتقد أننا قد برثنا من أداء المسؤولية. أما إذا استهدفنا أكثر من الإبلاغ، خلق المهارة التامة في الطلبة في الدرس الذي تناولناه

بـحـثاً فـلا بـد لـنا مـن الصـبر إـلى تـحـقـيـق الغـايـة، و لو لم تـرض بـه المـدة الدـراسـيـة.

ولست في حاجة إلى أن ألقى الضوء على طريق التدريس لأن إخواننا المعلمين لهم خبرة تامة ويد طولى في هذا الميدان وفوق هذا أنه يتغير الطريق حسب الفصول وأوضاع المساهمين فلا اقترح اتخاذ منهج معين لكل فصل وجماعة والأمر الثاني الذي ليس أقل أهمية هو أن المناهج الدراسية ليست إلا نظريات تترجم وتطبق عملياً بالكتب المقررة فلا يمكن اختيار منهج دون منهج للتدريس إلا إذا كان هناك كتاب مؤلف في ضوء ذلك المنهج المخصوص وفي ديارنا لم يكتب حتى الآن كتاب يترجم لمنهج معين فكيف اقترح على اختيار منهج معين. ولكن هناك أمور يمكن رعايتها في التدريس مهما كانت المناهج؛ أولاً أن لا تنتقل إلى درس جديد حتى يترسخ الدرس بكل تفاصيله في أذهان الطلبة ويحققه الطلبة لفظاً وغاية. هذا عمل يتطلب مدة طويلة والصبر على امتداد المدة فلا يلائم بما تسنى لنا من الفترة المعينة لفصل من الفصول مثلاً سنة واحدة للفصول الابتدائية وفي نهايتها الامتحان ثم تليها السنة الثانية التي يعقبها الامتحان. فذلك ليس مما يجدي بظائل، إنما المهم هو تزويد الطالب بالعلم والمعلومات بحيث يتقنها ويجيد إدراكها ويفهمها فإذا لم يحقق الغرض فلا فائدة للتدريس ومعنى منح الشهادة في هذه الحالة ليس إلا تسليم إمام المرء باللغة، والواقع أنه لا يكون ملماً بها في نفس الأمر. وبكلمة أخرى فرض غير الأهل أهلاً وغير المؤهل مؤهلاً. وهذا لا بد من أن يحط من قدر الشهادة الممنوحة من ناحية ويزيد من يأسنا في مجهوداتنا ويضعف إيماننا بأهليتنا ومنهجنا الدراسي من ناحية أخرى. أما مسؤولية ذلك الفشل والنتيجة العقيمة فلا ترجع كلها إلى الطالب فقط. لأنه إذا نال شهادة النجاح في فصل من الفصول وإنه لا يحقق الآمال المعقودة بتلك الشهادة فن المسؤول إذن عن هذه الخدعة والغش في دنيا التدريس والتعليم؟ إنما المسؤولية ترجع، ولا شك، إلى معشر المعلمين الذين أهّلوه زوراً واعتبروه مستحقاً لنيل تلك الشهادة وهكذا يعتبرون هم وحدهم المسؤولين عن هذه الظاهرة الشنيعة وأيم الله... فكيف السبيل إلى إصلاح هذا الوضع المخزي وما هي

الطريقة لإعادة المياه إلى مجراها الطبيعي؟ فعدم النظم والترتيب في الدروس ومحاولة إتمام مقرّر دراسي في وقت معيّن مع عدم رعاية الإتيقان وحتى عدم التفاهم ثم الإغماض عن أخطاء الحقيقة عند الاختبار الذي يصبغ بصبغة الجدارة والأهلية الطالب الذي يكون فاشلاً من جميع الاعتبارات، تلك هي الإساءة بل الإهمال الفظيع الذي رضىنا به في مجهوداتنا التدريسية والمسؤول عن هذا الفشل الذريع في مهمتنا لتعليم العربية للجيل الناشئ. هذه هي أمور ونقاط لفتُ إليها أنظاركم أيها السادة! فيما قبل ويجب علينا معالجتها بنظر الإصلاح ولن يصلح الوضع ولن يستقيم الطريق والمنهج إلا إذا شمرنا عن ساق الجد لاستئصال هذه المفاسد والمخازي التي شوّهت وجه تعليم اللغة العربية في هذه البلاد.

وإن جعلتم نصب أعينكم أيها الزملاء! تحقيق كثرة عدد الواردين والصادرين وملاء فراغ السجلات المكتبية بأسماء الطلبة ومنح الشهادة دون اعتبار الجدارة والاستحقاق فلكم دينكم ولي دين. وليس يجمعنا صعيد واحد ولذلك "فإني إلى قوم سواكم لأميل".

صارت مشرّقة وكنت مغرباً شتان بين مشرق ومغرب

تدرّس اللغة العربية في الفصول المسائية والجزئية في ضوء الأهداف والمنجزات

- أ. د. فيضان الله الفاروقي¹

تدرّس اللغة العربية في الهند قديم كقديم ورود الإسلام إليها أو أقدم منه. فهي كانت تدرس منذ ذلك العصر إلى أوائل القرن العشرين كلغة دينية محضة تولّت تعليمها المدارس الإسلامية لفهم وتفهم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة من جانب والقيام بالدراسات الإسلامية الأخرى من جانب آخر، ولما بدأت الجامعات العصرية تدرّس اللغة العربية كلغة أجنبية في أوائل القرن العشرين قصدها أصحاب المدارس الإسلامية من معشر المعلمين والمتعلمين أفواجاً كأنّ اللغة العربية ضالّتهم فهم أحقّ بها. فوق هذا، كان المنهج الدراسي للعربية الذي وضعته الجامعات لفصولها مأخوذاً إلى بعض الحدّ من الأدب العربي المتداول في تلك المدارس فلم يكن أيّ فرق بين أقسام العربية للجامعات وما للمدارس الإسلامية العربية إلا أنّ الأولى قامت بتدرّس الأدب العربي وما يتعلق بها من الفنون كآرخب الأدب والنقد وغيرهما. وتولّت الثانية تدرّس سائر الفنون الإسلامية العربية. استمرّ الحال على هذا المنوال حتى انقلبت الظروف، وتقدم الدول العربية اقتصادياً اضطرت بلاد أوربا إلى دراسة اللغة العربية كلغة اقتصادية وما هي إلا أيام قلائل حتى شعرت الهند بأهمية العربية من ناحية السياسة والاقتصاد. ولكن هذه اللغة التي كانت وليدة الظروف الاقتصادية والدبلوماسية كانت تختلف اختلافاً واضحاً عن اللغة التي تدرس في الجامعات الهندية آنذاك. فهذه لغة حديثة مستخدمة في شتى حقول الحياة اليومية من المكاتب الرسمية والشركات الشخصية والإذاعات اليومية وتلك لغة حافلة بالعلوم

¹ شخصية يختصّ بسيرتها وأعمالها هذا العدد.

الدينية وآثار العرب الأوائل. وشتان ما بينهما. نظراً إلى هذا عمدت الجامعات إلى تدريس اللغة العربية الحديثة بجانب تدريس الأدب العربي، أما العامل السياسي وراء الاعتناء باللغة العربية فليس أقل أهمية فإن الظروف السياسية العالمية الراهنة وشرها المستطير ألجأت الدول كافة إلى أن تكون مطلعة على أحوال صواحباها اطلاقاً كاملاً مؤثراً وذلك أمر متعذر التحقيق ما دامت اللغة لم تكن واسطة. تحقيقاً لهذه الأغراض قامت المعاهد والجامعات بترويج هذه الفصول المسائية الجزئية وفوضت إليها مهمة تعليم الشعب بحيث يتمكن من بلوغ الغاية التي تأسست من أجلها هذه الفصول. أما غايتها فهي واضحة كل الوضوح أن تخرج فئة من الطلبة ملّين باللغة العربية كلغة حية بحيث يتقنها طلبتها كتابة وقراءة ونطقاً وفهماً إتقاناً ما حسب مقتضيات العصر ومستلزماته في مختلف مرافق الحياة. فيرجى من خريجي هذه الفصول أن لا يعجزوا عن إظهار ما يريدونه نطقاً وكتابةً ويقدرّون على استعمال اللغة الشائعة بالمكاتب الرسمية والمنظمات الاقتصادية والثقافية. هذه هي الغاية الكبرى لهذه الفصول ومقالتي هذه تدور حول هذه الفصول من ناحية هدفها ومنجزاتها، ولكن أودّ أن أقول قبل خوضي في البحث عن المقصود إنه ما زالت معاهدنا العربية التي تتولّى تدريس هذه الفصول غير واضحة في تعيين الهدف والغاية حتى يومنا هذا. ولكن حاجات العصر الراهن ومقتضياتها فهي كما ذكرنا. أما من ناحية الوصول إلى الهدف المعين في ضوء الحاجات فأنا لست بمتردد في قولي أنّ هذه الفصول فشلت فشلاً ذريعاً في الوصول إلى الهدف وتحقيقه حسب المرجوّ منها. ولو أنها تبدو ناجحة بقدر كبير بعين الاعتبار إلى عدد الناجحين في الامتحانات المقرّرة لها، وكذلك من ناحية تدفّق الطالبين إليها بعدد ضخم حافلين بصفوفها مزدحمين في قاعاتها، أقول هذا ولا أخاف لأنني أرى معظم عدد الخريجين لا يستطيع كتابة عشر جمل يصحّ أن يقال فيها أنها عربية خالصة صحيحة ودع عنك صلاحيته في التحدث والإنشاء بمستوى الإبلاغ الكامل. أما الشهادات التي تمنح من قبل الأقسام العربية للجامعات

فمن الأسف أنها لا تصلح حتى الآن أن تعتبر معياراً للأهلية أو تضمن لبراعة صاحبها فيما منحت فيه. ولو صلحت لكفاني في إثبات دعوى جمع نتائج الامتحان لبضعة أعوام ماضية من شتى الجامعات وتقديمها إلى حضراتكم. فإذا خضنا في البحث عن أسباب الخيبة وجدناها تقوم على عدة عوامل - منها - عدم تعيين الغاية: نرى أن القاصدين إلى هذه الفصول هم على أنواع. فمنهم من يريد لها لفهم لغة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية الأخرى. ومنهم من يقصدها كلغة اقتصادية ومنهم من يطلبها كلغة أدبية ومنهم من يدرسها لأنها تساعده على مهنته، وكل من هؤلاء يتوقع من هذه الفصول تحقيق ما يريد هو بنفسه. أما نحن فلا نتجاوز عن حدّ تدريس اللغة إجمالاً. فإذا لم تتحقق غايته ولو بعد عامين أو ثلاثة أعوام يحكم بفشل الفصل. وإن أجاب أحد منا أنه لا بدّ من تدريس اللغة مطلقاً في المرحلة الأولى وبعده يمكن أن تشعب الفصول في ضوء الأغراض المخصوصة لأكون أول مؤيديه ولكن من يتكفل هذا الإمكان. أما ما نقول عن تدريس اللغة مطلقاً فهل نجحنا فيه؟ مع الأسف ليس الأمر كذلك لأنّ التفحص جازم بأنّ هذه الفصول لا تخرج وحتى عدداً ضئيلاً من الذين يستطيعون أن يعبروا عما في نفوسهم باللغة العربية الصحيحة ولو قضوا في تعلّم هذه اللغة ثلاثة أعوام. والذي اعتبره كالسبب الثاني للخيبة هو مناهج تدريسنا البالي غير المطابق للوضع التعليمي الراهن والذي لا يهتم بشؤون المساهمين الخارجية أيّ اهتمام يذكر، وقد زاد الطين بلة منهجنا الدراسي المخطّط من غير تدبر وتفكير، ويطيّب لي بهذه المناسبة أن أحلّ عقده وأشرح هذا الإجمال بشرح مقنع حسب ما أرى وبعد ذلك لكم الخيار في أن تخالفوني أو توافقوني: تقرّر الجامعات لهذه الفصول ثلاثة أعوام على العموم. السنة الأولى ما تسميه السرتيفيكيت (Certificate) أو ما يعادلها والسنة الثانية تسمى الدبلوم (Diploma) والثالثة الدبلوم العالي (Adv. Diploma) أو ما يعادله ومعنى ثلاث سنين تعليمية أربعة وعشرون شهراً فقط، لأنّ السنة التعليمية لا تزيد على تسعة أشهر وإن تعدّ الإجازات القصيرة المتخلّلة من

حين إلى حين طوال السنة لتنحط مدة هذه الفترة من تسعة أشهر إلى ثمانية وإن أضيف إلى هذا تناسب أيام غياب الأستاذ والتلامذة خلال الفترة لتنحط مدة التدريس إلى سبعة أشهر أو أقلّ ثم إننا نجتمع للتعليم والعلم ثلاث مرات في الأسبوع فقط. ومعنى ذلك اثنا عشر يوماً في شهر كامل والتجربة التدريسية تشهد أنه يمكن بسهولة أن يكون مجموع الأيام التعليمية عشرة أو أحد عشر في الشهر ولكنه قلما وقع أن يكون ثلاثة عشر يوماً. فعلى هذا يبلغ عدد الفصول الدراسية إلى ما بين ثمانين أو خمسة وثمانين يوماً في سنة كاملة. وليست هذه الفصول متوالية مسلسلّة بل تكون منقطعة عادة بسبب الإجازات القصيرة المدى أو طولها. أما المساهمون فليسوا شباباً نشيطين بل إنهم من الموظفين الذين يكدحون في مهن متنوعة طوال النهار وفي المساء يتدحرجون نحو الفصول فيتهاكون على مقاعدهم بالفصول لاهئين متقطعي الأنفاس يجمعون أولاً ما تشبّت من نشاطهم ويستعيدون ما زال عنهم من قواهم وقد بلغ بهم التعب والإعياء كل مبلغ فهم كاشفوا البال مشوشوا الذهن مضطربوا الحال قد نسوا ما ذكروا به أمس ولا يستل عنه الأستاذ إلخافاً. الآن بدأنا الدرس الجديد فيا لك من نتيجة خائبة وحاصل عقيم! هذه كانت أوضاع المساهمين وأحوال الفصول، إذن ألقى الضوء على ما يجب تدريسه. فاللغة تقسم إلى أربعة أقسام: 1- الاستماع، 2- والقراءة، 3- والكلام، 4- والكتابة. ولكن تسهلاً للأمر أنا أحدها في قسمين: الأول لغة التكلم والثاني لغة الإنشاء. ليس المراد بالإنشاء ههنا اللغة الأدبية العالية بل يراد أهلية الرجل في أن يكتب حول عناوين محدّدة مخصوصة إلى حدّ ما وكذلك يستطيع الترجمة من لغة معلومة إلى العربية وبالعكس. والمراد بالتحدث أنه يستطيع التعبير عما يريد به بكلمات صحيحة وحسب القواعد الصرفية والنحوية يعني أنه يستطيع الإبلاغ الكامل. فالذي يريد دراسة اللغة العربية لا بد له أن يعلم القراءة ثم الكتابة في المرحلة الأولى. ثم إنه يحتاج إلى الكلمات وما يضبطها أي القواعد حتى تكون مجموعة الكلمات التي يتلفظ بها دالة على معان مخصوصة معروفة عند من يعرف اللغة.

كما صرح به الخبراء والمتخصصون في اللغة أنه إذا عرف المرء ألفي كلمة لا يعجز عن تعبير المعاني الكامنة في ذهنه، سنبحث عن صحة هذا الرأي بعد قليل. أرى من الضروري أن أوضح أولاً أنّ المعرفة المجردة لألفي كلمة شيء واستحضارها وأهلية استخدامها شيء آخر لأنّ الاستحضار ليس نفس المعرفة فإن أردنا بألفي كلمة مجرد معرفتها فقد أخطأنا لأنها لا تفيد إلا في القراءة أو الاستماع ونحن نتكلم في التحدث والإنشاء. فتعيّن أنّ المراد بألفي كلمة هو استخدامها ورسوخها في ذهن المرء. أما تعيين النسبة بين المعرفة المجردة والاستحضار فهي تزيد وتنقص بالنسبة إلى كلّ فرد حسب مساعيه ومزاولته وميله الذاتي إلى اللغة ثم الظروف الخارجية المتفاوتة. أما رأيي في هذا الشأن فهو إن استطاع المرء أن يستخدم خمس مجموع الكلمات التي يعرفها فلا يعاب لأنها نسبة مرضية مستحسنة. فمعنى استخدام ألفي كلمة إما أن يكون عند المرء ذخيرة وافرة لعشرة آلاف كلمة بحيث إنه يعرف تلك الكلمات إذا وجدها في الكتب أو في كلام الناس يبلغ إلى معناها بدون أن يراجع إلى المعاجم أو يستعين بمعلمه، الآن هو يستخدم خمسها على ما أنا عيّنت وهذا متعذر التحقيق لأنه لا يستطيع أحد أن يعلم أو يتعلم هذا المبلغ من الكلمات في مدة سنتين اثنتين أو ثلاث سنين لاسيما إذا كانت الفصول مسائية جزئية، إذن تعيّن الأمر بأنه لا بد من أن يكون منهاج التعليم نافعا مؤثرا عمليا ثم تطبيقيا حتى تفيد معرفة الكلمات في التحدث والكتابة أيضاً. نبث الآن عن أصول نسج تلك الكلمات في كلام مفيد أعني به القواعد النحوية والصرفية الضرورية التي لا مندوحة منها للمرء إذا حاول استعمال ألفي كلمة التي استهدفناها. لقد تفكرت وعبثاً حاولت أن أبلغ إلى نتيجة حتمية حلاً للمشكلة، اقترحت على قريحتي أن اختار عدداً من الكتب الدراسية التي قامت بتدريس اللغة العربية في الفصول البدائية فنحصى عدد الدروس الواردة فيها للقواعد النحوية والصرفية الضرورية لفصولنا هذه. تحقيقاً لهذا الغرض اخترت أربعة كتب وهي كما يلي:

1. منهاج العربية (خمسة أجزاء) لسيد نبي الحيدر آبادي
2. القراءة الواضحة (جزءان) لوحيد الزمان الكيرانوي
3. معلّم الإنشاء (جزءان منها) لعبد الماجد الندوي
4. المنهاج الجديد في النحو (ثلاثة أجزاء) صدرت من المملكة العربية السعودية.

أما السبب وراء انتخاب هذه الكتب من بين سائر الكتب الدراسية فأولاً لأنه حاول كلّ من مؤلّفي هذه الكتب تدريس اللغة العربية للصفوف الابتدائية على منهاج جديد فكلّ منهم رتبّ القواعد تحت دروس سهلة محتوية على كلمات بسيطة مأخوذة من بيئة الطالب وحياته اليومية كما أنهم اتفقوا على ترك البسط والتفصيل المتعب للقواعد فإنهم درسوا القواعد لا كفن بل كوسيلة- ولكن السبب الأهم هو أنني لم أجد بالفعل غير هذه الكتب وبذلك اضطررت على الاقتصار عليها غير أنني عند حصر الدروس الواردة في تلك الكتب بعد الإحاطة بها قراءة وتعمّقاً فيها حذف ما وجدت فيها من المكررات والإعادات للأصول النحوية من ناحية كما أثبتت اسم القواعد التي نبذاها المؤلف في الدرس المذكور وأدرجت في فهرسي هذا كلّ الأصول المذكورة في الحواشي كقاعدة مستقلة جديدة إذا كان من شأنها أن تكون ذات أثر فيما يتعلق بالدرس من ناحية أخرى فبلغ عدد القواعد الواردة في الجزء الأول من القراءة الواضحة إلى الثلاثين تحت عشرة أبواب ومثله في الجزء الثاني منه- فهذه ستون كالمجموع- قرّر المؤلف سنتين لتدريس جزئي الكتاب وفي الجزء الأول من معلّم الإنشاء ست وثلاثون قاعدة فصلت في دروس يتجاوز عددها على خمسين وفي الجزء الثاني منه إحدى عشرة قاعدة جديدة فقط من حيث المجموع يمكن جمع هذه القواعد في ستين درساً- ومنهاج العربية ففي الجزء الأول منه ثمان عشرة (18) قاعدة وفي الجزء الثاني سبع عشرة قاعدة وفي الجزء الرابع خمس عشرة قاعدة وفي الخامس مثله فهي خمس وسبعون قاعدة على المجموع فإن أضفنا بعض الدروس مما يتعلق بالأفعال أو الضمائر إلى البعض الأخرى فإنه يمكننا أن نخط عدد

الدروس من خمسة وسبعين إلى ستين. أما المنهاج الجديد ففي جزئه الأول ثمانين عشرة قاعدة وفي الثاني أربع وعشرون قاعدة، وفي الثالث تسع عشرة قاعدة، يبلغ مجموعها إلى إحدى وستين قاعدة. أما مدة تدريس هذه الأجزاء الثلاثة فهي ثلاثة أعوام الدراسية. اختلف ترتيب الدروس في كل كتاب كما أنه تفرّد كل مؤلف بطريقته الخاصة لتفهم الأصول وتدرّسها ولكنهم متفقون كلياً على انتخاب الأصول والقواعد النحوية والصرفية التي تناولوها، ويمكن الرجوع للتأكيد إلى فهارس تلك الدروس التي توجد عندي على حدة--- يمكننا أن نستنتج بهذه الدراسة أنه لا بد من ثلاثة أعوام لمن يريد الإلمام باللغة العربية إلى حد ما وأنه تدرس كل سنة عشرون من تلك الأصول وإلى جانب هذا يجب علينا تعليم ألفي كلمة في ثلاث مراحل وكما صرح به الباحثون المتخصصون في اللغة أنه لا يستحسن إيراد كلمات جديدة فوق خمس عشرة في درس واحد وخاصة في الفصول الابتدائية أو في الدروس المسائية ففي ضوء ما أسلفنا سابقاً فإن كما نزمي بتدريس هذه الدروس إلحاقاً جزافاً براءة منا عن أداء الواجب بحيث نلن الدروس كما هي وبطريقة تسنّت لنا فلا حاجة إذن للبحث والمناقشة ولكنا إذا كنا نتركز الدروس ونرسخها في ذهن الطلبة أصولاً وكلمة وقراءة وكتابة فالمسؤولية تزداد بدون أدنى شك وريب. أما ما هو الحد الأدنى لترسيخ الدرس في أذهانهم فهي مسألة أخرى لا تتعلق بما نحن فيه ولكن الأهم بهذه المناسبة هو إرادتنا يعني هل أردنا وسعينا إلى ترسيخها في أذهانهم أم لا؟ وما لا شك فيه أيها السادة! أننا حاولنا وأردنا تحقيق هذه المهمة فإذن تزداد مسؤوليتنا إلى حد كبير وهنا أرى أننا لا نبرئ عن ذمتنا حتى نؤكد على التمرين والممارسة عن طريق التطبيق الفني للدرس كما أنه يلزم علينا إعادة ما سبق من الدروس وهي تزايد يوماً فيوماً فتعرقل سرعة التقدم إلى دروس جديدة بعد هذه التجربة. والتحليل المتعلق بالتدريس ومنهجه الذي قننا به في عدة صفحات سابقة نبلغ إلى هذه النتيجة بأن الأستاذ يجب أن يعطي خمس مئة كلمة على الأقل في سنة واحدة تحت الدروس

المرتبة على القواعد النحوية والصرفية لا يزيد عددها عن عشرين على كل حال بطريق التطبيق والتّمرين العملي حيث تترسخ الكلمات والأصول في أذهان المساهمين فلا يصعب عليهم استخدامها في محادثاتهم ومراسلاتهم. هذه هي ذمتنا ومسؤولياتنا وهو الهدف بلا ريب فهل بلغنا أهدافنا؟ كلا! فلماذا؟ إما لأنّ مناهج تعليمنا ليس عملياً منضبطاً معتمداً على آراء الخبراء في الطرق التدريسية منتبهاً لأوضاع المساهمين ونفسياتهم فكأننا نلقي الدروس غير مرتبة وغير منسقة ولا نهتم بالطرق المساعدة على ما نروم أو لأنّ الفترة المعينة لمنهج معين لا تكفي للتّمرين والتطبيق العملي مهما يكن الأمر، شتان ما بين الأمل والمأمول. أما فيما يتعلق بالكلمات واستخدامها فأرى أنّ تحديد ألفي كلمة غير عملي والإصرار على هذا العدد لا يلائم هدفنا. فإنه لا يستحسن أن يزيد عدد الكلمات الجديدة في درس فوق خمس عشرة كلمة فعلى هذا لا يمكننا أن نزيد عدد الكلمات عن ثلاث مئة في سنة واحدة فإن زدنا لا توافق الزيادة بعدد الدروس. اعتقد بأنّ ترسيخ الكلمات في أذهان المساهمين، ولو كان قليلاً، أنفع من ازدياد المعرفة المجردة دون استحضارها وأهلية استخدامها، والسبيل إلى هذا بأنّ نهتم بالقواعد وبصحة استخدامها أكثر من اهتمامنا بعدد الكلمات فإنّ تزويد الطالب بكلمات جديدة عمل يستمرّ طول الحياة، ليس لأحد غنى عنه وإذا تمكّن الطالب مرة من استعمال القواعد فيستطيع حتماً في العثور على الكلمة المطلوبة عندما تمسّ به الحاجة إليها ولو بمساعدة المعاجم أو الخبراء.

معيّار الأهلية لمنح الشهادة

نشاهد أنّ الجامعات والمعاهد تضع منهجاً دراسياً معيناً لفصل ما وضع مثلاً لفصل السرتيفيكيت عشرة دروس وما يتعلق بها من القواعد ولكنه إلى نهاية السنة ما أمكننا إلا أن ندرّس ثمانية دروس فقط فينعتقد الامتحان على أساس المقروء من الدروس أي ثمانية دروس فقط ومعناه أنه لا ينعقد الامتحان على أساس المنهج المعين الكامل المقرر لذلك الفصل بل على المقروء فقط إذ الشهادة تمنح على أساس

المنهج الكامل أو بعبارة أخرى إننا ننعتة ناجحاً في المقررات كلها والحال أنه لم يلم إلا بشطر منها. والمنهج الدراسي يوضع للسنة القادمة لا على ما درسوا في الفصول السابقة فعلاً بل على ما قرّر كالمناهج الدراسي للسنة التالية ويلعب كذلك نظام الامتحان دوراً هاماً في سبيل الفصل والنتيجة غير المجدية. من أعجب ما شاهده التاريخ التعليمي في الهند لاسيما لفصولنا العربية هو أنه في الوقت الذي يعتبر الحصول على الشهادة بأعلى التقدير لفصل ما من الفصول العربية من أسير المهام وأسهلها يعتبر كون المؤهل أهلاً بصورة واقعية لهذه الشهادة من أصعب الأمور وأعسرها تحقيقاً. فله در من قال وهو يصوّر الوضع الذي ابتلينا به حيث ينشد:

کالج سے آرہی ہے صدا پاس پاس کی عہدوں سے آرہی ہے صدا دور دور باش کی¹

في نظامنا لا يلزم أن يعرف الطالب كل ما درس في الفصل بل يكفيه الإجابة عن بضعة أسئلة من مجموع الأسئلة التي طرحت عليه في ورقة الامتحان سواء كان الجواب من عنده أو بمساعدة المساهمين الآخرين وبعد أن نجح في الامتحان تمنح عليه الشهادة التي تضمن له الأهلية الكاملة ولو لم يوف بالحق وكذا الحال في فصولنا المسائية وبما أن الغرض بانعقاد هذا المجلس هو البحث عن دراسة اللغة العربية بكل ناحية والقيام بتحسين العمل الدراسي عن ساق الجدة. أرى من الضروري أن اتعرض لكل نقص يوجد في نظامنا التعليمي وتفقد بكل ناحية عن وجوه الفشل، فمنها ما يشاهد أن معظم عدد الطلبة لا يواظب على الحضور في فصولهم ويكون غيابهم أكثر من الحضور ولكن أنتم يا سادتي! أعلم مني بمن يرسب من الغائبين وإن استمرت الحال على هذا المتوال فكيف يرجى لنتيجة مثمرة من أول شرائطها القدرة الكاملة على المقررات الدراسية، فمن الضروري أن لا نعتد على الاختبار النهائي وحده في تعيين النجاح أو الخيبة. بل نتخذ أصولاً وقوانين تشتمل على نشاطاتهم التعليمية عبر

¹ ترجمة: الكلية تقرب الطلاب إليها بينما الوظائف تدعهم عنها. (الأعظمي)

السنة فيكون الامتحان النهائي متكفلاً لنصف النجاح فقط والأشغال التعليمية الأخرى كالواجبات الدراسية والتمرينات والاختبارات الأسبوعية أو الشهرية من الشرط الثاني الضروري لهذا النجاح ولا يعقد الامتحان النهائي إلا إذا انتهى المنهج الدراسي المقرر لتلك السنة أعني به كون معيار الشهادة هو الإحاطة بالمنهج الكامل التام لا المدروس منه فقط. أخال أن لا أقول شيئاً في مناهج التعليم والمنهج الدراسي فإن له أساتذة ومتخصصين لاسيما مقالة حضرة الأستاذ عبد الحليم الندوي تتعلق بهذه الأمور فاستماعي إلى مثل هذه الآراء أحبّ إليّ من تولّي في هذا الميدان ما دام الكلام يدور حول الموضوع ولكنني عارض عليكم بعض الاقتراحات راجياً أنها تساعدنا إلى حد كبير في رفع مستوى فصولنا المسائية وبما أنني أتولّى تدريس هذه الفصول فأنا أحقّ بكشف الستار ورفع الغطاء عن المكنون فصاحب البيت أدرى بما فيه فأول ما اقترح هو تدريب المدرسين القائمين بتدريس هذه الفصول على المبادئ الحديثة والطرق الحاضرة ليعلموا كيف يدرس منهج معين في وقت معين لفصل له أوضاع خاصة وشأن مخصوص وبكلمة أخرى يجب الحصول على التدريب العملي لمنهاج التدريس. والثاني هو تعيين الأهداف لكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث وإن قال أحد إنّ الهدف متعين بأنّ الشهادات التي تمنح هي معروفة المعاني واضحة القيمة معترفة المعيار والمستوى فالمراد بشهادة الدبلوم مثلاً هو الدبلوم نفسه وهو معيّن معروف فلا حاجة إلى تعيين هدف آخر. قلت إني لا أنازعكم في تسمية الصفوف والفصول فإنّ أسماءها معروفة، ولا شك فيها، ولكن الذي أودّه هو تعيين مقدار الأهلية بكل شهادة وهذا يختلف عن تعيين المنهج الدراسي كما لا يخفى وليكن المقدار مسلماً عند كل جامعة أو معهد على السواء. وبكلمة أخرى ينبغي أن يكون منهج دراسي معيّن لكل من هذه الفصول وليكن ذلك المنهج بعينه جارياً في كل جامعة أو معهد يتولّى دراسات اللغة العربية كما علمنا تنقسم اللغة إلى أربعة أجزاء؛ الاستماع، التحدث، القراءة، ثم الكتابة، هذا بالنسبة إلى اللغة الأولى. أما إذا كانت

اللغة، اللغة الثانوية ينقلب هذا الترتيب لاسيما إذا كان الطالب من البالغين ففي هذا الترتيب يعرف الطالب الكتابة أولاً ثم القراءة ثم التحدث ثم الكتابة. أما الطريقة المباشرة للتدريس فإنها لا تفرق بين اللغة الأولى والثانية فلهم نظام مخصوص ولكني لست بباحث عنها لاعتقادي بأنها لا تنجح في بيئتنا، ذلك لأنها تقتضي بيئة مخصوصة فلذلك أتناول التدريس في ضوء منهاجنا المخصوص فنبدأ التدريس بتعليم الكتابة في المراحل الابتدائية ونقرّر لها فترة أربعة أشهر ثم نشرع في تدريس السنة الأولى من شهادة السرتيفيكيت ونعدها السنة الأولى، ويشترط للدخول فيها معرفة القراءة والكتابة للغة ونستهدف تدريس اللغة في هذه السنة إلى أن يعرف الطالب اللغة إلى حد الإبلاغ المجهل أعني به خلق الصلاحية في الطالب للتعبير عما في ذهنه بكلمات مناسبة ملائمة للمعنى أو غير مناسبة شريطة أن تؤدي إلى تفهيم المعنى بوجه ما ولو وجدت بعض الأغلاط النحوية أو الصرفية، هذا ليكن هو الهدف وأتم يا سادتي! أعلم مني بالطرق والمناهج المؤدية إلى هذا الهدف. وأما ما يتعلق بعدد القواعد النحوية والصرفية التي حصرتها في ستين درساً موزعة على ثلاث مراحل فهذا العدد أي الستون ليس بعدد قطعي حيث لا يمكن الانحراف عنه كل ما في الباب هو الإحاطة بالقواعد الضرورية وتوضيح الضرورة كما صرحت بها عدة مرات في هذه المقالة هي القواعد التي لا مندوحة منها للطالب في سبيل وصوله إلى حد الإبلاغ الكامل المؤثر. وفي الوقت الذي يحدّد مؤلف القواعد النحوية في خمسة وعشرين درساً هناك من يتوسع في تدريسها بحيث يجعلها ستين درساً ومن يجعلها ثمانين وهلم جراً، ولكن الدروس سواء أكانت ستين أو ثمانين أو أيّ عدد آخر تستغرق من الوقت فترة متساوية في جميع الحالات وتوضيح هذا مثلاً يوضح مؤلف الأحوال المختلفة للمبتدأ والخبر وقواعدها في خمسة دروس ومصنف آخر يوضحها في درس واحد فقط فوضع الأول خمسة دروس للمبتدأ والخبر، وقرّر الثاني درساً واحداً لهذه القاعدة بالذات فعلى هذا الترتيب إذا بلغ الأول إلى ستين لا يتجاوز الثاني عن اثني

عشر درساً ولكن تكون مدة التدريس مساوية لكليهما لأن الثاني ولو حطّ عدد الدرس فإنه لا يبرئ عن ذمته حتى يدرس كل قاعدة ضرورية متفرعة من قاعدة أصلية كما فعله الأول. نظراً إلى هذا أخال أنّ عدد الدروس لا يتعلق بالقواعد ولكنه يتعلق بالكلمات والألفاظ حيث تزداد بازدياد الدروس. لقد اضطرت إلى هذا البحث المتعب لأني اقترحت فيما سبق أن يكون عدد الدروس ستين وذلك مبنياً على الدراسة والتحليل دون أن يكون مجرد اقتراح أو تخمين مني. أما رأيي بهذه المناسبة فهو أنه من المناسب أن يقرّر لتدريس القواعد سنتين فقط ففي السنة الأولى ندرّس مثلاً ستين في المئة أي ثلاثة أضعاف من مجموع القواعد المقرّر تدريسها في السنتين ويذل المدرس أقصى جهوده في أن تترسخ القواعد في أذهان الطلبة وتستقر بهم حتى لا يخطئوا في استعمالها ثم يحاول في تزويدهم بالكلمات الجديدة المتزايدة كل يوم مع زيادة عدد الدروس ولتكن مأخوذة من بيئة الطالب لكي تكون مسموعة مقبولة. وتحقيقاً لهذا الغرض يجب أن يعقد الفصل أربع مرات في الأسبوع وساعتين كل يوم ويعودهم المدرس بالتكلم باللغة العربية من أول يوم فيتكلم أمامهم ويأمرهم بالتكلم ولو خطأ. أما السنة الثانية فتدرس أربعون بالمئة من مجموع القواعد المقررة مع إعادة ما سبق في السنة الأولى من القواعد. أما أيام التدريس فإنه لا بأس أن تكون ثلاثة أيام في الأسبوع بواقع ساعتين كل يوم أو ثلاث ساعات، أتوقع أنّ الطالب لا يخطئ في استخدام القواعد في نهاية السنة الثانية إن جرت الدراسة حسب ما أشرنا إليه ولكنه لا يتوقع منه الإبلاغ الكامل المؤثر بهذا القدر من الدراسة أيضاً لأنّ الإبلاغ المؤثر يقتضي الإتقان في اللغة، والإتقان يتطلب عدة أشياء بالإضافة إلى القواعد والكلمات فنخصص السنة الثالثة لهذه الأشياء حتى يخطو الطالب من الإبلاغ الكامل إلى الإبلاغ البليغ. أما مشكلة الترجمة ومسألة اللغة القديمة والحديثة والخطأ التعبيري الناتج عن أثر اللغة الأردوية فقد قمت ببحث كل هذه النقاط في مقالة على حدة سأقدمها إن سمحتموني بها. هذا،

ولم أحاول في مقالي هذا أيها السادة! الإحاطة والاستيعاب بالأمر والمساءل المتعرضة لنا ونحن بصدد تعليم أبنائنا اللغة العربية بأبسط طريقة وأسهل منهج، وإنما التلميح إلى ما نتعرض له من النقائص والزلات ونحن نمضي في طريقنا لتحقيق هذا الهدف المنشود فللإحاطة والاستيعاب مناسبة أخرى ومجلس آخر أتمنى أن يوفرها الله تعالى يوماً. وما ذلك على الله بعزيز، فهو الموفق؟

العلاقة بين الجامعات الهندية والمدارس الإسلامية

بخصوص تطور اللغة العربية وآدابها في الهند

- أ. د. فيضان الله الفاروقي¹

تاريخ الهند الإسلامية وغير الإسلامية مليء بذكر اللغة العربية وآدابها ونشأتها وتطورها على أرضها فقد وُجِدَتْ آيَاتٌ على وجود اللغة العربية حين عقد المحادثات السرية في الحرب التي دارت بين كوروف وباندوف أي قبل شروق ضوء الإسلام على أرض الهند بقرون ثم بشر النبي العربي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذياع الدين الإسلامي على أرضها ومساهمة أهلها في نشر هذا الدين والدفاع عنه. فلو أنّ العرب قد وردوا الهند كحاكمين تحت قيادة محمد بن القاسم وغابوا عن ساحتها بعد قليل تاركين الحكم في أيدي السلاطين والحكام المسلمين الآخرين الذين لم يكونوا عرباً ألقاحاً وكانوا من البلاد الأعجمية من إيران أو تركستان أو غيرهما من البلاد.

ويتبدى تاريخ العلم العربي الإسلامي منذ أن وردت العرب المسلمون هذه الأرض فجعلوا ينشرون ما قد تشرّفوا به من تعاليم الدين الإسلامي منورين كيرالا والبلاد الهندية الساحلية الأخرى بنور الإسلام حتى بلغ ضوؤه دلهي وأنحاءها فبمحاولتها وما بذلته جونغفور من الجهود المضنية في نشر العلم العربي الإسلامي قد ضجّت الهند كلّها بصوت "قال الله" وقال الرسول". وعلم اللغة العربية وآدابها وليد هذا الصوت بحيث إنّ علماء المدارس الإسلامية الذين كانوا يعلّمون القرآن والحديث والعلوم الإسلامية الأخرى هم الذين كانوا يعلّمون اللغة العربية وآدابها، وكانوا يفسّرون القرآن ويوضّحون الأحاديث بجانب إنتاجاتهم النثرية وإبداعاتهم الشعرية التي تعزّز بها الهند والتي تتطلّب حديثاً آخر غير هذا.

¹ شخصية يختص بسيرتها وأعمالها هذا العدد

هذا ولما تمّ التعريف باللغة العربية وآدابها في الكليات الحكومية ومن ثم في الجامعات الحكومية فلم يتم بتدريسها إلا مَنْ كان قد تخرّج من تلك المدارس الإسلامية، وبناء على هذا فما حدث ويحدث باسم تطوير اللغة العربية وآدابها في هذه البلاد يرجع فضله إلى هؤلاء المتخرجين في هذه المدارس وبعبارة أخرى فهناك علاقة وطيدة غير منفكّة بين الجامعات الهندية والمدارس الإسلامية بالنسبة لتطوير اللغة العربية وآدابها في هذه البلاد وغيرها من بلاد باكستان وبنغلاديش.

وفي هذه المقالة الوجيزة نحاول تسليط الضوء على هذه العلاقة بشيء من التفصيل.

أولاً: الاعتراف بأهمية متخرجي المدارس الإسلامية من قبل الجامعات الهندية: فالشيء الأول الذي نلاحظه بهذا الشأن هو اعتراف الجامعات الحكومية بالفضل العلمي لمتخرجي هذه المدارس الإسلامية:

1. فأولاً اعترفت الجامعات الحكومية بمعادلة شهادات المدارس الإسلامية شهادات البكالوريوس والماجستير في العلوم الاجتماعية فكما اعترفت بمعادلة شهادة العالمية شهادة الثانوية فكذلك اعترفت بمعادلة شهادة الفضيلة شهادة الليسانس حتى أنّ بعض الجامعات الهندية مثل جامعة أفده (Avadh) قد قرّرت شهادة "فاضل" معادلة لشهادة ماجستير وسمحت حاملها الالتحاق بالدكتوراه في العلوم الاجتماعية.

2. وثانياً أنّ بعض الجامعات الحكومية قد أقرّت أنّ حامل شهادة الفضيلة سيكون مسموحاً لتقديم الطلب لأستاذ في العلوم العربية والإسلامية ومنها جامعة علي كره الإسلامية التي أقرّت أنّ حامل شهادة الفضيلة سيكون مسموحاً لتقديم الطلب لأستاذ في العلوم الإسلامية فالشيخ مسعود عالم القاسمي مثال حي لذلك، وكذلك البروفيسور عبد الباري الندوي قد جعل أستاذاً في الجامعة العثمانية وهو لم يكن سوى حامل شهادة الفضيلة.

3. وثالثاً أنّ الجامعات الهندية قد منحت شهادة الدكتوراه الشرف لحاملي هذه الشهادات

- المدرسية فقد منحت جامعة كاشمير الشيخ أبا الحسن علي الحسيني الندوي شهادة الدكتوراه الشرف في الدراسات العربية وهو لم يكن يحمل سوى هذه الشهادات.
4. ورابعاً أنّ حامل هذه الشهادات قد حاز جائزة البراعة الرئاسية في الدراسات العربية من قبل الحكومة الهندية فقد فاز العديد من علماء المدارس الإسلامية الذين لم يكونوا سوى حاملي هذه الشهادات وهذه الجائزة أعلى جازة وأشرفها يحصل عليها بارع في الدراسات العربية في الهند.
5. وكذا حاز متخرجو هذه المدارس أعلى جائزة هندية وأفضلها وهي بادام شيري (Padam Shree) فالشيخ وحيد الدين خان الذي ليس سوى متخرج في مدرسة إسلامية (مدرسة الإصلاح، سرائي مير، أعظم كره) قد نال هذه الجائزة الحكومية العليا.

وثانياً: نسبة المتخرجين في المدارس الإسلامية كأساتذة في هذه الجامعات: فالشيء الأول الذي يلفت أنظارنا نظراً للعلاقة بين الجامعات الهندية والمدارس الإسلامية هو عدد الأساتذة الجامعيين ونسبة المتخرجين من المدارس الإسلامية فيها. فلو نظرنا بعيني الإنصاف لوجدنا أنّ نسبة المتخرجين من المدارس الإسلامية في أساتذة اللغة العربية وآدابها في جامعات الهند هي تسع وتسعون في المئة فسيثبت ما قلنا من الجدول التالي لأساتذة قسم اللغة العربية وآدابها لبعض الجامعات الهندية:

اسم الجامعة	عدد أساتذتها للغة العربية وآدابها	عدد من تخرج من المدارس الإسلامية
جامعة دلهي	6	6
جامعة جواهر لعل نهرو	7	6
الجامعة المليّة الإسلامية	10	8
جامعة علي كره الإسلامية	9	8

1	1	جامعة إنديراغاندي
4	4	جامعة لكناؤ
5	5	جامعة مولانا أبي الكلام آزاد
4	4	الجامعة العثمانية
3	3	جامعة إله آباد
3	3	جامعة كلكتة
4	4	الجامعة العالية
2	2	جامعة فيسفا-باراتي

وثالثاً: المناهج الدراسية ومقرراتها: وليس هذا فحسب بل قد تم تقرير الكتب والرسائل التي هي إما كانت تدرّس في هذه المدارس الإسلامية أو هي التي كتبها العلماء الذين تخرجوا من هذه المدارس:

1. فمن الكتب التي كانت تدرّس في هذه المدارس الإسلامية ثم وُضِعَتْ في المقررات الدراسية لجامعات الهند وكلّياتها هي المعلقات السبع، ومختار قصائد الخنساء والفرزدق وجري، ومختار آيات القرآن الكريم، ومختار الأحاديث النبوية، ومقامات الحريري، وموادّ البلاغة وكتب النحو والصرف وغيرها مما قد كانت من المقررات الدراسية للمدارس الإسلامية ثم وُضِعَتْ من المقررات الدراسية لهذه الجامعات.
2. ومن المؤلفات والكتب التي ألّفها متخرجو هذه المدارس ثم هي وُضِعَتْ في المقررات الدراسية للجامعات الهندية هي مؤلفات الشيخ عبد الحميد الفراهي والشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي والشيخ وحيد الزمان الكيرانوي والشيخ ضياء الحسن الندوي والشيخ عبد المجيد الإصلاحي والدكتور ظفر الإسلام خان والشيخ شفيق أحمد خان وقصائد ومنظومات علماء هذه المدارس مما قد تم وضعها في المقررات الدراسية لهذه الجامعات الهندية.

3. وليس هذا فحسب بل المواد التي قُرِّرت في المقررات الدراسية لـ UGC تشملها ما كتبها هؤلاء العلماء بجانب تراجمهم فالشاه ولي الله الدهلوي والمحدث عبد الحق الدهلوي والعلامة فيض الحسن السهارنفوري والشيخ عبد الحي الحسيني والعلامة عبد الحميد القراهي وغيرهم من العلماء الذين تخرجوا من المدارس الإسلامية.
4. وحتى قد وُضِعَتْ هذه المقررات الدراسية من المقررات الدراسية للخدمة المدنية لحكومة الهند.

ورابعاً: تغيّر الوضع بعد 1960م: ولو أنّ وضع اللغة العربية قد تغيّر قليلاً بعد خروج النفط وكثرة الموارد العربية فجعل الناس يهرعون على التكلم بالعربية ويركّزون عنايتهم على هذا الجانب الطارئ إلا أنّ معظم من يشغل بهذه الوظيفة هم أيضاً ممن قد تخرج من هذه المدارس الإسلامية. فمن أبرزهم البروفيسور زبير الفاروقي والدكتور ظفر الإسلام خان وكلاهما قد تخرج من هذه المدارس الإسلامية فأولهما قد تخرج من دار العلوم بديوبند بينما الثاني قد تخرج من دار العلوم بندوق العلماء.

وخامساً: الطابع الديني: والشئ المهم في مساهمة هؤلاء المتخرجين في المدارس الإسلامية هو الطابع الديني السائد في هذا الجوّ العلمي الجامعي وذلك أنّ ما نراه ونشده في هذه الجامعات الحكومية من الطابع الديني المنتشر هو ليس إلا بفضل هؤلاء المتخرجين في المدارس الإسلامية فهم الذين قد اصطبغوا هذه الجامعات وطلابها بالصبغة الدينية وإلا فلن نتخيل مدى ضلالها وغوايتها.

هذه وجوانب أخرى تدلّ بوضوح على أنّ المتخرجين في المدارس الإسلامية قد لعبوا دوراً ريادياً في وضع مناهج اللغة العربية الدراسية لجامعات الهند كما قاموا بتدريس هذه اللغة وآدابها فيها حائزين على جوائز حكومية عليا بهذا الشأن.

مساهمة فرنفي محل في تطور الدراسات العربية والإسلامية

- أ. د. فيضان الله الفاروقي¹

طلع الإسلام في شبه الجزيرة العربية وما لبث أن أنارت أشعتها مشارق الأرض ومغاربها، وتواصلت باكورة ثمارها العلمية والروحية تغذي العقل والروح للنفوس السعيدة التي عاشت في أنحاء الأرض من سواحل إسبانيا غرباً إلى أرض الصين شرقاً، وذلك كله في مدة أقل من قرن واحد. شمر المسلمون من الصحابة وأتباعهم عن ساق الجد في توجيه القلوب وتزكية النفوس وتحويل قبلة الروح والقلب من الدنيا الدنية إلى الله العزيز الحكيم. وبذلك تغلغت الأرض بصدى "قال الله هكذا" وقال الرسول هكذا" فمنهم من يروي الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهم من كان يصغي إليه ثم يروي نفس الحديث إلى الجمع الكثير. هكذا انتشرت الأحاديث النبوية عبر البلاد في القرن الأول من الهجرة على أيدي الصحابة والتابعين وأتباعهم وهذا هو العصر الذي تنوّرت فيه شبه القارة الهندية بشعاع الإسلام ولا تزال مهداً للعروبة والإسلام منذ ذلك العصر إلى يومنا هذا.

أما الحكم السياسي على الهند فقد بدأ في سنة اثنتين وتسعين من الهجرة على يد محمد بن قاسم الثقفي وبلغت القوات الإسلامية من حدود السند إلى قنوج في سنة خمس وتسعين للهجرة، واستقلّ الحكم السياسي للمسلمين في الهند على يد السلطان شهاب الدين الغوري في سنة تسع وثمانين وخمسمئة للهجرة ولكن دخول المسلمين والدراسات الإسلامية أقدم. لهذا الحكم السياسي نجد أثراً كبيراً في انتشار الإسلام والدراسات الإسلامية في الهند وظهر جمع من العلماء والأدباء على بسط الأزمنة، طار صيتهم عبر

¹ شخصية يختص بسيرتها وأعمالها هذا العدد

العالم الإسلامي. يقول الشيخ أبو الحسن علي الندوي: إنتاجات علماء الهند لا تقل كمية ولا قيمة من علماء الأندلس إلا أنه لم يعتن المؤرخون بجمع أحوالهم ونشر أعمالهم القيمة. نجد معظم أعمالهم في صورة النسخ القلمية في المكتبات والمتاحف". ويقول أبو القاسم فرشته في تاريخه: كانت في عصر غياث الدين بلبن فوق ألف مدرسة في عاصمة دلهي وحدها". وكذا كان شأن المدن الأخرى كما صرح به المؤرخون وبما أن هذا الموجز لا يتحمل الإطالة فكتفي بذكر بعض الأعيان:

برز أبو حفص ربيع بن صبيح السندي البصري من بين أتباع التابعين، روى الحديث عن الحسن البصري وروى عنه سفيان الثوري وغيره من كبار الحديثين وهو أول من صنف في الإسلام (تذكرة رحمان علي وكشف الظنون والمصادر الأخرى) وتوفي مجاهدًا في إحدى جزائر الهند سنة ستين ومئة (طبقات ابن سعد) ومنهم أبو معشر نجيع السندي (ت170هـ) أقام بالمدينة المنورة وكان يعتبر إمامًا للسير والمغازي ومنهم رجاء السندي المعروف بالإصفهاني، يقول الحاكم عنه: كان واحدًا من أعمدة الحديث (تهذيب التهذيب، 267/3) وكثير من رجال السند الأوائل، جمعهم القاضي أطهر المباركفوري في كتابه "رجال السند والهند" ومنهم أبو العطاء السندي الذي نال الشهرة في الشعر العربي بين العرب. ولم تنقطع هذه السلسلة الذهبية ففي كل عصر برز علماء كبار اعترف بفضلهم العرب فالشيخ إسماعيل نشر الحديث والتفسير في لاهور وأسلم على يده عدد كبير من الناس ومنهم الشيخ داتا غنج بخش الهجويري صاحب "كشف المحجوب" والقاضي حميد الدين الناغوري صاحب تصانيف عديدة منها "الوائح" و"طوالع الشموس" ومنهم الشيخ علي بن الشيخ أحمد المهائمي صاحب "تبصير الرحمن"، لا نظير له في العالم الإسلامي في ربط الآيات والسور ومنهم الشيخ طاهر فتني صاحب "كنز العمال" في الحديث ومنهم علي المتقي صاحب "جمع الجوامع" في الحديث ومنهم الملا محمود الجونفوري صاحب "الشمس البازغة" في الفلسفة، إنه شرح فيه بعض آراء أرسطو عجز عن فهمها ابن رشد ومحقق

الطوسي ومنهم الشاه وليّ الله المحدّث الدهلوي صاحب تصانيف قيّمة منها "حجة الله البالغة" في أسرار الشريعة، أورد فيه بحثاً لم تخطر ببال أحد من علماء الأمة مثل سرّ التكاليف الشرعية ومسئلة الجبر والقدر وله "المسوّى شرح المؤطأ للإمام مالك".

وللمدارس الإسلامية دور هامّ في نشر التعاليم الإسلامية وإعداد رجال الدين والعلم، نجد شبكة للمدارس العربية الإسلامية في طول البلاد وعرضها، وبجانب المدارس كانت هناك أسر علمية في مختلف العصور والمدن اختصّت بحال علمي مخصوص وكانت أيضاً مدن وقرى أنجبت كثيراً من مهرة العلوم ومن الأسر كانت أسرة الشاه وليّ الله المحدّث الدهلوي وأبنائه وأحفاده، امتازت في تفسير معارف الحديث والتفسير في عاصمة دلهي وأسر علماء خير آباد امتازوا في نشر الفلسفة اليونانية بصفة إخضاعها للإسلام ومن بين هذه الأسر كانت أسرة فرنفي محل التي برزت على مسرح الوجود في مستهل القرن الثاني عشر الهجري وكان مسقط رأسها مدينة لكناؤ في شمال الهند. نلخص ما وجدنا عنها وعن أبنائها فيما يلي:

"فرنفي محل" وإسهاماته في تطوير الدراسات العربية والإسلامية

طلع في مستهل القرن الثاني عشر الهجري شمسٌ على آفاق سهالي وأضاءت أشعتها أنحاء لكناؤ ولم تمض مدة طويلة إلا وأحاطت بكل أنحاء البلاد الهندية وهي حتى الآن تنشر أنوارها. إنني أعني بذلك المركز العلمي الشهير "فرنفي محل" (Firangi Mahal). أُلخص تاريخه فيما يلي:

سكنت عشيرة مكرّمة من الأنصار في سهالي، قرية تقع على بعد نحو 22 كلو متراً من لكناؤ في مدينة باره بنكي. أقام فرع من هذه العشيرة في باني بت (Pani pat). كان الشاعر والكاتب الأردوي مولانا لطاف حسين حالي فرداً من هذه العشيرة كما كان قطب الدين السهالوي، الذي كان تلميذاً للملّا عبد السلام الديوي والملّا دانيال التشورسي، فرداً بارزاً لفرع هذه العشيرة. إنه أقام بسهالي. ثم قتل الملّا قطب الدين

من قبل الشيوخ الإقطاعيين العثمانيين المحليين نتيجة للتقاتل في 19/ رجب سنة 1103هـ-27/ مارس عام 1694م. وقع هذا في عهد أورنغ زيب. ولما أخبر السلطان عن هذا كله أصدر أحكامه الشديدة ضد قاتلي الملاً¹. "تسلم الأحكام الأحكام الملكية بصفة فورية لمعاقبة قاتلي الملاً قطب الدين عن طريق هدم بيوتهم وقتل كل من ارتكب الجريمة".

كان للملاً أربعة أولاد: محمد أسعد ومحمد سعيد ونظام الدين ومحمد رضا. تمتع محمد سعيد بالإذن بالدخول على ديوان أورنغ زيب. كان نظام الدين ثالث أشقائه الأربعة. إنه كان ابن 14 سنة حينما قتل أبوه فكان شاهد عين لقتل أبيه.

أصدر أورنغ زيب بعد قتل الملاً قطب الدين بعامين حكماً أعطي، حسب ذلك، مساكن فرنفي محل كتبرع لأولاد الملاً قطب الدين للسكن فيها.² نذكر تاريخ فرنفي محل طبقاً لبيان أدلى به مير أفسوس وعبد الحليم شرر:

"كان هناك تاجر فرنساوي للفرس في عهد الإمبراطور أكبر. لما لم يوسع في رخصته على نهاية السنة الأولى أصرّ على القيام بدون الرخصة. فصودرت عقاراته عقاباً لذلك. فهذه البيوت الجميلة أعطيت كمنحة لعشيرة الملاً قطب الدين من قبل أورنغ زيب للسكن فيها".

يضيف شرر إلى ذلك قائلاً في كتابه "كذشته لكأؤ":

"لما زار أورنغ زيب أيودھيا نزل في لكأؤ حين عودته إلى دھلي. لا شك في أنه وهب هذه القصور للملاً نظام الدين بتلك المناسبة".

إن البيان خاطئ لسببين: أحدهما: إن الحكم ختم عليه في السنة السابعة والثلاثين للجلوس

¹ بانئ درس نظامي محمد رضا الأنصاري الفرنفي محلي، مطبع نامي، لكأؤ، 1973م، ص 27، بناء على "عمدة وسائل النجاة"، ص 68 (مخطوط)

² آرائش محفل مير أفسوس، أنجن ترقى أردو هند، 1950م، ص 120-121

وفي الواقع إنه كان آنذاك في الهند الجنوبية ولا أثر يوجد في التاريخ بأن أورنغ زيب ذهب إلى لكناؤ في تلك الأيام والثاني إنه خاطئ في ضوء الحكم الذي وهب به أورنغ زيب تلك المباني فإنه لا يوجد أي ذكر للملّا نظام الدين بينما يوجد فيه أسماء كبير أشقاء الملّا نظام الدين: الملّا أسعد والملّا سعيد وهكذا يقول آصف بن علي أصغر فيضي في إحدى مقالاته الذي تمت ترجمتها إلى الأردوية باسم "هندوستان مين مذهب إسلام بر نظر ثاني كي ضرورت" (الحاجة إلى إعادة النظر في الإسلام في البلاد الهندية):

"تم تأسيس مدرسة في 1105هـ حينما كان الملّا نظام الدين ابن 15 سنة بأمر من أورنغ زيب باسم "فرنفي محل" وأوقفت بعض البيوت والأراضي لهذه المدرسة. لما أتم نظام الدين دراسته عين أستاذاً في هذه المدرسة وبقي أستاذاً مساعداً لأبيه الملّا قطب الدين".¹

إنه خاطئ لسببين: أحدهما أنّ الأمر² يوضح جلياً أنّ تلك الأماكن أعطيت للغرض السكني لا لتأسيس مدرسة والثاني أنّ الملّا قطب الدين مات قبل إصدار هذا الحكم بعامين.

سكن الملّا نظام الدين مع أفراد عشيرته في شقق التاجر الفرنسي حسب شهرة هذه المباني في تلك الأيام ولكنه ذهب للحضور في محاضرات الملّا علي قلي الجائسي والحافظ أمان الله البنارسي لإتمام دراسته. إنه أكمل دراسته على الملّا غلام نقشبند وبدأ يدرس ويدرس في "فرنفي محل" في عمر يبلغ 45 سنة. أسفر تدريسه المحتوي

¹ بانئ درس نظامي، ص 69-70

² "يا أيها الناس أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. مهر أبو مظفر محمد محيي الدين عالمكير بادشاه غازي..." درين وقت ميمنت أقران فرمان والاشان واجب الإذعان صادر شد كه يك منزله حويلي فرنكي به متعلقة آن واقع بلده لكنؤ مضاف به صوبه أوده كه از أمكنه نزولى است، براى بودن شيخ محمد أسعد ومحمد سعيد بسران ملا قطب الدين شهيد حسب الضمن مقرر فرموديم بايد كه حكام وعمل ومتصديان مهمات حال واستقبال وجاكير داران وكرويان به آن مشار اليهما معاف ومرفوع القلم دانسته بوجه من الوجوه مزاحم ومعترض نه شوند وأندرين باب سند مجدد نه طلبند" بانئ درس نظامي، ص 67

على خمسين عاماً عن تطوير محلة صغيرة محدودة للكاؤ كجامعة للدراسات الإسلامية.
إنّ دائرة الملا غلام نقشبند الذي كان أستاذاً بجانب كونه معلماً روحياً، اشتهر خلال عصره كمركز للدراسات الإسلامية. لما توفي في 1126هـ/1714م تحولت هذه الدرجة المركزية إلى معهد الملا نظام الدين وفي وقت قليل انتشر منهاج هذه المدرسة الدراسي في كافة أنحاء البلاد الهندية. اعترف بذلك كل من المترجمين من غلام علي آزاد إلى عبد الحلیم شرر والعلامة شبلي النعماني في تراجمهم وكتبهم التاريخية.
يمكن أن يسأل أحد: لم صار منهاج دراسي الملا نظام الدين شهيراً للغاية بينما كان في نفس العصر علماء كبار آخرون. يجيب الملا ولي الله الفرنغي محلي على هذا السؤال بأنه كان "الدرس الكثير في الوقت القصير".¹

يتحدث عبد الحلیم شرر:

"يقال أنّ المنهاج الدراسي الذي تم إعداده بقلبه وذهنه كان يمتلك البركات الروحانية بجانب اشتماله على فوائد العلم".²
في هذا الباب، يصف العلامة شبلي النعماني عن المميزات الخاصة للمنهاج الدراسي النظامي: الإيجاز: وضع كتاباً أو كتابين في كل مادة.

طبقاً لأصل الإيجاز، قرّر معظم الكتب جزئياً فالأجزاء التي كانت ضرورية وضعت للدرس. لم يتم إلا تقرير الكتب التي اعتبرت صعباً جداً على الموضوع. فكان الهدف تنمية صلاحية الفكر العميق في أذهان الطلاب لكي يدرسوا بعد ذلك، أيّ كتاب يريدون دراسته.³
وعلى كل حال فقد نال الملا نظام الدين والمنهاج الدراسي الذي أعده هو، شهرة في

¹ المصدر نفسه، ص 78

² گذشته لكاؤ لعبد الحلیم شرر (بالأردوية)، نسیم بك دبو، لكاؤ

³ مقالات شبلي، دار المصنفين، أعظم كره (بالأردوية) 82/1

أيام حياته، يصفها كاتبه المعاصر غلام علي آزاد في كتابه "مآثر الكرام":

"إن أغلبية علماء البلاد الهندية كافة تلامذة الملاء نظام الدين في هذه الأيام".¹

وهذا حق أن المنهاج الدراسي الذي أعدّه الملاء نظام الدين يختلف عن كافة المناهج الدراسية القديمة فالهدف الأصيل وراء إعداد هذا المنهاج الدراسي كان خلق الصلاحية للوصول إلى العمق، في أذهان الطلاب، ولاستنباط المعاني العميقة لكتاب ثم أخذ وفهم الفكر الأصلي للكاتب وهكذا يقدر الطلاب على تلقي القدر الأعلى للعلم في وقت قليل نسبياً. ولذلك فقد وجه الملاء نظام الدين التفاتاً زائداً إلى أصول الموضوع بدلاً من الكتب المقررة على ذلك الموضوع ولذلك فإننا نجد كتباً كثيرة حول الأصول بدلاً من الموضوع نفسه الذي ينبغي الصلاحيات للتبصر والتكهن في داخل الطلاب. فهذا المنهاج الدراسي يصرّ إصراراً على العلوم العقلية فالיום يمكن لأحد أن ينتقد هذه الطريقة ولكن من الواقع أن هذا المنهاج الدراسي قد قدّم إسهاماً معقولاً إلى تربية الأذهان سيراً مع البيئة والجو العقلي للهند. وهذا هو السبب الوحيد وراء شهرة مناهج دراسي الملاء نظام الدين فيما وراء الحدود الهندية إلى هرات واليمن في أيام حياته ذاتها. يقول صاحب "أغصان الأنساب" إن اثنين من طلابه جاءا من هرات (Hirat) واليمن وعمّما هذا المنهاج الدراسي في بلديهما إثر عودتهما إلى وطنيهما.² والآن وقد مضى نحو ثلاثة قرون منذ ذاك الوقت، نرى أن كلّ المدارس المهمة للدراسات العربية والإسلامية ليست في غنى عن هذا المنهاج ومن برز من علمائه في مجال الدراسات العربية والإسلامية هم الشيخ عزيز الله والشيخ حسن بن غلام مصطفى والملاء عبد العلي بحر العلوم والشيخ أحمد بن يعقوب والشيخ أنوار الحق وعبد العلي والشيخ علاء الدين أحمد والشيخ أمين الله والملاء

¹ مآثر الكرام لغلام علي آزاد البلغرامي (بالفارسية)، مطبع مفيد عام، آغره، 1910م، 220/1

² بناءً على "أغصان الأنساب" (مخطوط)، ص 95، بناء على "أغصان الأنساب" (مخطوط)

حيدر بن الملا مبین وظهور الله والشيخ محمد أصغر والشيخ معين والشيخ ولي الله والشيخ أبو الحسن والشيخ إفهام الله والشيخ بديع الزمان والشيخ حفيظ الله والشيخ عبد الحي والشيخ رحمة الله والشيخ أمان الله والشيخ ظهور علي الأنصاري والشيخ عبد الحكيم والشيخ عبد الحليم والشيخ نعمة الله والشيخ مراد الله والشيخ نعيم الله والشيخ عبد الرزاق والشيخ شمس العلماء محمد نعيم وآخرون غيرهم فنختار بعضاً منهم ونتكلم عنهم بالإيجاز:

1. الملا حسن بن غلام مصطفى: هو ينتمي إلى عائلة فرنفي محل الشهيرة. كان اسمه محمد حسن ولكنه اشتهر باسم "الملا حسن". اكتسب العلم على خاله الملا كمال الدين ثم على الملا نظام الدين. كان الملا حسن عالماً فاقد النظير في المعقولات. قام بتدريس هذه العلوم في فرنفي محل لمدة غير قصيرة ولكنه غادر لكناؤ لأجل نزاع ديني وذهب إلى شاهجهان بور سراً. وعلى دعوة من ضابطة خان، أقام في نجيب آباد وعمل في مكان أستاذه الملا كمال الدين. ولما انهزم ضابطة خان من قبل المراثيين توجه الملا حسن نحو دلهي وعاش مع شاه عالم إمبراطور دلهي لمدة قصيرة. دعاه ضابطة خان مرة أخرى إلى نجيب آباد. ثم دعاه النواب فيض الله خان إلى رامبور فذهب إليها وتوفي بها في الثالث من صفر المظفر عام 1209هـ.¹ من أعماله البارزة:

1. الملا حسن: هذا شرح شهير للغاية لسلم العلوم وله درجة ممتازة فيما بين شروح هذا النص المعقول. يوجد مطبوعاً في كل مكان.
2. شرح مسلم الثبوت: شرح غير تام يعالج البحوث حتى الباب "مبادئ كلامية".²
3. حاشية على صدر: وصدر شرح جميل لهداية الحكمة. قام به صدر الدين

¹ تاريخ علماء فرنفي محل لعناية الله القرنفي محلي، مطبع إشاعة العلوم، لكناؤ، ص 46
² "سلم" و"مسلم" كتابان دراسيان شهيران قام بتأليفهما الملا محب الله البيهاري فالأول في المنطق والثاني في أصول الفقه. يوجد كلا الشرحين مطبوعاً مع نصوصهما.

الشيرازي وهو يتحدث عن الفلسفة اليونانية.

4. حاشية على زواهد ثلاثة.¹
5. معارج العلوم: هذا كتاب دراسي في الفلسفة اليونانية. هذا أيضاً غير تام ويشرح حتى "أم الأجسام".
6. حاشية شمس بازعة للملا محمود الجونبوري: هذا في الفلسفة اليونانية ومطبوع ولكنه غير تام كذلك.²

2. الملا عبد العلي بحر العلوم: كان يكنى "أبو العياش". ولد في 1142 هـ. نال دراسته الابتدائية على والده وأتمها في عمره البالغ 18 سنة. وبعد وفاة والده تعلّق بالملا كمال الدين وتلقّى مزيد الدراسة عليه ثم عمل لنحو سنتين في موضع والده. بعد ذلك زار الحافظ رحمت خان الشاهجهان بوري الذي أقام معه لمدة عشرين سنة تقريباً. ثم دعاه النواب فيض الله خان إلى رامبور فذهب إليها وبعد القيام بها لمدة أربع سنوات تقريباً سافر إلى بوهارو (Buharu) إحدى قرى مدينة بوردوان (Burdwan) للقيام مع الرئيس المنشئ صدر الدين. ولما رأى بها ازدحاماً للطلّاب ذهب إلى محمد علي والاجاهي المدراسي في 24 من ذي الحجة عام 1205 هـ مع 600 طالب كما هو المذكور في "نزهة الخواطر". توفي في 13 من رجب المرجب عام 1225 هـ في مدراس بعدما أدّى خدمة جليّة للأدب والدراسة ودفن في مسجد والاجاه القائم في مدراس. من أعماله البارزة:³

¹ قد تم شرح "زواهد ثلاثة" في الباب السابق. راجعه. توجد نسخته الخطية في مكتبة ندوة العلماء (رقم المخطوطات: 6427) ومكتبة خدا بخش. مفتاح الكنوز الخفية، 153/3

² كافة أعمال الملا حسن المذكورة أعلاه موجودة في شكل المطبوع ومدرسة في المدارس الإسلامية. إني كذلك رأيت نسخاً خطية لهذه الآثار في مكتبة رضا لرامفور. راجع مفهرس المخطوطات العربية.

³ ولمزيد البيان راجع: آثار الأول لعبد الباري الفرنفي محلي، مطبع مجبتي، لكناؤ، ص 24 وتاريخ عماء فرنفي محلي، ص 137-138 ونزهة الخواطر لعبد الحي الحسيني، دائرة المعارف، حيدر آباد، 282/7-286 وباني درس نظامي، ص 10-124.

- لم يكن عالم يعادله سوى الملامم والشيخ ولي الله والعلامة عبد الحي. نجد في أعماله قدراً كبيراً من العلوية والواقعية وهو مفقود لدى الآخرين فقد شرح في شروحه وحواشيه مشتملات النصوص بأسلوب بسيط للغاية.
1. شرح تحرير الأصول: بدأ والده بكتابة شرح تحرير الأصول لابن همام ولكنه لم يوفق إتمامه فأتمه بحر العلوم.
 2. قيامت نامه: ذكر الأحداث التي ستقع عند بلوغ يوم القيامة وتفصيل الآخرة بناءً على القرآن الكريم والأحاديث الشريفة. لغة الكتاب فارسية¹ وصدرت له طبعات عديدة.
 3. أركان أربعة المشهور بـ"رسائل الأركان": هذه مجموعة أربع رسائل؛ الرسالة الأولى في الصلاة والرسالة الثانية في الزكاة والرسالة الثالثة في الصوم والرسالة الرابعة في الحج. يوجد الكتاب بالعربية وتم طبعه.²
 4. حاشية على مير زاهد رسالة: هي حواشٍ مفصلة بالعربية على الرسالة القطبية لقطب الدين الرازي وهي رسالة تتحدث عن المصطلحات المنطقية وإثبات تصور التصديق. أعدت مع الحواشي عليها باسم "كشف المكتوم حاشية بحر العلوم". تم طبعها.³
 5. حاشية على شرح صدر: شرح عربي جميل لهداية الحكمة لصدر الدين الشيرازي وهو لكتاب الأبهري في الفلسفة.⁴
 6. فواتح الرحمة: هذا شرح عربي لمسلم الثبوت للملا محب الله البهاري وهو كتاب

¹ توجد نسخة الخطية في مكتبة كلكتة القومية، رقم: Bh.P.MS. Catl.132

² توجد نسخة الخطية في مكتبة كلكتة القومية: A و B و C و I و E 32 ومكتبة خدا بخش. مفهرس المخطوطات العربية 52/3.

³ توجد نسخة الخطية في مكتبة كلكتة القومية A و B و C 4 و A 10 ومكتبة خدا بخش، مفهرس المخطوطات العربية ص 230-231

⁴ توجد نسخة الخطية في مكتبة كلكتة القومية، رقم: B.Ar.334 ومكتبة خدا بخش، مفهرس المخطوطات العربية، 210/1

- شهير في أصول الفقه.¹
7. شرح سلم العلوم: شرح عربي لسلم العلوم للملا محب الله البيهاري. هذا كتاب شهير في المنطق.²
8. تنوير المنار، شرح فارسي للمنار: كتاب شهير في أصول الفقه الحنفي قام بتأليفه حفيظ الدين النسفي (ت1310م).³
9. هداية الصرف: كتاب في الصرف العربي باللغة الفارسية.⁴
10. شرح مثنوي معنوي: شرح فارسي للمحمة مولانا رومي المسماة بـ"مثنوي معنوي".⁵
- وبجانب هذه الأعمال الجليلة قام بحر العلوم بتحرير حواشٍ على عديد من كتب المنطق الدراسية. طبعت هذه الأعمال كلها.
3. الملا مبین بن الملا حبيب الله: هو أيضاً أحد كتّاب فرنفي محل البارزين. يعالج معظم آثاره شرح النصوص في المنطق وهي مفيدة لكلا الحزبين؛ حزب الأساتذة وحزب الطلاب. توجد شروح مفيدة ملائمة للموضوعات المختلفة في كافة أعماله. ليس له عديل في سعة العلم وعمق الفهم حتى فيما بين علماء فرنفي محل. إنه كان تلميذاً للملا حسن ولا غير وقد اتسع نطاق تلامذته إذ كان أستاذه حياً ولما هاجر الملا حسن إلى رامفور ملأ هذا الفراغ. من أبرز أعماله:
1. شرح كامل لسلم: يوجد مطبوعاً.
2. شرح مسلم الثبوت: هذا يعالج حتى الباب "مبادئ كلامية". توجد نسخته

¹ توجد نسخته الخطية في مكتبة خدا بخش، فهرس المخطوطات العربية 72/1 ومكتبة كلكتة القومية: Bh,Ar,142 ومكتبة ندوة العلماء رقم: 2049. تم طبعه كذلك.

² توجد نسخته الخطية في مكتبة كلكتة القومية، رقم: Bh,Or.302 ومكتبة خدا بخش، فهرس المخطوطات العربية، 227/1

³ توجد نسخته الخطية في مكتبة كلكتة القومية، رقم: Bh,Pr.131

⁴ توجد نسخته الخطية في مكتبة خدا بخش، فهرس المخطوطات الفارسية، 129/3

⁵ توجد نسخته الخطية في مكتبة خدا بخش، المصدر نفسه، ص 410

- الخطية في مكتبة خدا بنخش بيته. ¹تم طبعه كذلك.
3. الحواشي على زواهد ثلاثة: تم طبعها. توجد نسخها الخطية في مكتبة خدا بنخش بيته ومكتبة رضا، برامفور. ²
4. شرح عربي للمثنى بالتكرير وهو باب معقد لصدر الدين الشيرازي والكتاب الأصيل يتكلم عن الفلسفة اليونانية.
5. كنز الحسنات في مسائل الزكاة: كتاب في الفقه بالفارسية. تم طبعه.
6. شرح أسماء حسنى.
7. ترجمة "حكاية الصالحين".
8. وسيلة النجاة: ترجمة الاثنى عشر إماماً. لغة الكتاب فارسية وطبع من مطبع غلشن فيض في 1313هـ.
9. جواهر الفوائد: يحتوي الكتاب على أصول الصيام.
10. زبدة القواعد: كتاب بالفارسية يدل على أصول الفقه الحنفي. توجد نسخته الخطية في مكتبة رضا برامفور. ³
- توفي الملامين في 22 من ربيع الثاني عام 1225هـ. وكان قد بلغ من عمره 67 سنة.
4. أمين الله: إنه ينتمي إلى فرنفي محل. أبوه محمد أكبر. له اليد الطولى في الفقه الحنفي. ولد وترعرع في لكناؤ. تلقى العلم على خاله المفتي محمد أصغر وجده لأمه المفتي ظهور الله. وبعدما أتم دراساته أقام في لكناؤ وانشغل بتدريس العلوم وكتابة الفتاوى. من أبرز أعماله:
1. حواشي على شرح جامي: هذا شرح عربي لكافية ابن حاجب، قام بتأليفه عبد

¹ مفتاح الكنوز الخفية، 72/1 ومكتبة ندوة العلماء، رقم: 2043

² المصدر نفسه، ص 155-164. فهرس المخطوطات العربية لمكتبة رضا، 8504/4 و 8144/2

³ ولزبد البيان راجع: تذكرة علماء فرنفي محل لعناية الله الفرنفي محلي، مطبع إشاعة العلوم، لكناؤ، ص 172 ونزهة الخواطر، 403/7 وأثار الأول، ص 30

الرحمن جامي.

2. ضابطة التهذيب.

3. فصول أكبري: كتاب مقرر في الدرس في أيتولوجيا العربية، قام بتأليفه السيد علي أكبر الله آبادي.

مضى لسبيله في لكناؤ في 29 من جمادى الأخرى عام 1253م.¹

5. حيدر بن الملا مبین: هو أحد أفراد عائلة فرنفي محل الشهيرة وكان من علماء الفقه الحنفي. تلقى العلم على والده ثم أوقف ذاته على الأعمال الأدبية. أعطاه سعادت علي خان علاوة يومية قدرها ثلاث رويات وبعدما توفي سعادت خان أشرف عليه رؤساء المدينة الآخرون ونال علاوة أكثر من ذات قبل وبسبب النزاع بين أهل التشيع وأهل السنة، تعرض لأنواع شديدة من العذاب والعقاب فترك المدينة وأراد كلكته في 1240هـ. إنه أراد أن يحج بيت الله ولكن الطوفان جره إلى مسقط وبعد القيام بها لمدة ثلاثة أشهر استأنف رحلته للحج وبلغ مكة في 1246هـ.² خلال قيامه بمكة نال الإجازة من السيد يوسف اليميني والشيخ عبد الحفيظ المكي لتدريس ورواية الحديث. رجع إلى الهند في شهر محرم في 1241هـ. وبإرادة المغادرة ركب باخرة ولكنها غرقت بعد قطع مسافة غير طويلة وبغرقها غرق 20 سافراً فيها كما لم تبقى مكتبة ثمينة من عذاب الغرق. ومن نعمة الله عليه أنه أفلت من المصيبة وبلغ مومباي بخير وعافية. تلقاه الناس في حيدر آباد برحابة صدورهم فوهبه نواب حيدر آباد علاوة شهرية قدرها ألف روبية فأقام بها. من أعماله:

كتب رسالة وجيزة في المنطق كما ألف كتباً آخرى سَمَّى "وظائف حيدرية" وبجانب هذين الكتبيين، علّق الشيخ على عديد من الكتب الدراسية. توفي

¹ نزهة الخواطر، 58/7 وتاريخ علماء فرنفي محل، ص 38

² آثار الأول، ص 15

بجيدر آباد في 1256م.¹

6. العلامة عبد الحي الفرنفي محلي: لم يكن له بديل سوى العلامة بجر العلوم ومن العجيب أنّ كليهما تمتع من الفترة السوية للحياة. قد سبق أسلافه في سعة العلم وكثرة التأليف.

يعرف العالم الإسلامي مساهماته القيمة في الدراسات الإسلامية خير معرفة وقد ذكر المؤلف ذاته هذه الخصوصية منه في مختلف كتبه ورسائله ومثل هذه الروايات تشير إلى جداراته الكبرى.

ألف الشيخ عبد الباقي كتاباً في ذكره باسم "حسرة الفحول بوفاة نائب الرسول". أصابه الصرع ليلة التاسع والعشرين من ربيع الأول عام 1304هـ ولكنه أنفلت من حملته إلا أنّ حملته الثالثة لم تمهله لمزيد من الحياة. يقول عنه المحقق الشهير عبد الفتاح أبو غدة:

"وقد وقع لي أكثر مؤلفاته، وأنا في استكمال باقيها، ومن عزمي أنّ أحصي صفحات تلك التأليف العديدة المفيدة، لأوزعها على أيام عمره رحمه الله تعالى، فيظهر منها نبوغه النادر العظيم في التأليف والتصنيف، وظني أنها تفوق في كثرة صفحاتها الموزعة على أيام حياته ما قيل في كثرة تصنيف ابن جرير وابن الجوزي والفخر الرازي وأمثالهم، من الذين طالت أعمارهم وكثرت تواليفهم، هذا مع تأخر العصر وفتور الهمم واجترار العلم عند أغلب المؤلفين المتأخرين".² معظم آثاره باللغة العربية. أسلوبه بسيط وتفصيلي. إنه مهر في كافة مجالات العلوم إلا أنه كان راغباً في الفقه. وفيما يلي ذكر موجز لأعماله:

1. تبيان: شرح بالفارسية لـ "ميزان الصرف".

¹ أغصان أربعة، ص 38 وتذكرة علماء فرنفي محل، ص 49-51
² طرب الأمائل بتراجم الأفاضل لأبي الحسنات عبد الحي الفرنفي محلي (تحقيق: الدكتور غلام مرسلين)، مركز الدراسات الآسيوية الغربية، جامعة علي كره الإسلامية، 1993م، 34/1

2. تكملة الميزان (بالفارسية).
3. شرح تكملة الميزان: لم يطبع حتى الآن.
4. امتحان الطلبة.
5. هذه الرسائل الأربع بالفارسية في النحو العربي.
6. إزالة الجمد عن إعراب أكل الحمد (بالعربية).
7. خبر الكلام في تصحيح كلام الملوك ملوك الكلام للعلامة صديق حسن خان القنوجي (بالعربية).
8. الهداية المختارة في شرح الرسالة العضدية للقاضي عضد في أصول الفقه (بالعربية).
9. هداية الوري إلى لواء الهدى (بالعربية).
10. مصباح الدجى في لواء الهدى لغلام يحيى في المنطق (بالعربية).
11. نور الهدى: كتاب بالعربية في المنطق.
12. علم الهدى لخملة علم الهدى (بالعربية). هذه أربع حواشٍ على "لواء الهدى".
13. التعليق لحلّ حاشية الجلال على التهذيب: كتاب بالعربية في المنطق.
14. حلّ المغلق في بحث مجهول المطلق: كتاب بالعربية في المنطق.
15. حاشية شرح تهذيب لعبد الله البزدي: هي بالعربية في المنطق.
16. حاشية بر مير زاهد رسالة قطبية (بالعربية).
17. حاشية بر مير زاهد ملا جلال: هي بالعربية في المنطق.
18. حاشية بديع الميزان: هي بالعربية في المنطق.
19. حاشية رسالة قطبية: هي بالعربية في المنطق.
20. الكلام المتين في تحرير البراهين: كتاب بالعربية في المنطق.
21. تيسير العسير في بحث المثنيات في التكرير: كتاب بالعربية في المنطق.
22. الإفاضات الخطيرة في بحث سبع أرض عشيرة: كتاب بالعربية في الفقه.
23. دفع الكلال عن تعليقات الكمال: كتاب بالعربية في المنطق.

24. تعليقات الحمائل على حواشي زاهد على شرح الهياكل: هي بالعربية في الفلسفة اليونانية.
25. المعارف حاشية شرح مواقف: كتاب بالعربية في أصول الفقه.
26. حاشية صدرا: هي بالعربية في الفلسفة اليونانية.
27. حاشية ميبدي: هي بالعربية في الفلسفة اليونانية. و"ميبدي" شرح لهداية الحكمة لألف. ج. ميبدي.
28. حاشية شمس بازغة (بالعربية) و"شمس بازغة" كتاب في الفلسفة اليونانية قام بتأليفه الملا محمود الجونوري.
29. حاشية معجز للنفيسي (بالعربية).
30. الفوائد البهية في تراجم الخفية: هذا أحد مؤلفات الكاتب القيمة بالعربية. له مجلدان.
31. التعليقات السنية حاشية للفوائد البهية: حاشية بالعربية على الكتاب المذكور أعلاه.
32. النصيب الأوفر في تراجم علماء ثلاثة عشر: هذه تراجم لعلمائه المعاصرين بالعربية. لم تطبع حتى الآن.
33. خير العمل في علماء فرنفي محل: هذه تراجم لعلماء فرنفي محل بالعربية. لم تطبع حتى الآن.¹
34. نزهة المدرسين في ذكر المؤلفات والمؤلفين (بالعربية).²
35. النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير: كتاب مطبوع بالعربية في الفقه. و"الجامع الصغير" عمل كبير في الفقه الحنفي للإمام محمد الشيباني.
36. مذيلة الدراية لمقدمة الهداية: هي بالعربية في الفقه.
37. مقدمة الهداية: هي بالعربية في الفقه و"الهداية" شرح "القدوري" وهو كتاب ألفه الإمام أبو الحسن بن أبو بكر القدوري البغدادي (ت362هـ) في الفقه

¹ راجع للمخطوط: بانئ درس نظامي، ص 14

² هذه الرسائل الثلاث (31-33) توجد صورة مخطوطات غير تامة في مجموعات فرنفي محل لمكتبة مولانا آزاد القومية، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره. رقم المخطوط الأخير: 71/549

- الحنفي و"الهداية" كتاب لشمس الدين المرغيناني. طبع كلا الكتاين مع الهداية.
38. مقدمة السعاية: هي بالعربية في الفقه و"السعاية" شرح "شرح الوقاية" الذي هو ذاته شرح للوقاية.
39. مقدمة عمدة الرعاية: "عمدة الرعاية" شرح للنصف الأول لـ"شرح الوقاية" في مجلدين. تم طبعه.
40. مقدمة شرح وقاية: هي بالعربية وتم طبعها مع شرح الوقاية.
41. مقدمة التعليق الممجد: التعليق الممجد شرح المؤلف لموطا الإمام محمد وهو مجموع مهم للأحاديث. يعدّ الشرح من الأعمال المهمة في الفقه الحنفي.
42. إبراز الغيّ الواقع في شفاء العي: هذا ردّ بالعربية على كتاب "شفاء العي" للنواب صديق حسن البهوفالي. تم طبعه.
43. تذكرة الراشد برد تبصرة الناقد: هذا ردّ بالعربية على كتاب "تبصرة" للنواب صديق حسن خان. ألّفه النواب ردّاً على كتاب المؤلف "إبراز الغي". تم طبعه.
44. حسرة العالم بوفاة مرجع العالم: هذه ترجمة عربية لوالده الشيخ عبد الحليم الفرنفي محلي.
45. طبقات الحنفية: هذه ترجمة عربية لعلماء الفقه الحنفي. تم طبعها.
46. القول المشهور في هلال خير الشهور: هي بالعربية في الفقه. تم طبعها.
47. القول المنشور على القول المشهور: هذه حواشٍ عربية على تلك الرسالة. تم طبعها.
48. الفلك الدوّار فيما يتعلق برؤية الهلال بالنهار: هي بالعربية في الفقه. تم طبعها.
49. الأجوبة الفاضلة لأسئلة العشرة الكاملة: هذه مجموعة الأجوبة المقنعة على العشرة أسئلة التي طرحت على المؤلف من قبل محمد حسين الذي لم يقبل ثقة أربعة المذاهب الفقهية وكان يتعلق بطائفة "غير مقلدة". تم طبعه.
50. الكلام الجليل فيما يتعلق بالمنديل: رسالة بالعربية في الفقه. تم طبعها.
51. تحفة النبلاء في جماعة النساء: هي بالعربية وقد طبعت.

52. الإفصاح عن شهادة المرأة في الإرضاع: هي بالعربية في الفقه وصدرت مطبوعة.
53. قوت المغتدين بفتح المقتدين: رسالة بالعربية في الفقه. تم طبعها.
54. الفلك المشحون في انتفاع الراهن والمرتهن بالمرهون: رسالة بالعربية في الفقه. تم طبعها.
55. تحفة الطلبة في مسح الرقبة: رسالة بالعربية في الفقه. تم طبعها.
56. تحفة الكلمة: رسالة بالعربية في الفقه.
57. نزهة الفكر في سبحة الذكر: رسالة بالعربية في الفقه. تم طبعها.
58. النفحة بتحشية النزهة: هذه حواشٍ بالعربية على "نزهة الفكر". تم طبعها مع الأصل.
59. سياحة الفكر في الجهر بالذكر: رسالة بالعربية في الفقه. تم طبعها.
60. خير الخبر في أذان خير البشر: كتاب بالعربية في الحديث. تم طبعه.
61. المسهسة بنقض الوضوء بالقهقهة: رسالة بالعربية في الفقه طبعته.
62. رفع الستر عن إدخال الميت في القبر: رسالة بالعربية في الفقه. تم طبعها.
63. غاية المقال فيما يتعلق بالنعال: رسالة بالعربية في الفقه. طبعته.
64. زفر الأنفال حاشية غاية المقال: هذه حواشٍ بالعربية على "غاية المقال".
65. إفادة الخير في الاستيالك بسواك الغير: رسالة بالعربية في الفقه. صدرت مطبوعة.
66. التحقيق العجيب في التثويب: رسالة بالعربية في الفقه. تم نشرها.
67. إحكام القنطرة في أحكام البسملة: رسالة بالعربية في الفقه. لم تطبع حتى الآن.
68. القول الأشرف في الفتح عن المصحف: رسالة بالعربية في الفقه. تم طبعها.
69. تحفة الأخيار في إحياء سنة سيد الأبرار: رسالة بالعربية في الفقه. صدرت من الشام بتحقيق محمد الفتاح أبو غدة. ثبت الرسالة 20 ركعة لسنة التراويح.
70. نخبة الأنظار حاشية تحفة الأخيار: هي حواشٍ بالعربية على "تحفة الأخيار". تم طبعها مع الأصل.
71. إمام الكلام في القراءة خلف الإمام: رسالة بالعربية مليئة بالحجج على الموضوع.

تم طبعها.

72. غيث الغمام: هذا شرح "إمام الكلام". تم طبعه مع الأصل.
73. زجر أرباب الريان عن شرب الدخان: رسالة بالعربية في الفقه. تم طبعها.
74. ردع الإخوان عما أحدثوه في جمعة آخر رمضان: رسالة نصح وإصلاح عربية في الفقه. تم طبعها.
75. أحكام الفرائض في أداء الأذكار في لسان فارس: رسالة بالعربية في الفقه. تم طبعها.
76. الإنصاف في حكم الاعتكاف: رسالة بالعربية في الفقه. قد طبعت.
77. إقامة الحجة على أنّ الإثثار في التعبد ليس ببدعة: رسالة بالعربية صدرت من الشام بتحقيق أبو غدة.
78. تدوير الفلك في حصول الجماعة بالجن والملك: رسالة بالعربية في الفقه. قد طبعت.
79. القول الجازم في سقوط الحد بنكاح المحارم: رسالة بالعربية في الفقه.
80. الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: رسالة بالعربية في أصول الحديث. صدرت من الشام.
81. نفع المفتي والسائل بجمع متفرق المسائل: رسالة بالعربية في الفقه. تم طبعها.
82. حسن الولاية: هذه حواشٍ بالعربية على "شرح الوقاية". تم طبعها.
83. عمدة الرعاية في حلّ شرح الوقاية: هذا شرح لـ "شرح الوقاية". ويعتبر أهم مؤلفات الكاتب.
84. السعاية في كتب ما في شرح الوقاية: هذا تعريف انتقادي بالعربية بكافة الكتب التي جاء ذكرها في "شرح الوقاية".¹
85. حاشية جامع صغير: هي بالعربية. و"جامع صغير" كتاب للإمام محمد الشيباني (ت187هـ).

¹ "وقاية الرواية" كتاب دراسي للفقّه الحنفي آلفه برهان الشريعة محمود بن عبد الله المحبوبي. كتب عبد الله بن مسعود تاج الشريعة شرحاً له باسم "شرح الوقاية" و"السعاية" شرح لهذا الشرح.

86. حاشية هداية: هي بالعربية في الفقه. هي حواشٍ مفصلة على الكتاب. طبعت مع الأصل. لم تتجاوز الحواشي جزء الهداية الأول.
87. التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد: هذا شرح قيم لموطأ الإمام محمد. يعتبر الشرح أهم وأجل مؤلفات الكاتب.
88. الآثار المرفوعة في ذكر الأحاديث المرفوعة: كتاب بالعربية في الحديث وأصوله.
89. حاشية حصن حصين: "حصن حصين" مجموعة الأحاديث الناصحة لشمس الدين أبو الخير المعروف بابن الجذري. علق عليه الشيخ بالعربية.
90. ظفر الأمانى: هي بالعربية في أصول الحديث.¹
91. الآيات والبيانات على وجود الأنبياء في الطبقات: رسالة غير تامة.
92. اللطائف المستحسنة بجمع خطب شهور السنة: هذه مجموعة الخطب العربية التي تلقى يوم الجمعة. تم طبعها.
93. زجر الناس على إنكار أثر ابن عباس: كتاب مليء بالحجج على موضوع الحديث.
94. رفع الوسواس في أثر ابن عباس (بالأردوية).
95. الكلام المبرم في نقد قول المحكم: رسالة بالأردوية في الكلام. تم طبعها.
96. الكلام المبرور في رد قول المنصور (بالأردوية).
97. السعي المشكور في رد مذهب المأثور: رسالة بالعربية في الكلام.
98. عمدة النصائح: رسالة غير تامة بالعربية. لم تطبع حتى الآن.
99. جمع الغرر في رد نثر الدرر: رسالة بالعربية في الكلام. تم طبعها.
100. تحفة الثقاة في تفاصيل اللغات: رسالة بالعربية في الأدب.
101. زجر الشبان والشبهة عن ارتكاب الغيبة: رسالة بالأردوية في النص والإرشاد. تم طبعها.
102. مصباح الدجى: هذه حواشٍ بالعربية على حواشي غلام يحيى على رسالة مير

¹ "مختصر أصول الحديث" كتاب للسيد مير شريف جرجاني و"ظفر الأمانى" شرحه.

زاهد. موضوعها المنطق وتم طبعها.

103. حاشية خيالي: كتب سعد الدين عمر التفتازاني شرح "العقائد" للإمام النسفي ثم كتب الشيخ أحمد بن موسى بن شمس الدين الحواشي عليه باسم "خيالي". ألف المؤلف حواشيه عليه بالعربية وسمّاها بـ "حاشية خيالي". صدرت الحواشي مع الأصل.

104. حاشية شرح عقائد نسفي: هذه حواشٍ بالعربية على "شرح العقائد" للنسفي. تم طبعها.

وبجانب هذه الكتب القيمة العالية كتب المؤلف عديداً من الرسائل على مختلف الموضوعات. لم يتم معظمها.¹

7. عيد الحليم بن أمان الله: ولد في 12 من شعبان عام 1239 هـ وبعدما حفظ القرآن درس كتب المنهاج الدراسي من والده والمفتي ظهور الله وفرغ من دراسته وهو كان ابن 16 سنة فقط. تعلّم الحديث على ميرزا حسن علي المحدث. بدأ يعلم في لكناؤ ثم ذهب إلى باندا (Banda) ومن ثم إلى جونفور فدرّس في "مدرسة حافظ إمام بخش". قضى بها عشر سنوات ثم سافر إلى حيدرآباد حيث أقام. مات صباح يوم الاثنين التاسع والعشرين من شعبان عام 1285 هـ من أبرز أعماله:

1. رسالة في الإشارة بالسبابة في التشهد: رسالة في الفقه.
2. حاشية شرح عقائد: هي بالعربية وتم طبعها.
3. نظم الدرر في سلك شقّ القمر: رسالة بالعربية في إثبات معجزة النبي لـ "شق القمر".
4. إمعان النظر في بصارة شقّ القمر.
5. التحلية شرح التسوية: "التسوية" كتاب بالعربية في التصوف للشيخ محب الله

¹ تذكرة علماء فرنفي محل، ص 131 ونزهة الخوطر، 234/8 وآثار الأول، ص 23-24

- الله آبادي. شرحه عبد الحليم باسم "التحلية". تم طبعه.
6. نور الإيمان في أثر حبيب الرحمن: هي ترجمة عالم كبير يسمى "حبيب الرحمن".
7. الإملاء في تحقيق الدعاء.
8. إيقاد المصباح في التراويج: رسالة في الفقه. تم طبعها.
9. غاية الكلام في بيان الحلال والحرام: رسالة بالفارسية في الفقه الحنفي. نشرها مطبع علوي بلكاؤ في 1246هـ.
10. خير الكلام في مسائل الصيام: رسالة بالفارسية في الفقه. طبعت.
11. القول الحسن فيما يتعلق بالنوافل والسنن: رسالة بالأردوية في الفقه. صدرت من كانفور.
12. عمدة التحرير في مسائل اللون واللباس والحريز: رسالة بالأردوية في الفقه. برزت إلى حيز الوجود.
13. حاشية هداية: هذه حواشٍ على الهداية، كتاب شهير في الفقه الحنفي. تعرف الحواشي باسم "السقاية". تم طبعها مع الأصل.
14. قمر الأقمار: هذه حواشٍ على "نور الأنوار" وهو شرح لـ"منار" للشيخ أحمد الأميثوي المشهور بـ "الملا جيون" و"منار" كتاب للإمام النسفي في أصول الفقه. كافة هذه الكتب بالعربية وتوجد في شكلها المطبوع.
15. رسالة في رحلته إلى الحرمين: هذه مذكرته لرحلته للمواضع المقدسة في مكة والمدينة.
16. التعليق الفاضل في مسألة الطهر المتخلل: هذه الرسالة في الطهر بعد الطمث. لغتها عربية وتم طبعها.
17. رسالة في تراجم علماء الهند.
18. التحقيقات المرضية: هذه تعليقات عربية على حاشية الملا زاهد الهروي على الرسالة القطبية لقطب الدين الرازي في المنطق. تم طبعها.
19. القول الأسلم لحل حاشية سلم: هذه حواشٍ بالعربية على شرح سلم للملا

- حسن. تم طبعها.
20. القول الأربعة في ردّ الشبهات المردة: رسالة بالعربية في المنطق.
21. كشف المكتوم: هذه تعليقات على حاشية عبد العلي بحر العلوم على كتاب الملا زاهد في المنطق. تم طبع هذه المؤلفات كلها.
22. القول المحيط فيما يتعلق بالجعل المؤلف والبسيط: رسالة بالعربية في المنطق. تم طبعها.
23. معين الغائبين في رد المغالطين: كتاب بالعربية في المنطق. طبع من لكناؤ.
24. الإيضاحات لمبحث المخططات: كتاب بالعربية في المنطق. صدر من لكناؤ.
25. كشف الانتباه لحلّ حمد الله: هذه حواشٍ بالعربية على شرح سلمّ حمد الله. تم طبعها.
26. البيان العجيب في شرح ضابطة التهذيب: هذا شرح عربي لـ"ضابطة التهذيب". صدر من لكناؤ.
27. كاشف الظلمة في بيان أقسام الحكمة: كتاب في المنطق.
28. العرفان: كتاب في المنطق. تم طبعه.
29. الحاشية على حاشية القديمة الدوانية: هذه حواشٍ على حاشية جلال الدين الدواني على شرح شمسية المعروف بـ"قطب" لقطب الدين الرازي في المنطق. تم طبعها.
30. شرح شرح التجريد للقوشجي: كتب نصير الدين الطوسي (1201-1274هـ) مؤلفاً دراسياً في علم الفلك يسمّى "تجريد الكلام" شرحه علاء الدين علي بن محمد القوشجي (ت1474م) باسم "شرح القوشجي". قام كاتبنا الفاضل بشرح هذا الشرح باللغة العربية. قد تم طبع الشرح.
31. حاشية المصباح.
32. غاية الإدراك في مسائل السواك: كتاب بالأردوية في الفقه. تم طبعه.
33. تنبيه الضالين: رسالة بالأردوية في الفقه. تم طبعها.
34. توقيير الحق: رسالة بالأردوية في الفقه. تم طبعها.
35. الإيضاحات: من دروس "شمسية" "المخططات" الذي شرحه هذا المؤلف باسم

"الإيضاحات". تم طبعه.

36. حاشية مير قطي: "مير قطي" من مؤلفات الرازي سوى "القطي". تم طبع هذه الحاشية.

37. حاشية لواء الهدى: هذه حواشٍ على حاشية غلام يحيى على حاشية مير السيد شريف على "مبحث العلم" أحد أهم مباحث "قطي". حواشي غلام يحيى تسمى "لواء الهدى" و"قطي" شرح لـ "شمسية"، كتاب دراسي في المنطق لنجم الدين عمر بن علي. تم طبع هذه الآثار كلها.

38. نيل الأمانى بالنكاح الثاني: كتاب بالأردوية في الفقه. طبع من كانفور. وبجانب هذه الأعمال القيمة ألف الشيخ رسائل عديدة في مختلف الموضوعات. لم يولد له إلا العلامة عبد الحي الفرنفي محلي¹.

8. والشيخ عبد البارئ الفرنفي محلي: ومن أبرز شخصيات هذا المعهد كذلك الشيخ عبد البارئ الذي غير مجرى تاريخ سياسة الهند بجانب براعته في العلوم والفنون. إنه خلق عاطفة التعاون في كفاح التحرير بين المسلمين والهندوس وتقريب المسلمين من الهندوس وهكذا فإنه برز كسياسي عالمي بجانب كونه عالماً كبيراً.

تعلم الشيخ عبد البارئ على الشيخ عبد الحي والشيخ غلام أحمد البنجابي والشيخ عين القضاة والشيخ عبد الباقي وانطلق يدرس منذ أيام دراسته. كان علماء فرنفي محل قبله يدرسون في بيوتهم فلما جاء هذا قام بتأسيس "مدرسة نظامية" بمناسبة ميلاد الملاً نظام الدين في 9/جمادى الأولى 1323هـ/1914م. قُضِيَ على هذه المدرسة بعد استقلال الهند وهذا الشيخ أكثر علماء فرنفي محل تأليفاً بعد الملاً بحر العلوم والشيخ عبد الحي فيذكر أن مؤلفاته تزيد على المئة في تراجم علماء فرنفي محل. معظم أعماله في التفسير والحديث والفقه والتاريخ، نعاه الشيخ

¹ تذكرة علماء فرنفي محل، ص 129 ونزهة الخواطر، 247/8

السيد سليمان الندوي بالكلمات التالية:

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدّما
مما يؤسفنا أنّ القلم ينعي تمثال العلم والإخلاص الذي أكثر هذا العاجز في الثناء
عليه مرات عديدة. كان الشيخ آخر قنديل من قناديل فرنفي محل للعلم والمعرفة
--- كان الشيخ مرجعاً وحيداً بعد العلامة عبد الحيّ فكان جامعاً بين التدريس
والتأليف، والنصح والمعرفة بجانب خدماته المخلصة للإسلام والمسلمين... موته
ليس بخسارة لفرنفي محل فحسب بل هو خسارة فادحة للإسلام والمسلمين¹.
من أبرز أعماله تفسيره الشهير المفيد للقرآن، الذي لم يجد الفرصة لإتمامه وكذا
تحقيق السير الكبير للإمام محمد، الذي كان الشيخ في مرحلة إنجائه.
توفي الشيخ في يناير 1926م.²

¹ يادِ رفتگان للسید سلیمان الندوی، دار المصنفین، أعظم کره، 2000م، ص 56-57
² كتب الأستاذ هذه المقالة بناء على ترجمتي لكتابته عن لکناؤ. (الأعظمي)

العلامة زين الدين المهايي

وكتابه "تبصير الرحمن"، دراسة تحليلية

- أ. د. فيضان الله الفاروقي¹

برز هذا العالم الكبير كأمانة للعالم الإسلامي وآية من آيات الله في اليوم العاشر من شهر محرم الحرام عام 776هـ للهجرة الموافق لـ 1372م في أسرة كريمة من قبيلة "نوائت" وذلك في عهد فيروزشاه تغلق. كان موطنه مدينة مهائم التي تعرف اليوم بـ"ماهيم" وهي منطقة شهيرة في مدينة مومباي (الهند) وكانت في ذلك العصر قطعة من ولاية غجرات. يسمّى الشيخ المهايي علاء الدين وكذلك علياً، ويكنّى بـ"أبي الحسن" ويلقب بـ"زين الدين". وكان الشيخ ينتمي إلى أسرة برو (Pro)، فرع لقبيلة "نوائت" واسم والده شيخ أحمد. يقول صاحب "سبحة المرجان": رأيت في كتاب فارسي ما ترجمته: قال الطبري في تاريخه: النائمة، طائفة من قريش خرجوا من المدينة المنورة خوفاً من الحجاج بن يوسف الثقفي وبلغوا ساحل بحر الهند وسكنوا به".²

قد نقل المؤلفون والمترجمون فيما بعد نفس الاقتباس من "سبحة المرجان". وهناك قول آخر ذكره السمعاني في "كتاب الأنساب" أنها منطقة في البصرة والاسم الثاني، كما صرح به كثير من المؤرخين، ناعط بالعين والطاء منسوب إلى قبيلة شهيرة في اليمن، قال أبو نواس الذي كان ينتمي إلى هذه القبيلة:

بل نحن أرباب ناعط ولنا صنعاء والمسك في محاربها³
وقد وجدت في حاشية "سبحة المرجان" أنّ محققه يقول: هذه العبارة بأسرها في

¹ شخصية يختص بسيرتها وأعمالها هذا العدد

² سبحة المرجان، 97/1

³ معجم البلدان، 240/4

"أبجد العلوم"¹ لكن لم نطلع عليها في تاريخ الطبري كما هي مذكورة ههنا.² يدل هذا على أن الرواية التي تدلّ على كونها من قريش خطأ وما قاله السمعاني موثوق به. قال الشيخ باقر آگاه في شرح نوائط بأنه فرع لقريش يتحدّ نسبته مع نسب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نظريته كأنهم كانوا من سكّان المدينة المنورة وهاجروا خوفاً من الحجاج واستوطنوا على سواحل الهند. ذكره الطبري والإمام الثوري (تاريخ النوائط) وقال السيوطي في "كشف الأنساب": هاجرت القافلة الأولى للمسلمين العرب المهاجرين خوفاً من الحجاج في عام 80 للهجرة الموافق لـ 699م واستوطنت الهند وكان فيها أفراد من موضع نائث في البصرة وهذه قبيلة من قريش بواسطة بني نصر.

اعتقد أنّ الكتاب الفارسي الذي ذكره البلغرامي واقتبس منه عبارة الطبري هو للشيخ باقر آگاه، كان البلغرامي يعيش آنذاك في جنوب الهند وتم تأليف سبحة المرجان في جنوب الهند وكان باقر آگاه من معاصريه. لقد أطلال المؤرخون في تحقيق "نائث" ولكن ما هو أصحّ عندي هو أنه نائط بالطاء المهملة قبيلة من اليمن توطنت في البصرة ثم ارتحلت إلى الهند إذ لا نجد اسم هذه القبيلة من بين قبائل المدينة المنورة ولا نجد صحابياً ينسب إليها. ومهما كان من الأمر فإنّ الشيخ علي المهايي كان ينتمي إلى هذه القبيلة. تلقى العلم في بداية أمره على أبيه وروى أنه كان يتلقى العلوم والمعارف على خضر صاحب موسى عليه السلام. يقول الشيخ باقر آگاه في النفحة العنبرية:

"وكان في العلوم العقلية والنقلية غاية وفي أذواق توحيد الوجود وتجريد الشهود آية وفي الاستدقاق ومشاهدة الذات والتخلي عن ملاحظة الآيات نهاية. ظهرت منه الكرامات الجليلة والمآثر السنية والشمائل المرضية والمفاخر العلية".³ ما وجدنا من آثاره إلا أقلّ القليل وعلى كل حال إنه كان تام المعرفة جامعاً بين

¹ أبجد العلوم، 893/3

² سبحة المرجان، 97/1 (الهامش)

³ مخدوم علي مهايي، ص 43

الشريعة والحقيقة، المنقول والمعقول. قال آزاد في سبحة المرجان:

"والشيخ علي كان من نحارير الزمان وأصحاب الذوق والعرفان مثبتاً بالتوحيد الوجودي مقتفياً بالشيخ محيي الدين ابن العربي".¹

كان الشيخ يعيش في مهائم التي كانت عندئذ جزءاً لدولة غجرات تحت لواء أحمد شاه الأول 814-843 وتولى منصب القضاء لبضعة أعوام، ما وجدنا من التفاصيل ما تتعلق بحياة الشيخ من الزواج والأولاد كما لا ندرى عن أساتذته وشيوخه وهكذا لا ندرى عامة أو خاصة عن معارفه العلمية التي هي في ستار الخفاء مدونة في الكتب التي ما زالت في صورة نسخ قلبية. يستفاد من كتاب "الحبل المتين في تقوية اليقين" أنه كان متزوجاً بأخت الملك أحمد شاه والي غجرات.

قال الشيخ عبد الحي الحسني صاحب "نزهة الخواطر":

"إنه كان من نفائس غجرات الذي تعز بها المنطقة ولا يساويه أحد من علماء الهند في هذه المدة التي تمتد على ألف عام غير شاه ولي الله المحدث الدهلوي في كشف الحقائق عن أسرار الشريعة".²

ويستمر قائلاً:

"إن مثل هذا العبقرى الذي يجدر به أن يقال ابن العربي الثاني هو مجهول حتى لا يعرفه العلماء الكبار ولو كان في بلد آخر ولدى شعب آخر لاحتفل به الناس وتراكت الكتب والمقالات والبحوث حول شخصيته وفنه".³

أما مسلكه في التصوف فإنه كان من أعزم المؤيدين للشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي قائلاً بالتوحيد الوجودي ومؤسس فلسفة وحدة الوجود وامتاز الشيخ المهندي

¹ سبحة المرجان، 98/1

² یاد أيام، ص 59-60

³ المصدر نفسه

في تأييد فلسفته شروحاً وإشاعة حتى فاق الأسلاف والأخلاف كلهم ولقب بالشيخ العربي الثاني. لم يشر أحد من المؤرخين إلى شيخ له في طريق التصوف ولا يوجد اسمه في سلاسل الصوفية الشهيرة المعروفة في الهند أزمعنا أنه كان أويسياً لله تعالى عن طريق خضر أو تلقى العلوم والمعارف من الشيخ الأكبر بدون الاجتماع معه اجتماعاً جسدياً ولذا إنه كان أكبرياً كما أشار إليه الشاه ولي الله المحدث: "تشعب القادرية إلى كثير من الشعب وأشد ثقة بينها عند أهل الحديث شعبة أكبرية تنتمي إلى الشيخ محيي الدين ابن العربي، (فيوض الحرمين). والاسم الثاني لمؤيدي الفلسفة الوجودية هو "الموحدة"، كما أشار إليه الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في ذكر المهائمي حيث يقول في أخبار الأخيار:

"إنه كان ينتمي إلى الصوفية الموحدة جامعاً بين العلوم الظاهرة والباطنة صاحب التصانيف اللائقة والتأليفات اللائقة".¹

كما أسلفنا الذكر بأن الشيخ كان من أفذاذ العصر وبلغ أقصى العلو في كل مجال خطأ فيه ومن أشهر مؤلفاته تفسير القرآن الكريم المسمى بـ "تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن" واشتهر باسم "التفسير الرحماني" أو "التفسير المهائمي" والحق أنه من أجل التفاسير التي برز بها علماء الهند وله مكانة عظيمة من بين التفاسير التي تمت على أيدي أفراد هذه الأمة بما أن هذا التفسير يعتمد على العقل جنباً إلى النقل ويهتم بربط الآيات والسور. يجدر بالقاريء أن يتأمل على نقطتين:

الأولى: ما هو الحكم الشرعي فيما يتعلق بالتفسير بالرأي.

والثانية: ما هي أهمية نظم الآيات والسور وكيف تناولها علماء الأمة وإلى أي حد إنه ضروري لفهم الآيات.

أما السؤال الأول أي ما هو الحكم الشرعي للتفسير بالرأي فذهب الجمهور إلى أنه

¹ أخبار الأخيار، ص 173

حرام فتفسير القرآن لا بدّ أن يكون من القرآن الكريم نفسه أو بالحديث أو بآثار الصحابة ومفهوم التدبر في القرآن الكريم الذي أمر به القرآن الكريم أن يصل من ظاهره إلى باطنه في ضوء الأحاديث والآثار ويستدل هؤلاء العلماء بالحديث "من قال في هذا القرآن من رأيه فليتبوأ مقعده في النار" وغيره من الأحاديث في هذا الباب. والطبقة الثانية من العلماء الذين ذهبوا إلى أنّ التوسع في تفسير القرآن الكريم متمسكاً بالأحاديث والآثار ضروري لا يتكرّر. أكّدوا على تأويل الآيات وتفهمها في الحدود الشرعية، وينتمي الشيخ المهندي إلى هذه الطبقة الثانية. إنه يرى الفهم والإدراك عنصراً قوياً في فهم معاني القرآن وتفسيره. يقول الشيخ في مقدمة تفسيره: "الثالث الاستنباط قال عليه السلام من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار، قال الإمام حجة الإسلام الغزالي في الإحياء "تحريم التكلم بغير المسموع باطل إذ لا يصادف السماع من رسول الله ﷺ إلا في بعض الآيات والصحابة ومن بعدهم اختلفوا اختلافاً كثيراً لا يمكن فيه الجمع ويمتنع سماع الجميع من رسول الله ﷺ والأخبار والآثار تدلّ على اتساع ما فيه. قال عليه السلام لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ فَلَوْ كَانَ مَسْمُوعاً فَلَا وَجْهَ لِلتَّخْصِيسِ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ "لَعَلَّهِ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ".

ملخص القول أنّ الشيخ يؤيد تفسير القرآن بالعقل والرأي الخاضعين للشرعية وكان يراه من ضرورة الدين ومن مسؤولية الأمة أن يكشف عما لا يوجد فيه الحديث والآثار. أما ما نهى عنه رسول الله ﷺ فهو أن يحوّل مفهوم القرآن إلى ما يميل إليه نفسه اتباعاً للشهوات ويستدل بالقرآن على الغواية والضلال، هذا هو ما نهى عنه الرسول ﷺ.

والمسئلة الثانية التي تكلم فيها الشيخ هي مسألة نظم القرآن؛ نجد لهذه القضية آراء علماء الأمة من البداية وبدلوا مجهوداتهم في إبراز جمال القرآن الكامن في نظم القرآن وتأليف

الكلمات وقد بلغ هذا السعي على ذروته على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني قائلاً بأنّ النظم هو نظم الكلمات في عبارات وتعابير ذات ألوان مختلفة تحت الأصول اللغوية، هذا هو إعجاز القرآن. ولكن معنى نظم القرآن عند الشيخ المهندي وأمثاله هو شيء آخر. فانه يريد بنظم القرآن أنّ الآيات القرآنية مربوط بعضها ببعض بحيث لا اختلال في هذا الربط بترتيب الإنزال حيث كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بتأليف الوحي بكتابة آية أو آيات في صورة معينة بعد آية معينة أو قبلها وكذلك ترتيب السور فعنى نظم القرآن هو الربط الكامل بين آياتها حسب ترتيب القرآن المنزل تدريجياً.

تناول العلماء في كلّ عصر حول هذا الموضوع الخطير واعتبروه من أهم مزايا القرآن الكريم واعتبروه معجزة القرآن الكريم وبذلوا أقصى جهدهم في البحث عن ربط السور ونظمها. قال الإمام الرازي: "إنّ جلّ حكم القرآن مخفية في نظمه وترتيبه". وفي الماضي القريب كان العلامة الشيخ عبد الحميد الفراهي من أعظم علماء الهند والذي قضى حياته في الكشف عن جمال هذا النظم وفي عبارة أصحّ أنه جعل هذا الفن حركة مستقلة وفناً مستقلاً وأضاف إلى ما قاله العلماء السابقون إضافة قيمة حتى أعطاه مفهوماً أوسع وتناول الموضوع على وجه أشمل وأوسع، يقول في مقدمة نظام القرآن "أكبر شهادة لنظم القرآن هو العلم واليقين الذين انكشف عليهم شيء من أسرار حسن النظم والترتيب وشاهدوا تجليات الحقائق التي أودعت في نظم القرآن".¹

وقبل الشيخ المهندي تناول هذا الموضوع الشيخ برهان الدين الزركشي وصنّف "البرهان في ترتيب سور القرآن" كما صنّف الشيخ برهان الدين البقائي "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" وصنّف العلامة السيوطي "تناسق الدرر في تناسق السور".²

لا أقول إني أوافق بهذه النظرية مئة في المئة ولكنه لا شك في أنّ الشيخ المهندي قد

¹ نظام القرآن، ص 56

² مخدوم علي مهدي، ص 139

جاء بتصنيف لا نظير له فيما قبل ولا فيما بعد، إني قرأت تفسيره المسمى "تبصير الرحمن وتيسير المنان" قراءة تأملية فوجدته مملوءاً بالدقائق العلمية والبراعة الفنية ويتجلى فيه المهارة التامة على كافة العلوم العربية من النحو والصرف وعلم الكلام والفلسفة ولكن الميزة التي تميزه عن سائر الكتب في هذا الحقل هي عباراته في ربط آية بأخرى. اعترف بعلو كعبه في هذا الرهان أجلة العلماء في كل عصر. أعرض عليكم بعض النماذج لتفسيره:

كما ورد في القرآن الكريم "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" هذا خطاب إلى الملائكة، قالوا استفساراً "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ" قال تعالى "إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" هذا جواب لاستفسار الملائكة ثم "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" فإنهم عجزوا عن إنباء ما لم يكونوا يعلمون "قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" الآن أمر الله آدم بالإنباء " قَالَ يَتَّادِمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ" فإنه أنبا "فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ". ينبرس هناك سؤال هو أن الملائكة عرضوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صفتين للخليفة وهما الفساد وسفك الدماء وبحيث ذلك صفتين لهم هما التسبيح والتقديس.

وماذا حدث إذن علم الله الأسماء كلها، وقال جمهور المفسرين في تفسير "الأسماء" بأن الله تعالى علم آدم الأسماء المادية والتي كانت سوف تظهر في ذريته إلى يوم القيامة مع خواصها وصورها وحقائقها وهذا التفسير على أساس الآثار والأحداث التي رويت أكثر عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فكيف يكون هذا رداً على سؤال الملائكة يعني كيف تجعل المفسد المفسك خليفة؟ والجواب أنه عالم بالأشياء المادية وكيف يكون هذا العلم سبباً للتفضيل على من يسبح ويقدس؟

كنت أعتقد أنّ المراد "بالأسماء" هو أسماء الصفات لله تعالى ألهمها إلى آدم فأصبح عالماً بصفات الله عارفاً بحقائقها يعني تخلق بخلق الله واتصف بصفاته وهذه هي من شرائط الاستخلاف. ولكن الأحاديث المروية في ضمن الآيات لم تكن تؤيد ما كنت أريده.

وجدت بعد التعب المضني في تفسير المظهري للقاضي ثناء الله بعض ما يؤيد ما آتي فإنه أراد "بالأسماء" أسماء الصفات لله تعالى ويقول عن الآثار الواردة في هذا الباب بأن أقوال الصحابة تعارض بعضاً لبعض.

أنظروا كيف تناول الشيخ المهندي هذه المسئلة:

يقول: قال إني أعلم من قصور تسبيحكم وتقديسكم وعدم صلاحيتكم بخلافتي على الكل واقتضاء ظهور أسمائي اللطفية والقهرية ما لا تعلمون لما لم يكن للخليفة بد من العلم بحقائق المستخلف والمستخلف عليه ليؤثر بها فيها على أكمل الوجوه وعلم آدم بخلق علم ضروري فيه الأسماء كلها الألفاظ الدالة على الحقائق. تأملوا! كيف عالج القضايا الدقيقة في بضع جمل وشرح شرحاً كافياً مقنعاً.

ومن أهم خصائص هذا التفسير ما أنا أحسست وشعرت به أنه يربط آية بآية بكلمات يقتضيها الحال والمقام ويخلق ربطاً منطقياً بين الكلمات القرآنية إلى جانب ويفسر دقائق المعاني بنفس الكلمات إلى جانب آخر.

ولا يغلو في حلّ اللغات والمسائل النحوية إلا ما جاء في سرد التفسير ويحلّل أحياناً المسائل النحوية إذا مسّت إليها الحاجة ولا يقع في بحوث الفاعل والمفعول وكذا لا نجد في تفسيره اهتماماً لإيراد أقوال الصحابة والاستدلال على مسألة شرعية وكذا الاستنباط كما يفعل المفسرون الكبار. إنه يركز على ما تترشح بكلمات القرآن وإلى أيّ بحر يجري سياق الآيات وما هي المفاهيم الكامنة في سياق الآيات. فإنه يأتي بكلمات وجمل تبدو الآيات القرآنية جزءاً لسياق الكلام وبعبارة أخرى تبدو الكلمات

التفسيرية مكملة للآيات.

أعرض عليكم آيات من سورة الأنعام وهذا بدون أي محاولة انتقائية:

"وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ".

هذه الآيات واضحة كلّ الوضوح في تأدية المعني المراد ولا نشعر بضرورة تفسير إضافي والآيات مربوطة وتكون عبارة كاملة والواقع كذلك فإنه كلام رباني لا يحتاج لسد الفراغ إلى كلام الناس ولكن مع هذا انظروا إلى هذا المفسر العظيم كيف تورط في أعماق الحقائق - يقول:

"وذر الذين اتخذوا أعمال الدنيا دينهم واعتقدوا أنها نهاية السعادة فكأنه لعباً ولهواً لأن أعمال الدنيا لا تخرج عنهما فمن صحبهم مال إليه فلا يتأمل في آيات الله ولا يلتفت إلى أعمالها هو ذلك لأنهم غرّتهم الحياة الدنيا فظنوا أنّ السعادة كلها في لذاتها فبين غرورها وذكر به أي بيّانها من أراد الميل إليها أو إلى أهلها بأنه سبب أن تبسل أي تسلم إلى الهلاك نفس بما كسبت بهذا الغرور من إنكار الآخرة فصارت ليس لها من دون الله ولي يقربها منه ولا شفيع يدفع عنها العذاب وإن تعدل أي تفد بما يقابله كل عدل أي كل أنواع من الفداء لا يؤخذ أي لا يقبل منها لبعدهم عن مقام الفداء إذ أولئك البعداء التي غايتها اللعب واللهو هم الذين أبسلوا أي سلموا للهلاك بحيث لا يعارضه شيء بما كسبوا بهذا الاغترار من إنكار الآخرة معها والإنهماك في الشهوات المحرمة لهم شراب من حميم جزء على الأشربة المحرمة وعذاب أليم بما تلذذوا بالشهوات المحرمة لا وحدها بل بما كانوا يكفرون".

وفي التفسير المذكور أعلاه نشعر بشيء من التكلف في إحالة الآيات الكريمة إلى الكلمات التفسيرية ولكن بجنب ذلك نجد شعوراً عميقاً لمعرفة الآيات ومنطوقها.

هذا هو اللون العام الذي اختص به تفسير الشيخ المهندي حيث ذهب المفسرون الآخرون في تفسير هذه الآيات إلى أحكام الدعوة والتضاد بين مثل هذه الآيات وآيات الدعوة والتبليغ، كما ورد في القرآن الكريم "فَأَقْضُوا الشُّرَكَائَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ" و"أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ" إلى آخره وأمثال هذه الآيات فإنهم بسطوا الكلام في النسخ والمنسوخ وفرضية الدعوة وإلى غير ذلك من الأحكام الشرعية في الحرب والسلام ولكن الشيخ المهندي لا يهتم هذه الأمور بل إنه يركز على منطوق الآيات وربط بعضها ببعض. وهناك مثال آخر لهذا الربط في نفس الصورة، يقول الله تعالى بعد البيان المفصل للمنافقين "مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَاسَمْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا" وتليها آية أخرى "لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ" فالآية الأولى تنطق إذا اعترفتم بأنعام الله عليكم وشكرتم بالإيمان به لماذا يعذبكم الله والحال أن الله يقبل من عباده أدنى الخير، فإنه لا يتلذذ ولا يفرح بالتعذيب. هذه الآية لا تحتاج إلى شرح مزيد وتكفي لمن له أدنى التدبر وفيها تأثير عجيب للعلاقة الحية بين العبد والمعبود، أما في الآية التالية فيقول لا يحب الله إظهار السوء وإشاعتها إلا للمظلوم. تناول المفسرون الآخرون هذه الآية بخلفية الآية يعني سبب نزول الآية متى نزلت وما هي الأحكام المستنبطة منها ولكن لماذا وضعت هذه الآية في المكان لا يلتفت إليه أحد من المفسرين. تأملوا ماذا يقول الشيخ المهندي في صدد هذه الآية "إن الله لا يعذب أحداً ليشفي به غيظاً أو يدفع به ضرراً أو يجزّ به نفعاً بل إنما يعذب من يعذبه لأنه حصل له مرض من جهله بالمنعم وعدم شكره له فإذا شكر المنعم وآمن به زال سببه ويستمر قائلاً: "مَا يَفْعَلُ اللَّهُ" من جرّ نفع أو دفع ضرر عنه "بِعَذَابِكُمْ" الذي يعذبهم به لعدم شكرهم وإيمانكم "إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَاسَمْتُمْ" كيف "و" مقتضى جوده الأنعام على من عرف قدر النعمة وأقر بالمنعم إذ "كَانَ اللَّهُ شَاكِرًا" أي مجازياً على الشكر بالمزيد "عَلِيمًا" باستعداده للإنعام عليه فلا يبعد عليه أن يلحق التائب من الكفر والنفاق بالمستمرين على الإيمان والأعمال الصالحة. هذا كان شرحاً

للآية الأولى، الآن نلاحظ كيف ربط هذه الآية بالتالية فيقول تمهيداً "وإنما يعذب من لا يشكره لأنه قد شاكى عنه ولا يحب الشكاية عن مخلوق فكيف عن نفسه فإنه "لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ" أي الظهور "بالسوء" أي القبيح من الغير سيما إذا أظهره "من القول" وهو شكاية القول "مَنْ ظَلَمَ" بذلك السوء و"وَكَانَ اللَّهُ سَمِيحًا" لدعائه "عَلِيمًا" بما يستحق الظالم من العقوبة.

قال الإمام الشافعي: إن بسم الله الرحمن الرحيم آية مستقلة لكل سورة من القرآن، أما الإمام أبو حنيفة فإنه لا يعتقد بكونها آية مستقلة وجزءاً لكل سورة فلهما دلالتهما. أما الشيخ المهندي ولو كان شافعيًا فلا يلتفت في تفسيره إلى مثل هذه المسائل الخلافية فإنه فسر "بسم الله الرحمن الرحيم" بكلمات يبدو أنها جزء لكل سورة يعني يصبح "بسم الله الرحمن الرحيم" تمهيداً أو مقدمة للآية الأولى لكل سورة. هذه دراسة ممتعة ترجع إلى فطنة المفسر والإتقان الكامل على البيان.

نجده عند تفسير بعض الآيات ما يتعارض فكرة جمهور المفسرين وأيضاً لا يقبله الطبع القرآني ومثاله كثير، أما ما أريد أن أقدم إليكم بأن الموافقة التامة بهذا التفسير شيء غير مأمون العواقب وله طريق مبتكر في شرح الحروف المقطعة. يكتب المفسرون بعض كتابة الحروف المقطعة الله أعلم بمراحده ولكن الشيخ المهندي اعتبر كل حرف من المقطعات ابتداءً لجملة مثلاً ألف، ولام وميم فلهذه الحروف إنه جعل جملة تبتدئ بهذه الحروف. هذه دراسة ممتعة مستقلة ولكن إلى أي حد موثوق به؟ هذا هو في معرض السؤال والرد عليه صعب.

من ميزات تفسير المهندي لونه العقلي فلم يكن العلامة من القائلين بفلسفة وحدة الوجود فحسب بل كان ممن يدافع عنها ويؤيدها تأييداً شديداً فنرى لونه العقلي بارزاً في كل موضع من تفسيره بل الحق أنّ هذا هو لونه الأصلي الذي حاول الشيخ المهندي أن يلوّن به تفسيره ونذكر فيما يلي مثلاً من تفسيره حيث يأول الشيخ نزول

الوحي عن طريق العقل فيقول:

"الإنزال هو الإيواء والتحويل من علو إلى أسفل كإنزال الجيش أو القطر ولما كانا بالحركة وليست الصفة إلا بتبعية الموصوف إذا استقرت ولا حركة لله ولا للمعنى القائم به ولا للعبارات الغير المستقرة فلا بدّ من التجوّز بأن يقال ظهر ذلك المعنى في القلم الأعلى بلبسة الحقائق المجردة للحروف ثم زاد ظهورها باللوح المحفوظ ثم لم يزل يزداد حتى وصل إلى سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقلبه. أو يقال وصف بوصف حامله باعتبار حملة نفس المعنى أو الصور المحفوظة أو المكتوبة أو باعتبار قيام الألفاظ به ولو عند الأداء إلى المنزل عليه".¹

وهكذا قام بتأويلات أخرى.

¹ التفسير المهندي (مقدمة)

الشيخ حبيب ريحان خان الندوي الأزهري عالماً ربّانياً

(3/ أغسطس 1937م-18/ أغسطس 2009م)

- أ. د. فيضان الله الفاروقي¹

أنجبت الهند، عبر تاريخها الطويل، علماء ربّانيين وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام وإقامة عوج البشر، وشغفت أفئدتهم حباً بالعلم والحكمة ومن ثم فقد خلدت أسماؤهم على صفحات التاريخ الإسلامي-الهندي وستضجّ بها كلّ جلسة تتعقد للدعوة الإسلامية وكل دورة تعقد لنشر العلم وتطويره. ومن هؤلاء الرجال الربانيين الشيخ حبيب ريحان خان الندوي الأزهري الذي كانت حياته موقوفة لإصلاح الناس ونشر العلم وتدعيمه من كلّ وجه وسبب. وفي هذه العجالة نودّ أن نسلم بعض الأضواء على حياته وأعماله ومآثره بصورة موجزة للغاية.

خلفيته العائلية: كان الشيخ حبيب ريحان ينحدر من عائلة دينية وعلمية معاً فكان المفتي عبد الهادي خان، وهو من سلفه الصالح، قد احتلّ منصب الإفتاء في رئاسة بهوفال (Bhopal) لمدة 19 سنة طوَّالاً كما كان جدّه الحافظ محمد إلياس خان مشير المهام عن الأوقاف في حكومة النواب حميد الله خان ثم برز من تلك العائلة كاتب ومترجم كبير وهو الشيخ محمد عمران خان الندوي الذي جمع بين العلم والدين فاعتنى بشؤون المساجد الدينية بجانب اهتمامه بنشر العلم وتوسيع نطاقه وكذا كانت أمّه آمنة سلطان مهتمة بشؤون البنات التعليمية وهي التي أقامت أوّل مدرسة دينية للبنات في بهوفال. وعلى كلّ حال فكان شيخنا حبيب ريحان خلفاً صالحاً لسلفهم وسراً لأبيه أثبت ذلك برغبته في نشر الدين وتدعيمه للعلم والعلماء فإنه كان عالماً كبيراً ومالكاً لخاصية اللغة العربية كما كان يقيم بمسجد تاج المساجد محلاً عن عقد قضايا المسلمين

¹ شخصية يختص بسيرتها وأعمالها هذا العدد

الراهنه ومشرفاً على المعاهد العلمية الشهيرة وعلى رأسها ندوة العلماء ودار المصنفين.

مولده ودراساته: ولد الشيخ حبيب ربحان في 13/ أغسطس سنة 1937م في بهوفال حيث تلقى العلوم الابتدائية على أمر أساتذتها الشيخ عبد الرحمن والشيخ إشفاق الرحمن الكاندهلوي والشيخ عبد الرشيد المعروف بـ"مسكين" والشيخ سيد حشمت علي والشيخ نعمان. وبعدما شرب من هذا المنهل الصافي توجه نحو دار العلوم بندوة العلماء (لكاؤ) حيث التحق بصف العالمية فظفر هنا بثلاثة أصدقاء؛ البروفيسور محمد سالم القدوائى، والبروفيسور راشد الندوي، والشاه شبير المعروف بـ"عطا". نال شيخنا الفراغ منها في 1951م ثم التحق هنا بصف الفضيلة من حيث تخرج في 1953م. وفي 1955م نال شهادة التكميل في الاختصاص بالبحث والتحقيق. ومن استفاد في الندوة من الأساتذة والشيخو المحدث شاه حلیم المعروف بـ"عطا" والمحقق عبد الحفيظ البلياوي والمفسر أويس الغرامي والشيخ محمد ناظم الندوي والشيخ السيد أبو الحسن الندوي والمفتي محمد سعيد والشيخ أبو العرفان الندوي والشيخ حبيب الرحمن الأزهرى والشيخ محمد عمران خان الندوي الأزهرى.

ثم نال منحة عبيد الله خان في 1958م لكي ينال الدراسات العليا في جامع الأزهر في مصر فنال فيه شهادة العالمية في 1960م كما تخصص في التدريس في 1962م ونال شهادة الليسانس من جامعة القاهرة وشهادة الدبلوم في اللغة العربية الجديدة في غضون هذه السنوات. ومن العلماء والشيخو الذين استفاد منهم في مصر عددهم كثير فنذكر طرفاً منهم كما يلي:

الدكتور محمد حبّ الله، والدكتور عبد الواحد وافي، والدكتور محمد فتح الله بدران، ومحمد الغزالي، والشيخ أحمد غزلان، والدكتور محمد شوقي ضيف، والدكتور عز الدين فريد، والدكتور محمد مندور، والدكتور إسحاق الحسيني، العلامة محمد أبو زهرة، والدكتور مصطفى الزرقاء، والدكتور محمود شلتوت، والدكتور موسى شاهين لاشين،

والدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور عبد المنعم النمر، والدكتور محمد صالح حرب، والشيخ محمد البصار وعباس محمود العقاد، والدكتور أحمد حسن الزيات، والدكتور محمد شاكر وغيرهم كثير.

في مجال التدريس: بعدما تخرّج من ندوة العلماء درّس بها لسنتين (1953-1955م) في صفّ التكميل كما درّس مجانًا في تاج المساجد ببهوفال من يوليو 1955م حتى 1958م وكذا علّم في معهد البحوث الإسلامية في ليبيا، ومعهد الإمام مالك منذ 1962م حتى 1987م وهكذا علّم فيه بعدما رجع من ليبيا في 1987م فكان يدرّس فيه كلّ يوم 15 فصلًا بجانب تحمّل مسؤولية الرقابة التعليمية. أنفق فيه الشيخ حبيب ربحان أربعين سنة طوّلًا يدرّس فيه ويهتمّ بشؤونه. كان رقيبته التعليمي منذ 1987م حتى وفاته في 2009م.

في مجال التأليف والخطابة: كان الشيخ حبيب ربحان خان مطبوعًا على الكتابة والترجمة فقد أترى المكتبات الإسلامية بكتابه العربية والأردوية وحتى لم يترك الكتابة بالأردوية وهو غريب في ليبيا. إنه بدأ يكتب المقالات منذ 1950م، ومنذ 1953م جعلت تنشر مقالاته في مختلف مجلات الهند وخارجها فأول مقالة له نشرت في المجلة الأسبوعية "نشان منزل" الصادرة من بهوفال ثم نشرت له مقالة في مجلة "رياض" الصادرة عن كراتشي وكذا صدرت له مقالات علمية وأدبية في مجلات "صدق جديد" و"برهان" و"معارف" و"ترجمان القرآن". عدد مقالاته العربية والأردوية يبلغ ثلاثمئة مقالة. وفيما يلي فهرس بعض مقالاته العربية:

1. محمود سامي البارودي رائد النهضة الشعرية الحديثة
2. محمد بن علي السنوسي وجهاد السنوسيين ضد الاستعمار البريطاني إلى استقلال البلاد
3. موجز تاريخ ليبيا من العصور القديمة إلى استقلال البلاد
4. أبو العتاهية حياته، وجهّه، وغزله

5. عبد الرحمن شكري شاعر الديوان، حياته وشعره
6. انتهاك حرمة الشهر الحرام يعتبر انتهاكًا للقرآن الكريم
7. الإسهام الهندي في ترجمة الكتب والمؤلفات العربية من اللغة الأردوية
8. نظرية التعليم العربي الجديد في المدارس الحديثة والجامعات والمعاهد الدينية
9. مساهمة ندوة العلماء في تعليم اللغة العربية
10. تدوين القرآن الكريم وتطور التفاسير في العهد الأموي والعباسي
11. تدوين الحديث الشريف في العهد الأموي والعباسي
12. تدوين الفقه الإسلامي وتطوره في العهد الأموي والعباسي
13. لمحة موجزة عن تاريخ دخول العرب إلى الأندلس وبداية الشعر العربي
14. تطور الشعر العربي الأندلسي في العصر الذهبي (عصر الخلافة) إلى نهاية حكم المسلمين
15. العلامة ابن حزم الأندلسي موجز حياته وثماره من فقهه
16. مقومات النهضة العلمية الحديثة
17. إحياء التراث القديم ونشره وترجمته
18. دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد
19. الجامع الأزهر ومكانته الاجتماعية والدينية
20. أهمية التقويم القمري الإسلامي وضرورته
21. أهمية اللغة العربية العالمية
22. أبو الكلام آزاد وحياته العلمية والسياسية

يبدو من النظرة الخاطفة على العناوين المذكورة أعلاه أنّ الشيخ حبيب ربحان كان شخصية متعددة الجوانب العلمية والدعوية وكان له اطلاع واسع على العلوم والفنون والآداب بجانب امتلاكه قلبًا جياشًا وحنونًا للإسلام والمسلمين.

وبجانب قدرته على الكتابة بالعربية والأردوية فكان الشيخ حبيب ربحان قادرًا على الخطابة، ومن ميزات خطبه أنها كانت مليئة بالظرافة فيقول الدكتور سفيان حسان

الندوي مشيرًا إلى هذا الجانب الفكاهي من خطبه:

"كان للشيخ المرحوم (حبيب ريحان) أسلوب يختص به للخطابة وهو اتصافه بالفكاهة، الصفة التي قد حبّته إلى الناس".

ويقول البروفيسور محمد حسان خان:

"كان له أسلوب خطابي مميّز أحبه الناس فكانوا يدعونه لإلقاء الخطب فيهم".

مؤلفاته ورسائله: وبجانب هذه الكثرة الكثيرة من المقالات والخطب فقد قام الشيخ حبيب ريحان خان الندوي بتأليف كتب ورسائل مهمّة باللغة الأردوية تم طبعها من مختلف مطابع الهند كما فاته إتمام بعض الكتب والرسائل العلمية بالإضافة إلى كتبه ورسائله التي لما تر النور. وهي كلها كما يلي:

1. تخليق إنساني كا مقصد دين وشريعت كا قيام (الهدف وراء خلق الناس إقامة الدين والشرعة)، طبع في 1972م
2. مسلم پرسنل لا بوررّ دو سؤالون كا جواب (هياة قوانین المسلمین الشخصية: ردّ علی سؤالین)، طبع في 1973م
3. دار التصنيف والترجمة كا تعارف (التعريف بدار التصنيف والترجمة)، طبع في 1991م
4. إسلام خصوصیات وعقائد (الإسلام ميزاته ومعتقداته)، طبع في 1994م
5. مغربي تهذيب انحطاط وعلاج (الحضارة الغربية، زوالها وحله)، طبع في 1996م
6. تحریرین اور تقریرین (کتابات وخطب)، طبع في 1996م
7. قرآن پاک کے نام اور قرآنی دعائیں (أسماء القرآن وأدعيته)، طبع في 1997م
8. مجموعة مضامين (مجموعة المقالات)، طبع في 1999م
9. جوربون پر مسح (المسح على الخفين)، طبع في 2006م
10. إسلامیات (مباحث إسلامية، لم يطبع)
11. عقائد (العقائد، لم يطبع)

12. يهوديت ومسيحيت (اليهودية والنصرانية، لم يطبع)

13. سفرناى (رحلات، لم يطبع)

رسائله: المراد من الرسائل هي Letters والتي قد أكثر كتابتها الشيخ حبيب ريجان وهي تعلقو الحصر فلو جمعت لجات في كتاب ضخم ولأفادت الدعاة والكتاب والهاثمين بالإسلام وأتباعه. إنها مجموعة معلومات مهمة عن العلم والدعوة والتربية.

الملخص: بدا مما أسلفناه من البحث الموجز أنّ الشيخ حبيب ريجان خان الندوي الأزهرى كان رجلًا ذا اطلاع واسع على العلوم والفنون والآداب، وكان له هيام بالإسلام وأتباعه، وهو قد أفرغ جهده في إصلاح المسلمين بقلبه ولسانه، كما أدّى دورًا فعالًا في إحياء المعاهد الإسلامية والمجامع العلمية وبناء المساجد والمدارس والمجمّعات الدينية العلمية. إنه كان يهيم بدار العلوم بندوق العلماء المركز الهندي الكبير للدراسات العربية والإسلامية. والحق أنّ موته قد سبّب فراغًا يصعب ملؤه، وأنّ موته موتٌ قوم لا موتٌ رجل واحد.

المصادر والمراجع

1. مجلة "كانفرنس غزيت" (مجلة المؤتمر) الصادرة عن جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، أوترا براديش
2. مجلة "معارف" الصادرة عن دار المصنفين، أعظم كره، أوترا براديش
3. معلومات بلغتني عن العلماء والأساتذة
4. مولانا حبيب ريحان خان ندوي ازهرى للبروفيسور محمد حسن خان، مؤسسة الشيخ محمد عمران خان التعليمية والرفاهية، بوفال، مادهيابراديش
5. وثائق أخذناها من البروفيسور حسان خان، بوفال، مادهيابراديش

محمد إقبال بين الشعر والتجديد

- أ. د. فيضان الله الفاروقي¹

وددت قبل دراسة شاعر فلسفي ومجدّد عبقرى أن أعرض عليكم أيها السادة! حقيقة مستساغة من الناحية الدينية ولو لم تكن غير مأمونة العواقب من الناحية الفكرية الحرة. ذلك أن القرآن الكريم ليس كتاباً فلسفياً ولا تخضع له النظريات الفلسفية من أخذ وردّ كما أنه ليس كتاباً علمياً يبحث في العلوم العقلية ويحلّل نظريات العلم ولكنه يطرح القضايا الكلية، ويجعل منها منطلقاً للبحث والتقصّي، ويحثّ العقل البشري على التأمل والخلوص في آيات الله جلّ مجده ليستنتج منها ما ينفعه ويسعده. إنّ الحياة البشرية تتمتاز بعضها من بعض على قدر حظ العقل من العلم ونصيب الوجدان من مرهفات الحس. فإنّ البوارق الفكرية واللوائح الذهنية والحوالج الحسية الصافية المتدفقة والبراعة التامة البالغة في الإبداع والتفهم، هذه هي الجواهر الأصلية في الإنسان، التي تمنحه أسباب تفوّقه وعلى أساس ما نتج له من ثمار التحقيق العلمي يكون موضعه بين ثمار العقول بعد وضعه في موازين النقد والفك. هذا بوجه شامل، أما إذا كان النطاق العلمي والثمار الفكري يتعلق بالمحاولات التجديدية في الدين، فنشترط فوق ذلك إخلاص النية في إبلاغ الرسالة والإطاعة الكاملة للسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام. ولو انسلت هذه الشرائط عسى أن لا يكون صاحب ذلك الأدب التجديدي موضع ثقة عند عباد الله الصالحين ولو صاد الكون عقلاً وقاد القوم علماً- يجدر بنا أن لا ننسى هذه الكلمات في دراسة فكرة محمد إقبال من ناحية الرد والقبول.

امتاز محمد إقبال الشاعر الكبير والفيلسوف العظيم بين شعراء عصره شرقاً وغرباً بأنه أخضع شاعريته القوية وقوته الأدبية وعبقريته الفنية لرسالة الإسلام. إنه كان صاحب

¹ شخصية يختص بسيرتها وأعمالها هذا العدد.

رسالة إسلامية متدفقة بالحياة والطموح والحماسة. استخدم الشعر كوسيلة لرسالته لتكون أسرع وصولاً إلى الأذهان فليوقظ غافلاً وينبّه ذاهلاً ويعلم جاهلاً ويكرم عاقلاً ويشجع فاشلاً ويهيج خاملاً ويحرك جامداً ويحيي قلوباً ميتة ويملأ الفؤاد حماسة، حماسة دينية. لا يسع هذا المقال الوجيز حتى إحاطة شطر من ابتكاراته الفنية وأفكاره البديعة الرائعة فضلاً عن أن يحيط بآفاق فكرته كافة- ولماذا؟ ونحن في خضم البحث عن محاولاته التجديدية. ولنبحث عن وقعة شعره وأثره على المجتمع الإسلامي وضرورة استخدام شعره عملياً في حياتنا اليومية، في مقال آخر إن شاء الله.

كان العالم الإسلامي في قارة آسيا في عصر إقبال (1873-1938م) يواجه التيار الحضاري الأوروبي الثائر على القيم الروحية، المحتاح للمبادئ الخلقية، المعاند للسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام. أما داخل الهند فكان الإسلام رغم جهود العلماء المخلصين وزعماء المسلمين الصالحين، قد عمل به الاحتلال البريطاني وسلطتها السياسية عملها في إغماض العيون وتكيب العقول وعقل الإرادات وعقد الألسنة وهذا بالنسبة للمواطنين كافة. أما المسلمون فكان يعتبرهم الإنجليز من أشد أعدائهم ديناً وثقافة وسياسة وبما أنهم سلبوا الحكم والسلطان منهم فقد كانت الضغطة عليهم أشد قهراً وأجف قسراً. فالاحتلال البريطاني حاول جهده لامتصاص كلّ خيرات الأمة المسلمة وسجن أروع حضاراته وتعميق أعظم ما كان عندها من القيم الروحية والثقافية. وازداد الطين بلة بشيوع فلسفة وحدة الوجود المؤدية إلى تضييع المهمم ووهن العزائم وكذا إلى انخمول والجمود والابتكار عن الكرامة البشرية بواسطة الفناء والإيمان بالجبر. وإلى جانب ذلك قد أبدع المتصوفون طرقاتاً في الدين نكّرتها الشريعة النبوية الصحيحة الخالصة ولم يعرفها القرآن الكريم إطلاقاً- واتخذ هؤلاء الصوفية لهم زوايا تنشر عقائدهم الفاسدة بين المسلمين. أما المدارس الدينية التي لا تزال تعتبر ملاذاً قوياً وحصناً حصيناً للتعاليم الدينية والثقافة الإسلامية، فعظمها كانت تهتم فقط بالدراسات الجامدة البالية وتعليم ما رث من العلوم العقلية التقليدية براءة منها لأداء الواجب، لا فيها شعلة حياة ولا نبضات كرامة دينية وحرارة الحب إلى حرية

الفكر والعمل ولهوف الوجدان. كانت المدارس الدينية على وصف ما قال الأستاذ الكبير أبو الحسن علي الندوي في المدينة الحديثة:

"لم تحسن توجيه القلوب والوجدان وإشعالها بجمرة الإيمان وحياة الوجدان فأصبح العالم العصري أشبه بجماد متحرك دائرياً لا حياة فيه ولا روح ولا قلب له ولا شعور ولا ألم عنده ولا أمل". (روائع إقبال)

تنشئ تلك المدارس جيلاً غير متوازن القوى قويم الخلق قوي العزم مرهف الفكر ملتهب الشعور والوجدان. فإذا يعمل شباب هذا الجيل السقيم المشرف على ضياع تشخصه المستكان في نضال الحياة. فالمدارس كانت تتخبط في ظلمات بعضها فوق بعض.

كانت هذه هي الأوضاع السياسية والدينية الثقافية في عصر عاش فيه محمد إقبال- طبعاً إنه كان، بحكم شعوره المرهف وإخلاصه بالدين، شديد الألم على ما تقاسي الأمة المسلمة آنذاك من الشقاوة والانحيار الفكري والرضا بالهون والذل. لقد أقص هذا الوضع المخزي مضجعه. ففكر وقدر ثم قدر وفكر ولم يزل يكرّر هذا العمل ليعرف داء الأمة فرداً وجماعة ثم يصف لها وصفة. ولم يغادر منهاً علياً ولا منبعاً فكرياً سواء كان قديماً أم جديداً، شرقياً أم غربياً حتى ارتوى منه واعتنى بخاصة بالقرآن الكريم في أسفاره الفكرية، كما إنه اجتنى كثيراً من أزهار روضة "المثنوي المعنوي" لمولانا روم حتى تفتح طيباً وعطراً. وشرح الله تعالى صدره بوصف دواء ومعرفة داء الأمة. وأنطقه ببعض الحكم والحقائق التي نعتبرها الآن من محاولاته التجديدية والتي جعلها محمد إقبال نفسه مقصداً وحيداً لحياته كأنه خالق لنشر هذه الرسالة. يقول في رسالة إلى صديق له:

"إني قد نظمت مثنوي "أسرار خودي" (أسرار معرفة الذات) و"رموز خودي" (غوامض السكر) لهدف منشود. إني أميل طبعاً إلى السكر وعالم الوجدان. ولكن، بالله الذي بيده حياتي ومالي وعرضي، ما نظمتها من عندي ولكني كنت مأموراً به.

وإني لحيران في هذا الأمر لماذا انتخبت لهذا العمل الجليل ولنظم هذه المعاني والحقائق الغامضة الدقيقة. لا أزال اعتقد أنه كان ديناً عليّ أدتيه ولعلي خلقت لمجرد هذا العمل. (ثم يقول في نفس الرسالة) هذه البذرة التي ذرعها إقبال في أرض ميتة لتنمو وأيم الله وتثر على رغم جهودها ومخالفتها لقد أضمن لي حياتها وبقاءها وازدهارها والحمد لله" (رسالة إقبال إلى مهراج كشن براشاد في 14/ أبريل 1916م)

هذا هو الذي جعله شاعرنا مقصد حياته ووجد فيه شفاء الأمة الإسلامية ولم يكن هذا العمل الجليل وليدة عشية أو ضحاها بل استغرق فترة عشرين عاماً حسب ما صرح به محمد إقبال نفسه في مكتوب له، في الوصول إلى هذه النتيجة. أما جهة رسالته وغايته فيلقي عليهما الضوء ما قال الدكتور في محاضراته الرابعة:

"على الأمة المسلمة مسؤولية كبرى يجب عليها أدائها. وهي إعادة النظر في النظام الإسلامي بدون أن نقطع صلتنا بالماضي".

وما هي المحاولة التجديدية أو رسالته إلى الأمة المسلمة بل إلى العالم كافة. عرّفها الدكتور باسم وجيز "خودي" أي "الأنانية" وفي أوسع معناها معرفة الذات أو النفس، هذه هي النقطة المركزية والركن الأساسي لفكرة محمد إقبال وكلّ ما أنتج شاعرنا يدور حول هذا الركن الأساسي بألوان رائعة متنوعة.

لست أريد أن ألقى ضوءاً على جمال فنه وروعة أسلوبه وابتكار معانيه العالية وسموّ فكرته وأبعاد آفاقه الشعرية اللهم إلا أنه جعل الشعر وسيلة لإبلاغ رسالته الخالدة الحية المنيرة الحافلة بالحماس الديني حين تكاثف الظلام البهيم وكبت الأقلام وجمدت القرائح وخمدت المشاعر والهمم وتناسى الكثير ضعفهم وظن فريق منهم أنه على الحق تستقيم خطواته وبالحق تهتف كلماته ولو كانوا في ضلال مبين.

عشتُ مع إقبال برهة من الزمن في إعداد هذا المقال وتعمّقتُ حسب ما وفقتُ فيما نتج له من ثمار الفكر لا سيما في اللغة الفارسية فوجدته على ذروة فكرته من ناحية

الاجتهاد أو التجديد في "أسرار خودي" و"رموز بي خودي" ملحمتان لمحمد إقبال باللغة الفارسية فرغ من نظم الأولى عام 1914م، وعقبها الثانية حتى أتمها عام 1918م. وله عدة مجموعات أخرى باللغة الفارسية والأردوية.

ملخص ما أفاد محمد إقبال في "أسرار خودي" و"رموز بي خودي" أنّ القدرة المطلقة (جلّ شأنه) أودعت كلّ بشر صلاحية غير متناهية الحدود للفكر والتدبر والخوض والتأمل كما أنها أودعت الجبلية البشرية الجهد والسعي في العمل. تطلب منا القدرة المطلقة أن نستخدم تلك المواهب الفطرية ونرقيا ونزيها. وإنما يشكل لفرد أنانيته الذاتية المنفردة بالبقاء حسب رقي تلك المواهب في انسجام وتوازن وتناسق مطلوب. أما الأنانية وبكلمة الشاعر "خودي" فهي تنقسم إلى قسمين: الأولى أنانية المخلوق وهي محبوسة بين حصار الممكّات الكونية، والثانية أنانية الخالق وهي غير متناهية. لا يحيطون بشيء من علمها إلا بما شاء وإنها وسعت كلّ شيء عملاً. وهذا الكون العظيم بكل ما فيه من الطبيعة وما بعدها مظهر تلك الأنانية المطلقة فلولاها لما حدث العالم ومظاهره. أما هدف الحياة البشرية فهو أحكام الأنانية متفردة على حدة، لكل فرد أنانيته الذاتية، ثم ترقيا حسب التوفيق. ولا يجدر لأحد أن يتكأ على نصيبه المقدر له من قبل في سبيل تشكيل أنانيته وما يشاء. ولا يستقر عمل الترقية والصعود إلى حد بل إنه جارٍ غير ثابت حتى بعد الموت. والفرد حرّ في إرادته لا جبر عليه، مستقل في ذاته بحكم الآية الكريمة "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى" ¹ أي لكلّ وازر وزره، وهو خليفة الله في الأرض واجتباؤه ربه "ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى" ² و"إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" ³ و"وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ" ⁴ وفوق كل ذلك الإنسان حمل الخلافة والأمانة من إرادته واختياره لم يكن هناك جبر "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى

¹ سورة الأنعام: 164

² سورة طه: 122

³ سورة البقرة: 30

⁴ سورة الأنعام: 165

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيَّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقَنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ¹ بناء على استقلاله الذاتي والإرادي إنه مأجور على ما عمل هو بنفسه ولا ينفعه ما عمل غيره وبالعكس حسب الآية الكريمة "لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى"² ثم عمل السعي لا يقف عنده مكاناً وزماناً. ولا تجعله الأنانية المطلقة عرضة للضياع شوقاً منها فيه بل للفرد أي الأنانية المحدودة حرية القول والعمل "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"³ (أنظر للتفاصيل محاضرة محمد إقبال الرابعة). وإذا نضجت هذه الأنانية الذاتية وتكاملت لفرد، إنه أدى حق الحياة وأوفى غاية تخليقه. ومعنى تكامل الأنانية الذاتية هو الاتصال الكامل بالأنانية المطلقة لا في معنى الفناء كما تزعم به الفلسفة الوجودية بل مع الحفاظ على تفرد الذات. وإذا حصل لها هذا المعنى سهل عليها تسخير الكون وحتى تسخير الأنانية المطلقة بمعنى أنها تميل إلى الأنانية المحدودة. كما قال جلّ مجده "وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى"⁴ و"يَذُ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ"⁵ هذا هو مفهوم التسخير التام والاتصال بالأنانية المطلقة الذي هو مقصد الحياة البشرية.

أما السؤال، كيف يحقق هذا الغرض النبيل وماذا يجب على الفرد أن يعمل لتحقيق الغرض المنشود؟ سؤال هام وأيم الله. أجاب شاعرنا على هذا السؤال بأنه ممكن التحقيق بخلق المقاصد والطموح في الحياة الباطنية والخارجية. ثم يقترح الشاعر المجدد بالحركة والعمل والحنين إلى التمنيات والشوق البالغ في رفع مستوى الأنانية الذاتية عن طريق الحب والشعور والعاطفة والوجدان لا عن طريق العقل والفكرة الجافين المحدودين. يقول:

ما ز تخليق مقاصد زنده ايم از شعاع آرزو تابنده ايم

¹ سورة الأحزاب: 72

² سورة النجم: 39

³ سورة الرعد: 11

⁴ سورة الأنفال: 17

⁵ سورة الفتح: 10

زنده را نفي تمنا مرده کرد شعله را نقصان سوز آفسرده کرد
تعريب: تندفق فينا الحياة بواسطة الطموح والنشاط، ونستدير بنور التمنيات ولمعها، من
يئس من الطموح لقد مات ولو كان حياً في أعين الناس فإنه كمثل شعلة خسرت
حراقتها نغمدت (أسرار خودي)

يعتقد الفيلسوف أنّ الحياة هي حركة وتغيّر كلها فكل مظاهر الحياة تقتضي الحركة
والتغير واستنبط به في محاضرة له (المحاضرة السادسة لمحمد إقبال) على ضرورة
الاجتهاد في الدين في كلّ عصر إذا اقتضت به الضرورة. ولا يرى أنّ الاجتهاد في
الإلهيات الإسلامية والشريعة النبوية، قد انغلق بابه. أما الحصول على هذا الحب
وذلك الحنين في سبيل تخليق المقاصد في الحياة فيجب على الفرد من أجله أن يتخلق
بخلق من تكاملت له أنانيته الذاتية وها هو الإنسان الكامل في شعر محمد إقبال ويمثله
في أروع صوره وأكمل صفاته شخصية محمد رسول الله ﷺ يقول:

در دلِ مسلم مقامِ مصطفی ست آبروی ما ز نامِ مصطفی ست
روز محشر اعتبار ما ست او در جهان هم پرده دارِ ماست او
تعريب: يكنّ المسلم حبّ محمد ﷺ بين جنبه حباً لاهوتياً وله مكانة عظمى
في صميم كلّ مسلم والحق أننا نعتز باسمه (ﷺ)، وعليه الاعتماد يوم الحشر
(أسرار خودي).
ويضاً يقول:

توهم از بار فرائض سر متاب برخوری از عنده حسن المآب
تعريب: لا يثقل عليك التكليف الشرعية فإذا فعلت ذلك سوف يكون لك الحظ
والنصيب من الآية الكريمة "عِنْدَهُ حُسْنُ الْمآبِ".¹

¹ سورة آل عمران: 14

كما زعم إقبال أنّ هناك ثلاث مراحل في سبيل تكامل الأنانية:

المرحلة الأولى: هي الإطاعة والخضوع الكامل للسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام يقول:

شكوه سنج ستنی آئیں مشو از حدودِ مصطفی بیرون مشو
تعريب: لا تشك حدود الله والتكاليف الدينية، ولا تتجاوز عما جاء به محمد
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي سنته.

والمرحلة الثانية: هو الإمساك عن الهوى النفسانية والقدرة التامة على الصبر ومخالفة النفس. وإذا اجتاز المرء عن هاتين المرحلتين، فاز بالمرحلة الثالثة وهي نيابة الله تعالى وخلافته في الكون فإن حصلت له هذه الملكات يخضع له الكون بكل ما فيه من خفايا وظواهر ومظاهر الطبيعة وما بعدها وإنما خلق الله العالم ليسخرج الإنسان عن طريق تكميل أنانيته قال تعالى: "وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ جَمِيعًا"¹ ويرى الشاعر أنّ مظاهر الحياة كلها مرهونة للأنانية لولاها لما كانت الأجرام والأجساد تتدفق بالحياة. يقول:

پیکر هستی ز آثار خودی ست هرچه من بینى ز اسرار خودی ست
تعريب: كل ما ترى من الأشياء والمادة وجودها مرهونة للأنانية (أي فلسفة معرفة الذات أو معرفة الذات مجرد تسبب للوجود).

وفي نظر إقبال هناك صفات تحكم الأنانية وأخرى توهنها، أما من الخصائل النافعة المحكّمة فمنها الحب والفقر أي الغنى عن السؤال والصبر والشجاعة وكسب الحلال والحركة الدائمة إلى خلق العالم الذاتي في العالم المادي وذلك لأنّ الشاعر يعتقد أنّ عمل الخلق والإبداع جارٍ غير ثابت وهذا هو مفهوم الآية الكريمة "كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى

¹ سورة الجاثية: 13

شأن¹ فإن فازت أنانية الفرد بمرتبة نيابة الله في الكون عليها أن يمثل صاحبه وإذا جمدت نمدت ولو كانت حية في أعين الناس وهذه الأنانية الفردية لا تنضم إلى الأنانية المطلقة في مرتبة النيابة ولا تنجذب فيها يقول:

به بحر ش گم شدن انجم ما نیست اگر او را تو در گیری فنا نیست
(أسرار خودي)

تعريب: ليست نهاية الأنانية أن تفني استقلالها الذاتي باتصالها بالأنانية المطلقة فإن اتصلت أنانية الفرد بها أي عرفت نفسها فعرفت ربها ولا يكون هذا الانضمام والاتصال فناء الذات أو أنانية الفرد.

نعم يقول:

حرف "اِیسی جاعل" تقدیر او از زمین وآسمان تفسیر او
مرگ وقبر حشر ونشر احوال اوست نور ونار آں جهان اعمال اوست
از وجودش اعتبار ممکنات اعتدال او عیار ممکنات
آنچه در آدم بگنجد عالم ست آنچه در عالم نگنجد آدم ست
(جاوید نامه)

أما من الأخلاق الموهنة فمنها الخوف والسؤال والعبودية والفخر بالنسب والرهبانة يقول:

زهد وتقوی چیست اے مرد فقیر لا طمع بودن ز سلطان وأمیر
گر بدست آید ترا گنج ونقود ورنه داری همتِ عالی چه سود
(أسرار خودي)

تعريب: يصف الشاعر الأنانية قائلاً: يكرم الله تعالى شأنه الأنانية باستخلافها في الأرض

¹ سورة الرحمن: 29

"إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"¹ وكلّ ما ترى بين السماء والأرض فليس ذلك إلا تفسيرها- الموت والحشر والنشر كلها من أحوالها وكوائفها فهي لا تزال حية يطرأ عليها هذه الأحوال كما أنها تجزى بالنار أو النور أي بالجنة أو جهنم في العالم الباقي لولاها لما كانت للسكّات ثقة وقيمة- اعتدالها عيار الممكنات فإن انحرفت عن الاعتدال فسد نظام الكون. والذي يسع هذا الكون العظيم هو الإنسان بواسطة إكمال الأنانية والذي لا يستطيع الكون مع كلّ سعته وفسحته أن يسمعه فهو الإنسان. ملخص القول العالم محيط بالآدم ولا يستطيع العالم أن يحيط به. (مقتبس من جاويد نامه)

وله غير ذلك من العقائد الفلسفية المتعلقة بالدين كما أنه يزعم أنّ الجنة وجهن هما حالتان وليستا من الأماكن أما جهنم فهي حالة تحقيق خسران الفرد ونارها تصل إلى القلب وها هي نار شعور اليأس والحرمان واستنبط بقوله تعالى شأنه "نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئَةِ"² وكذا الجنة هي مشاهدة المرء بفوزه وأنه يؤكد كلّ تأكيد ويجهز به جهراً أنّ الاجتهاد في مبادئ أصول الدين والشريعة ضرورية في كلّ عصر وتحديث عن التصوف فانتقد نقداً مرّاً على بعض رجاله المعاصرين والمتقدمين والحقيقة أنه لا ينكر التصوف الإسلامي القرآني بل يندّد على ما زادوا عليه من بدع وخرافات وتطرف بعضهم في ترك الدنيا.

مدى تحقيق آماله والسبيل إليه: لا شك أنّ محمد إقبال شاعر عبقرى، شاعر الطموح والحبّ والإيمان. إنه أحدث هزة في الأفكار والآداب في معظم البلاد الإسلامية وأوسعها ويتجاوز تأثيره إلى أقطار بعيدة ويسمع له صدى عبر العالم الإسلامي، وصدق في وصف شعره الشيخ الكبير السيد أبو الحسن علي الندوي:

"هذا الشعر تهتز له المشاعر وتوتر له الأعصاب ويحيش له القلب وتثور له النفس حتى تكاد تحطم السلاسل وتفكّ الأغلال وتتمرد على المجتمع الفاسد وتصطدم

¹ سورة البقرة: 30

² سورة الهمزة: 6-7

بالأوضاع الجائرة وتستخف بالقوة الهائلة".

هذا صحيح ولا شك ولكن كما ذكر الدكتور عابد حسين في شعر محمد إقبال:

"والحق أنّ شاعرًا من أشعر شعراء العالم لا يستطيع فوق ذلك أن ينفخ روح الحياة في جسد ميت ولكن لا يرجى من أمثال هؤلاء الشعراء الكبار قيادة أمة أحيائها من شعره في مختلف ميادين الحياة المعقدة" (هندوستاني مسلمان آئينة أيام ميس)

اعتقد أنّ الناس عكفوا على شعر إقبال وأعجبهم روعته وابتكاره وتناول بعضهم فلسفته وحلّله تحليلًا نقديًا ولكن فلسفته الجديدة أو رسالته التجديدية قد اختفت وراء روعة الفن وسحر الكلام والآن لا نجد أحدًا فهم الإسلام أو نال سعادة مرجوة عملاً بما جاء به إقبال من رسالته التجديدية اللهم إلا امتلاء صدره حرارة وحماسة، أما الشاعر نفسه فهو فاق الناس جميعاً من ناحية حبّه وإخلاصه للغاية وهي نشر رسالته وإنما يتفاضل الجميع بقوة الحبّ والإخلاص لغايتهم- إذا فاق أحدهم الآخر فإنما يفوقه الإخلاص لأنّ الغاية أو الموضوع حلّ في قرارة نفسه وسرى منه مسرى الروح وملك عليه فكره وقلبه وقهر شهواته فشاعرنا عكف على إظهار ما جاش به صدره عكوفاً صرّفه عن الجمع بين القول والفعل، والظاهر والباطن- ومن شأن المجدد الرباني أن يفعل أكثر من أن يقول، ويعمل أولاً بما يبلّغه.

وكما هو المعلوم أنّ هناك عدة جهات لفكرة محمد إقبال فله نظريات في السياسة والاجتهاد تتجلى معظمها في محاضراته التي ألقاها في مختلف المدن- أما ما يتعلق بالمحاولات التجديدية في الدين فنجدها أيضاً بالصراحة والوضوح الكامل في محاضراته أو رسالاته إلى معاصريه وأما شعره فلا نجزم بالقول أنّ هذا الشعر عقيدته لمجال التوسع في الشعر فكثيراً ما يهزّ الشعر أوتار القلوب لجماله الفني وإذا وجدنا ذلك المعنى في النثر ربما نرفضه أو نعترف بقيمته العقلية على الأكثر.

فإن تناول أدبه أحدٌ من ناحية الفن والتوجيه الفني ويراجع المصادر الثرية له فإنه يجد

لشدة دهشته أنّ هذا الأدب يتحول في نهاية المطاف إلى الفلسفة الفنية ولا يكتسب الدارس شيئاً من أمل مرجو بل يرجع بخفي حنين بعد هذا الجهد المكث والتعب المضني ويظلّ تائهاً في دنيا الآراء المتضاربة والنظريات الفلسفية الغامضة يخطط خطط عشواء دون أن يهتدي إلى الحق والصواب سبيلاً. فالحق، والحق أحقّ أن يقال، أنّ إقبال لم يوفق لتأسيس مدرسة مستقلة في الإلهيات الإسلامية، تقوم على ساقها وتمسك بها جماعة للحصول على السعادة المرجوة فالضرورة تقتضي الآن أن لا نتناول فكرة إقبال من ناحية الفن والفلسفة فقط بل نحاول تحقيقه عملياً وهذا التحقيق متعذر المنال كما اعتقد لو لم تكن هناك معاهد خاصة تعني بتجسيد ما أوصى به إقبال من تثقيف الجيل المسلم الناشئ عملياً يعرف قيمته ومكانته، لا تهتم بتحليل آرائه الشعرية والفلسفية لحسب.

واقترح على تلك المعاهد التي ستتولّى تجسيد فكرة إقبال عملياً أن لا تضع وقتها الثمين في طلب إنسان مثالي كامل لتتخذة دليلاً له بناء على أنّ دنيا العمل غير عالم الفكر والخيال وتستفيد بكل من يخضع للسنة النبوية وله إمام تام بها فإنّ هذا الإنسان ولي من أولياء الله في عصرنا هذا، من تمسك به لقد تمسك بالدين وحقّق له بعض ما ينويه إقبال ولو لم يفهم رسالة إقبال المغلقة ومن وقف عن العمل حتى يجد ذلك الإنسان الكامل فعلاً، الذي صورّه إقبال محلياً بالصفات التي تتكامل بها الأتانية فإنه: أضاع العمر في طلب المحال¹

¹ للإمام الشافعي، صدر البيت:

ومن رام العلا من غير كد

تعليم اللغة العربية في الجامعات الهندية (دراسة ميدانية)

- أ. د. فيضان الله الفاروقي¹

ترجمة من الأردوية: د. هيفاء شاكري²

كيف ومتى دخلت اللغة العربية إلى الهند، يعتبر بحثاً تاريخياً، أما حديثنا فيبدأ منذ أن كان وجود العربية قد تركز واستقر.

تقبل الهنود العربية كلغة للدين، فاعتمدت أغلب المواد الإسلامية مثل: الفقه، والحديث، والتفسير وغير ذلك على العربية، لأن هذه العلوم كلها وجدت بالعربية. إضافة إلى ذلك كان تعلم وتدرّس العربية يعتبر سبباً للأجر والثواب. ولا شك أن هذه حقيقة، ولكن أساسها النية، وكانت اللغة الفارسية هي الحاكمة بصفاتها اللغوية الحكومية، لأن جميع حكام سلطنة دلهي كانوا من أصول إيرانية وأفغانية. وكانت الفارسية هي لغتهم الأم (في الغالب). ثم اختلط هؤلاء الزوّار الجدد بالسكان المحليين، مما أدّى إلى بداية لغة ثالثة سمّيت بالأردوية فيما بعد. وتأثرت اللغة الأردوية بالعربية والفارسية أكثر من اللغات المحلية، ومقارنة بالفارسية كان أثر العربية أكثر حيث كانت اللغة الفارسية ذاتها تحتوي على كثير من الكلمات العربية التي ضمّتها بعد انتشارها في إيران، ولكن الكلمات التي أتت من الفارسية، كانت على خلفيتها القواعد الفارسية والثقافة الإيرانية. أما الكلمات التي أخذت من العربية، فقد تلوّنت باللون المحلي على حسب الظروف والضرورة اللغوية.

¹ شخصية يختص بسيرتها وأعمالها هذا العدد

² مشارك في التحرير وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي

ننظر إلى بعض الأمثلة للتوضيح:

الكلمة	اللغة العربية	اللغة الفارسية	اللغة الأردوية
غريب	أجنبي - مسافر	أجنبي	مفلس
شراب	شيء للشرب	نحمر - شراب	نحمر - شراب
تشريف	منح الاحترام (مصدر متعدّ)	اسم جامد	أيضاً
دولت	غلبة - الحكومة	ولاية - أملاك	مال
تسكين	جعل الشيء غير متحرك - إسكان	اطمئنان - دلالة	أيضاً
تعريف	توضيح - إعلام بالشيء	مدح - توصيف	مدح - تعريف بالشيء
انتقال	انتقال من مكان لآخر	أيضاً	موت - سفر الآخرة
تعلق	ربط	أيضاً	أيضاً
أخبار	جمع خبر	أنباء	جريدة يومية
خط	سطر	مكتوب - سطر	رسالة
مجال	دائرة العمل	طاقة - همة	طاقة
هجوم	مهاجمة	تجمع	أيضاً
غلام	ولد	عبد	أيضاً
محل	مقام - مكان النزول	قصر - مكان	قصر
جهاز	آلة - بضاعة	سفينة	أيضاً
عورت	عورة	أيضاً	امراة

بجانب هذه الكلمات نجد الكثير التي تستخدم في غير معناها الأصلي. وهذا التغيير قد دخل بسبب اللغة الفارسية. ولا نتحدث هنا عن القاموس لأنّ حديثي عن الكلمات التي تستخدم بكثرة، ربما نجد معاني الكلمات السابقة بمفهومها العربي في القاموس، ولكنها لا تستخدم أبداً بتلك المعاني. إضافة إلى ذلك، توجد كلمات تأثرت باللغات

الهندية. على كل حال، عندما يشاهدها المتعلم الهندي للغة العربية في الأدب العربي، يفرح لذلك كثيراً، لأنه يعلم هذه الكلمة من قبل. ولكنه يخطئ عند استخدامها حيث يستخدمها في معناها المحلي. ومعلوماتي قليلة جداً عن أثر اللغة العربية على لغات جنوب الهند، ولكن متعلبي العربية في شمال الهند من بنغال إلى غوجرات يعرفون الأردوية بشكل عام، ولذلك يخطئون. وتوجد في اللغة الغجراتية كلمات الفارسية بنسبة 40% والتي دخلت إليها عن طريق العربية.

وهذا هو السبب في أغلب الأخطاء أثناء تدريس وتعليم العربية أو الترجمة، فالترجمة الهندية لكلمة "شراب" جعلتنا نؤمن بأننا سوف نحصل على الخمر في الجنة، أما ما ذكر في القرآن من شراب فهو ليس بخمر، بل هو بمعنى مشروب طاهر. وهذا لا يقتصر على المعاني وإنما يتعدى إلى الجنس، فهناك كلمات تستخدم في العربية مؤنثة، ولكنها مذكورة في الأردوية، والعكس صحيح. فعلى سبيل المثال نرى كلمات: كرسي، قلم، كتاب، علم، دعاء، دواء، قيص، تعريف، توصيف، ميزان، منزل، تخليق، مخلوق، فكر، موج وغيرها من الكلمات تستخدم مؤنثة في اللغة الأردوية، وهي مذكورة في العربية. وعلى العكس من ذلك نرى: مدرسة، كلمة، مكتبة، داخل، نكرة، معرفة، فاصلة، فيصلة، أخبار، أفكار، وظيفة، أخلاق، نفس وغيرها مؤنثة في العربية، ولكنها مذكورة في الأردوية. وهنا كذلك يخطئ طالب العربية الهندي (وأقصد الطالب الذي يعرف الأردوية)، وتترزّل مكانته العلمية في اللغة العربية أمام شخص عربي بسبب هذه الأخطاء في التذكير والتأنيث. وفي المرة الثالثة يخطئ في استخدام الحروف، فاستخدام الحروف أي الصلات مهم جداً في كل لغة، ويكون دقيقاً جداً ويعتبر أساساً للغة. واللغة العربية شديدة جداً في استخدام الصلات، خطأ بسيط يؤدي إلى تغيير في المعنى، وهذا موضع بحث آخر نؤجله لمناسبة أخرى. أذكر هنا بعض الأخطاء في استخدام الكلمة العربية وذلك بتأثير الأردوية:

الحرف الأردوي	الفعل الأردوي	الفعل العربي	الحرف العربي	معاني الحروف العربي بالأردوية
سے	کہا	قال	ل	لئے
کا	جواب	أجاب	علی/عن	پر/سے
سے	بہرگیا	حفل	ب	ساتھ/سے
میں	بدل گیا	تحوّل	إلى	تک/طرف
میں	بدل دیا	حوّل	إلى	تک/طرف
پر	حیرت کی	تحيّر	في	میں
سے	پڑھا	درس	علی	پر
سے	پوچھا/سوال کیا	سأل	X	X
کی	نگرانی کی	تفرّج	علی	پر
میں	تقسیم ہوگیا	انقسم	إلى	تک/طرف
سے	قصہ بیان کیا	قصّ	علی	پر
کا	ارادہ کیا	قصد	إلى	تک/طرف
پر	ایمان لایا	آمن	ب	ساتھ/سے
کی	ناشکری کی	کفر	ب	ساتھ/سے
پر	اصرار کیا	ألحّ	في	میں
سے	مرگیا	مات	ب	ساتھ/سے
پر	ختم ہوا	انتهى	من	سے
سے	روایت کی	روی	ل/عن	لئے/سے
(غور) سے	سنا	استمع	إلى	تک/طرف

في الحقيقة تعتبر هذه الأخطاء جزءاً من الأخطاء التعبيرية، وهي ليست خاصة بالأردوية. فإذا فكرت بلغة وكتبت بأخرى، يكون احتمال الخطأ وارداً بنسبة متساوية، مهما كانت اللغة. وقد دخلت كثير من كلمات اللغة الإنجليزية إلى العربية، ولكن طبيعة الأردوية تقترب أكثر من الفارسية والعربية، وهذا هو السبب في أنها لم تمتزج فيها الكلمات الإنجليزية، وعندما نستخدم كلمات إنجليزية ندرك تماماً أنها ليست أردوية. ولذلك فاستخدام الكلمات العربية والإنجليزية في اللغة الأردوية ليس مماثلاً، وإذا أمعنا النظر وجدنا أننا نستخدم الكلمات الإنجليزية إما لجهلنا بلغتنا الأم، أو لعدم وجود كلمة مناسبة لبيان ما نريد قوله، ولكن بشكل عام تكون دلالات الكلمة هي السبب في أننا نضطر إلى استخدام الإنجليزية. وبعبارة أخرى، نستخدم الإنجليزية لعرض فكرتنا بطريقة أفضل. ولا ننكر شمولية اللغة الإنجليزية، ولكن الحقيقة أن الإنجليزية لم تؤثر على الأردوية المكتوبة كما أثرت عليها العربية.

بعد استيلاء الإنجليز على الحكومة هنا ورواج الجامعات والكليات على الطراز الغربي، كان المتوقع أن يؤثر ذلك في تدريس اللغة والأدب العربي، ولكن هذا لم يحدث، فقد ازداد حرص العلماء على المدارس بقصد الحفاظ على الدين، ولسوء الحظ أو اتباعاً لسياسة معينة، اعتمد في الجامعات والكليات نفس المنهج للغة والأدب العربي الذي كان رائجاً في المدارس، وقبلها تجد اسماً آخر في المنهج الجامعي غير المعلقات السبع، والحماسة، ومقامات الحريري. وسوف تلاحظ أن أقسام اللغة العربية في هذه الجامعات العصرية هي على شكل مدارس، لأن غالبية المدرسين والطلاب هم من المدارس العربية، وقد بدؤوا يحصلون على الشهادات الجامعية ثم الوظائف الحكومية بعد دراستهم لنفس الكتب التي درسوها سابقاً في المدارس. وقد ألحق هذا النهج الضرر بطريقتين، فمن جهة مال المدرسون والطلاب إلى الكسل، لأنهم حصلوا على الشهادات بتفوق دون بذل أي جهد، ولم يحتاج الأساتذة إلى أن يجتهدوا في عملية التدريس. ومن جهة أخرى تأخر هؤلاء كثيراً في معرفتهم للعلوم

العصرية، لأنّ هدفهم كان فقط الحصول على الوظيفة، وكانت القدرة على العربية انحصاراً بالمنهج كافية لذلك، فنجد في جامعاتنا في عملية تدريس العربية مثلاً جيداً على كيفية القصور في طلب العلا إن كانت الأهداف صغيرة ودنيئة. واعتقد أنّ هذا هو الموضوع المناسب لأن أوضح أنه بالرغم من أنّ أيّ دين ليست له سيطرة على اللغة، إلا أنّ طبيعة العربية هي من الدين، وأغلب مدرسي العربية في جامعات بلدنا هم من العلماء أو من المسلمين الذين يرتبطون بالدين بأيّ طريقة من الطرق، وإذا أخرجنا روح الدين من اللغة فماذا يبقى بعد ذلك....

وهناك من الطلاب من أتوا من خلال الجامعات والكليات العصرية، ودرسوا العربية مع مواد أخرى كمادة دراسية، فتعلّموا اللغات الأخرى خاصة الإنجليزية بشكل جيد، ولكنهم لم يصلوا إلى مستوى طلاب العربية من المدارس، لأنّ طلاب العربية ولو أنهم تناسوا واجباتهم الأساسية إلا أنهم كانوا أصحاب المهمة. والفرق بين تدريس العربية واللغات الأخرى مثل الفرنسية والألمانية، أنّ العربية تمتاز بخلفية دينية وترتبط بالمدرسة. أما اللغات الأخرى فتدرس فقط في الجامعات والكليات العصرية. ولذلك نجد المدرسين والطلاب لهذه اللغات على إلمام بالعلوم العصرية، أما أصحاب العربية فيعرفون العربية فقط. وإن كانت لهم دراية بالعلوم العصرية، فقدراتهم في العربية ربما تكون أكثر قليلاً من الصفر إلا ما شاء الله. كان هذا هو الوضع عندما تغيرت الأحوال فجأة وصارت الدول العربية غنية بالبترول. وهكذا أضيف الزيت إلى فوانيس العربية، أدرك الناس قيمة اللغة، وبدأ البحث عن الكفاءات اللغوية، كفاءات لا تكون مقتصرة على الدين، إنما تكون مواكبة للعصر، شخص يستخدم العربية المستعملة في الحياة اليومية، ولكن هذا لم يكن سهلاً كما اعتقد البعض، لأننا إلى الآن كنا ننتج فقط بامتياز، فكيف ننتج باحثين بين عشية وضحاها. ولكي نوضح أكثر، علينا أن نترك الهند هنا ونتجه إلى الدول العربية لإلقاء نظرة.

تبدأ الثورة الفكرية في العالم العربي عام 1798م بعد حملة نابليون الأعظم على مصر،

ولكننا نذكر باختصار أنّ الأحوال العالمية تغيرت بسرعة مذهلة بعد الحرب العالمية الثانية، وحدث تطور هائل في مجال العلوم والتكنولوجيا. ولا ننكر شمولية العربية وسعتها، إلا أنّ زمام الأمور الآن كان بيد الغرب، وبدأت فيه الاختراعات والاكتشافات، وبالتالي تولدت في لغاتهم أسماء ومصطلحات عديدة، أما اللغات الأخرى فلم تملك إلا أن توسع دائرتها أو تتكاسل وتضم إلى نفسها المخترعات الأجنبية مع أسمائها، كما حدث عندنا في اللغة الأردوية. وكردة فعل شهدت الدول العربية ثورة لسانية ضخمة بجانب الثورة الشعرية. وكانت دائرتها واسعة جداً، فوجدت تجارب جديدة في الشعر تتعلق بالشكل والمضمون معاً، وظهرت أساليب حديثة في النثر. وهنا ناقش فقط القاموس وما يرتبط به. ظهرت نظريتان تكلفية للقاموس العربي الجديد، الأولى أن تكون أيّ إضافة للغة من أصل العربية، وأن يتم تطهير العربية من الكلمات الأعجمية، وقد تلقت هذه النظرية رواجاً في سوريا ولبنان، فأقيمت الأكاديميات ودور الترجمة لتوسيع أفق اللغة والحفاظ عليها من العجمة، وكان هدفها وضع كلمات عربية من أصول عربية للكلمات والمصطلحات الواردة من اللغات الغربية. بدأ العمل على ذلك بكل نشاط في الجمع العلمي العراقي في بغداد عام 1947م، في الجمع العلمي السوري في سوريا عام 1921م، وفي الجمع العلمي المصري في الإسكندرية عام 1895م، وكذلك تأسس مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1932م، ودور الترجمة لنفس الهدف.

وأول ما تأسس في هذا المجال دارٌ للترجمة في عهد محمد علي باشا في مصر بقصر العيني عام 1805م، ترجمت فيها كتب من اللغة الفرنسية والإيطالية إلى اللغة العربية، ولكن ما الذي حدث؟ لنر إلى ما يقوله الكاتب المعروف نبيه غطاس. يذكر الكاتب في مقدمة قاموس الإدارة، مكتبة لبنان بيروت 1976م بما أنّ المصطلحات والكلمات هي الوسيلة الوحيدة للإفهام والتفهم بين الناس، لذلك من الضروري أن تستخدم الكلمات التي تحمل معنى قاطعاً، وهذا لم يحدث في العالم العربي حتى الآن،

فالمصطلحات التي تتعلق بالإدارة، لا يستسلم بأيّ منها في كل مكان بالتساوي، ولا تحيط بالمعنى الكامل، حتى أنّ كلمة الإدارة نفسها ليس لها معنى قطعي واحد، فكل شخص يعني به شيئاً. وكانت هناك محاولات لتوحيد المصطلحات في النصف الأول من القرن العشرين، وتحديد معاني الكلمات التي كانت واسعة جداً في مفهومها، مثل: إدارة، تنظيم، الإدارة التنفيذية، سلطة، مسؤولية وغيرها. ولكن ظهرت الخلافات سريعاً في تعيين المراد منها.

من خلال الاقتباس السابق نستطيع أن ندرك مدى سرعة تطور اللغة العربية وتوجهاتها في الدول العربية، بجانب إلقاء الضوء على المشاكل التي تولدت نتيجة لذلك، وهذا الشيء ليس بجديد في تاريخ اللغات، وقد حدث هذا مع العربية عدة مرات، فقد تطورت بشكل كبير في بداية الإسلام، فمصطلحات مثل المسجد، الصوم، الصلاة، الحج، الزكاة، الإسلام، الإيمان وجميع الكلمات التي ترتبط بالإسلام كدين كالاصطلاحات الفقهية وغيرها، لا تستخدم إلا بمعانيها التي حددها الإسلام، وليس بمعناها اللغوي، فلا يصح اعتبار المسجد مكاناً لسجود غير المسلم، والصلاة عبادة لغير الدين الإسلامي، والزكاة ضريبة غير إسلامية، وإن سمحتم لي فسأقول بأنّ شرح معنى كلمة الله أيضاً الآن هو ما تم تحديده في الإسلام، ولا أوافق على استخدام ما يوجد من مترادفات في اللغات الأخرى مثل God أو إيشور بمعنى "الله".

نجد بعد ذلك أمثلة لترجمة الكتب اليونانية والسنسكريتية إلى العربية في دور الترجمة في العهد العباسي، فوضعت كلمات مثل أرسطاطاليس لـ Aristotle، أفلاطون لـ Plato، بطريقة ثم خطابة ثم بلاغة لـ Rhetoric، كذلك أرشماطقي ثم حساب لـ Arithmetic، جيومطريقاً ثم هندسة لـ Geometry، وكذلك في السنسكريتية قرنفل لكرنبول، ورشغال وبرشغال لورشكال في اللغة العربية. (لندرك أننا نجد هذه الكلمات المقتبسة من السنسكريتية في العهد الجاهلي كذلك). والآن في القرن العشرين دفع التطور الغربي بالقاموس العربي إلى وضع

مصطلحات جديدة بشكل فوري، ولكن هناك فرق بين طريقة وضعها حالياً وكيفيةها في العهد العباسي. لنر إلى هذا الفرق كما يذكره المترجم والمؤلف المصري الشهير الأستاذ إسماعيل مظهر في مقدمة كتاب "الفريد في المصطلحات الحديثة"، يذكر أننا يجب أن نتذكر أنّ العلماء وضعوا الكلمات الملائمة لطبيعة العربية للترجمة، فعلينا بشأن الكلمات والمصطلحات الغربية أن نجعل معانيها قريبة حتى تتحد وتنعين، كما فعل أسلافنا عند تعيين مصطلحات الفقه، وأصول الفقه، والفلسفة والرياضيات وغيرها. ولكن في طريقة التعريب الرائجة هذه الأيام لا تراعى مثل هذه الأشياء. فراجت الكلمات العامية في الأدب، وكذلك نقل الكلمات غير العربية كما هي أصبح أمراً عاماً، ومن المناسب أن نتجنب ذلك.

هذه هي النظرية الأولى التي تدعو إلى تصفية اللغة من الشوائب، ولكن أنصار هذه النظرية لم يملكو شيئاً أمام الأمر الواقع، حيث وضع التطور الغربي أمام العربية أموراً لم تكن في الحسبان، مثل مصطلحات وقضايا العلوم والتكنولوجيا والطب وعلم النفس. أو ظهرت أمور لم تكن في الثقافة العربية مثل التقاليد الثقافية الأوروبية التي أضيفت بسرعة لم تدع فيه مجالاً للتفكير. ولذلك وجد جماعة بعدد لا يستهان به من المؤلفين العرب دعوا إلى استخدام الكلمات الأوروبية بعينها في العربية لتمكين العربية من مسايرة القضايا العالمية. وهذه هي النظرية الثانية. اخترأي جريدة عربية، ستجد في كل صفحة خمسين كلمة على الأقل من الكلمات الدخيلة على العربية، ومن الأمثلة العامة: تكنولوجيا، أوتوميتك، استاتيجن، اوتيل، استاسون، تيكنيك، تلغراف، تلفزيون، الكترونك، راديو، بنك وغيرها.

كان هذا عرضاً شاملاً للعالم العربي، ونستخرج من ذلك ما يلي:

1. توسّعت معاني الكلمات بشكل محير، ويصعب التفريق بين المعنى القديم للكلمة ومتى بدأت تستخدم بمعناها الجديد إلا عند إتقان اللغة. نشاهد بعض الأمثلة:

الكلمة	الاستخدام القديم	الاستخدام الحديث
إجازة	سماح	عطلة، سند
إشارة	إشارة	علامة، إشارة المرور
إشاري	صاحب الإشارة	شرطي المرور
صحف	كتب سماوية	صحيفة يومية
تصويت	نداء	تصويت الانتخابات
اقتراع	قرعة	اقتراع في الانتخابات
مدمرة	شيء مدمر	سفينة مقاتلة
غواصة	أنثى تقوم بالغوص	غواصة مائية
تشريح	بيان وشرح	تشريح الجثة
مشروع	قانون شرعي	خطة
علم	معلومة	علم
عالم	صاحب المعلومة	عالم
محفظة	مكان الحفظ، حقيبة	كبسولة
أستاذ	أستاذ	بروفيسور
هاتف	صوت مجهول	حديث على الهاتف

قدّمت بعض الأمثلة الواضحة جداً، والحقيقة أنك تبحث في القاموس عن معنى كلمة معينة من غير الكلمات الأدبية، تجد عشرات المعاني ومواضع استخدامها والتي تعتبر مضافة إلى اللغة، ومما زاد الطين بلة أنّ استخدام الكلمات في معناها القديم بدأ يندثر، فمثلاً أصبحت كلمتا العلم والعالم خاصة تقريباً بالعلوم والعلماء، وكذلك تستخدم كلمة الأستاذ للبروفيسور فقط.

2. لا يتم التسليم بالاصطلاحات والكلمات الجديدة بشكل كلي، فكلمة تليفون لجهاز الهاتف، والحدس لـ Intuition، والمحدث للغراموفون والفونوغراف،

وحارزة لـFused، ومحتوف للاستديو، وآلة الحلاقة لـSafety-eraser، والأقسام المختلفة للطب والعلوم، ومصطلحات التكنولوجيا كلها تدخل في هذا السياق. وليس مضموناً أبداً أنّ الكلمة التي قُت باستخدامها سيفهمها المخاطب بنفس المعنى أيضاً. وهناك اهتمام خاص للتغلب على هذه المشكلة أي لوضع المصطلحات التي تكون موحدة في جميع البلدان، وقد ظهر الشكل العملي لذلك عند إنشاء مكتبة التنسيق والترجمة في الرباط.

3. الكلمات المستخدمة في اللهجة العامية المحلية، وكذلك المصطلحات في المحكمة، والمكاتب، والدوائر الحكومية وشبه الحكومية تختلف من بلد لآخر، فن الممكن أنّ الكلمة التي استخدمتها بمعناها العراقي، لها مفهوم آخر في مصر. تدخل ضمن ذلك كل مصطلحات الدفاع والقانون أي الجيش والعدل، لنأخذ على سبيل المثال ثلاث كلمات وهي: المجلس والمحكمة والإدارة، انظر إلى مواضع استخدامها في قاموس للمصطلحات أو أيّ قاموس عربي-إنجليزي عام، ستدرك حجم المشكلة بشكل جيد. وقد حدثت هذه التغيرات في اللغة العربية في القرن الحالي بكثرة جعلهم يطلقون على اللغة اسم العربية الجديدة، لم تتغير قواعد اللغة، وبقيت الأصول كما هي، وإن كان هناك تغيير فهو غير صحيح، فما الذي يسمّى بالجديد؟ إنّ الجديد فقط هو هذا التغير والتحول العظيم في الكلمات ومعانيها.

وبعد هذه المقدمة نعود مرة أخرى إلى الهند، إنّ القضايا التي ذكرتها هي للبلدان التي تعتبر فيها العربية اللغة الأم. أما في الهند فإذا كان حال الطلاب فيها بعد هذه الإضافة مع المشاكل الموجودة أصلاً لتدريس العربية؟ إنّ كل مؤسساتنا العربية وجامعاتنا تشعر بحاجة إلى العربية الجديدة، ويراد بذلك لديهم لغة وسائل الإعلام. يدعون بأننا ندرس العربية الجديدة، ولكن الحقيقة أنّ 80% من طلابنا لا يتغلبون على الأخطاء النحوية والصرفية، ويتضمن ذلك ما أشرت إليه من أخطاء في الصفحات الأولى من المقال، فالشخص الذي يتحدث العربية بطلاقة يعتبر من أنجح

علماء العربية لدينا، ولا يوجد في جامعاتنا 50% من الأساتذة من يتحدث العربية بطلاقة، بشرط أن لا يتعلق الموضوع بالدروس، ناهيك عن الطلاب. ومن يتقن اللغة أغلبهم من خريجي المدارس الذين تكون اللغة الإنجليزية مشكلتهم، فهم لا يعرفونها، وعندما يبدوون في تعلمها في العقد الثالث من عمرهم، فقل لي بالله كيف يتقنونها مثل من تعلمها في طفولته؟ فلا جدوى من ذلك حتى بعد مئات المحاولات.

أما الذين يتقنون اللغتين فشكلتهم عدم قدرتهم على متابعة اللغة لصعوبة استياد الجرائد والمجلات والكتب الصادرة من الدول العربية. إن ما ذكرته من التغيرات والتطور الذي نشهده في الدول العربية سريع ومتشعب لدرجة أنه من الصعب الإمام به ما لم نقرأ المجلات الصادرة من كل دولة بانتظام. ويجب كذلك أن تكون المجلات الخاصة بالمصطلحات الصادرة من الأكاديميات العربية المختلفة بين يديك، ولكن كم عدد الذين يفعلون هذا أو يقدرّون على هذا عندنا؟ من المناسب أن نرد كلنا على هذا السؤال.

كيف يجب أن يكون المنهج؟ ما الإصلاحات في طريقة التدريس؟ كيف ينشأ لدينا من يتقن العربية؟ كل هذه الأسئلة يردّ عليها المفكرون وخبراء التعليم.

أما أنا فأريد أن أقول بأنّ الطلاب إذا درسوا العربية فقط للحصول على درجات عالية، وشجع أساتذتنا هذه الفكرة المهلكة، ستنجح جامعاتنا حملة المركز الأول فقط، أما إنتاج الباحثين الحقيقيين فهو هدف بعيد المنال:

ترسم، نه رسی بکعبه اے اعرابی کیں ره که تومی روی بترکستان ست
ترجمة: أخاف أنك لا تصل إلى الكعبة يا أعرابي! فإنّ الطريق الذي تسلكه (ليس إلى الكعبة بل) إلى تركستان.

النقد عند عبد القاهر الجرجاني

- أ. د. فيضان الله الفاروقي¹

ترجمة من الأردوية: د. عظمت الله²

ولد أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، في أوائل القرن الخامس الهجري، ولم يحدد أيّ كاتب للتراجم والسير تاريخاً لميلاده.

جرجان مدينة خصبة تقع وسط مدينتي طبرستان وخراسان، وينتمي إليها عدد لا بأس به من العلماء والفقهاء والمتصوفة. وكانت هذه المدينة مركزاً فريداً للعلم والثقافة في القرنين الرابع والخامس من الهجرة.

ومن الغريب أنّ كتب التراجم والتاريخ تخلو من ذكر هذا المفكر العظيم، وإذا جاء ذكره فهو قليل جداً، لذا فإنّ المعلومات التي توفرت عن عبد القاهر لم تشر إلا إلى أنه فرد من أفراد الأسرة المجهولة أو الزاهدة عن الدنيا، وظلّ قاطناً في وطنه حتى جاءه الموت. ولم تكن له صلة بالأمرأ أو السلاطين. وكانت حياته زهداً كله. تلقى العلوم الدينية والعلوم المتداولة الأخرى في مدينة جرجان وحدها. أكمل تعليمه في اللغة والنحو لدى أبي الحسن محمد بن الحسن الفارسي. في البداية اشتهر كنحوي، فكتبه البعض إماماً للنحو في المصادر المعتبرة لفن التراجم، بينما كتبه بعض الكتاب أدبياً كبيراً، وبعضهم مورخاً، والواقع أنّ عبد القاهر كان إماماً لفن البلاغة، ومؤسساً لنظرية في هذا الفن. واليوم هو شهير لأجل هذا الفن.

لم يدعُ القرآن الكريم إلى دين وحيد فحسب إنما في الحقيقة، نفخ روح الحيوية

¹ شخصية يختص بسيرتها وأعمالها هذا العدد

² أستاذ مساعد مؤقت، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المالية الإسلامية، نيودلهي

والنشاط في العرب أيضاً، عندما أعلن القرآن أنه إذا وجد لديكم شك في أن هذا الكلام ليس بكلام الله، فأتوا بسورة مثله، ولم يكن ذلك أمراً كبيراً كما يبدو، ولكن شعر العرب بسبب مذاقهم، أيّاً كان السبب، بأنه ليس بإمكان الإنسان وقدرته على إتيان مثل هذا الكلام، فإنهم كانوا يسمّونه، متأثرين به، بسحر أو بكلام كاهن، ولكن أثر الكلام هو الذي قد وقع في عمق القلوب، ما هذا؟ وكيف تولد هذا الأثر، لم يحدث تحليله الفني في العصر البدائي، ولم تكن هناك أية حاجة إلى ذلك، لأنّ كل شخص كان يعترف بذلك، وكان يشعر بذلك بسبب مذاقه الطبيعي. وبعد قرن من الزمن بعد عصر البداية، عصراً لترويج تعاليم القرآن وانتشارها، حيث أتى العرب بأنواع مختلفة من أسلوب البيان الأدبية وبتنوع الجمال وبنوع جديد لنظام الحياة، وبطريقة جديدة لكسب المجد والفضل، كما ركّزوا على تحصيل وتحليل رسالة حافلة بالحياة والحيوية، وقد عني أولاً، بجمع وتدوين قواعد النحو وجمع كلام العرب وآلاف من الأشعار والتعابير لفهم الكلمات القرآنية ولنقدّها على أساس كلام العرب. ويأتي أصحاب اللغة والنحو ضمن هذه الفئة.

وجاءت المرحلة الثانية التي بدأ فيها النظر في أسباب الإنجاز القرآني. وظهرت أول ثمرة لهذه الشجرة في شكل "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى الثقفي (ت 209هـ)، وأشار في هذا الكتاب إلى بعض الكلمات والتراكيب التي استخدمها القرآن الكريم في المعنى المجازي بدلاً من المعنى الحقيقي، ولكن لم يكن آنذاك تصور عن معنى المجاز الاصطلاحي.

وبعد ذلك، يبرز اسم عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ المتوفي 255هـ. والجاحظ أول من تحدّث بالتفصيل كإله بالفن عن أسباب جمال الكلام وربط الكلمة معانيها وأهميتها المستقلة. ويعتبر كتابه "البيان والتبيين" حلقة هامة من هذه السلسلة. وأوضح الجاحظ أنّ المعنى ليس له أي أهمية بذاته ما لم يكن استخدامه مناسباً، وإنما

الفصاحة والبلاغة اسم لهذا الاستعمال الجيد. وفي تعبير آخر، بدأت تبرز ملامح نظرية نظم الكلام.

وَأَلَّفَ ابن المعتز المتوفي 296هـ، كتاب البديع، وقَدَّم إسهامات قيمة للغاية فيما يخص بالأنواع والنقاط الأخرى التي تتعلق بعلم البديع وتعريفه وفائدته. وعبد الله المعتز هو موجد علم البديع. وكان تبذل هذه الجهود كلها لفهم وتفهم الإعجاز القرآني، حيث كان ينشأ علم هام وقابل للتقدير بشكل غير شعوري. وكان يتم إحياء الكلمات واللهجات والتعابير والألفاظ النادرة والغريبة التي كانت على وشك العدم، من جديد، وذلك من خلال جمعها وحفظها في الأوراق القديمة والكتب، وكان قد ظهر كل ذلك بفضل القرآن الكريم.

ثم كتب قدامة بن جعفر المتوفي 337هـ، كتاب نقد الشعر وكتاب نقد النثر، مما أضاف لبنة في هذا المبنى، ومن أهم إسهاماته أنه حاول إفهام نظام البيان لأول مرة، من خلال تصنيف علم البيان إلى أربعة أنواع. وذلك اعتباراً، اعتقاداً، عبارة، وتحرير. وبعد ذلك أوضح هذه الأقسام الأربعة، فيما أورد التشبيهات، والاستعارات، وحذف العبارات، وأسباب التقديم والتأخير وكذلك أثرها على حسن الكلام كما تحدّث عن محاسن الشعر وعيوبه، وضوابط النثر وعناصره، حديثاً ممتعاً.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ فن النقد قد تأسس ضمن علم البلاغة، وتحوّل فن البلاغة هذا تدريجياً إلى فن النقد، وبعبارة أخرى أنّ النقد الأدبي ظهر من خلال تدوين أصوله وضوابطه في شكل مستقل، لذا فكتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي الجرجاني المتوفي 366هـ، أول محاولة ناجحة في مجال نقد الشعر. كما تعدّ كافة الجهود التي تتمثل في "كتاب الصناعتين" لأبي هلال العسكري المتوفي 395هـ، وكتاب "إعجاز القرآن" للباقلاني المتوفي 403هـ، و"العمدة في محاسن الشعر" لابن رشيق القيرواني المتوفي 456هـ أشكالاً متدرجة لنفس السلسلة.

وتحدّث كلّ عن نقد الشعر والنثر ضمن بلاغة القرآن، ولكن لم يتقرر بعدُ لم يمثّل القرآن الكريم معجزة ولماذا يفوق ويمتاز عن الآداب الأخرى، إذ يرى الأحاد الإعجاز في الألفاظ، بينما يعتبر الآخر المعاني معجزة، وكانت مجموعة تعتبر نظم العبارة هو السبب للإعجاز. ولكن هذه الأسباب كلها وجدت في كلام الآخرين ولو بأقل درجة من القرآن الكريم.

ومن أهم أعمال عبد القاهر الجرجاني أنه أمعن النظر في نظريات وأفكار المتقدمين، ثم قام بترتيبها وقدمها بشكل واضح أصبح مؤسساً لنظريتين مستقلتين في علم المعاني وعلم البيان.

وتقسيم علم البلاغة إلى ثلاثة أنواع مستقلة: المعاني والبيان والبدیع، مما قام به الجرجاني كما سبق، وكان هنا طبقة كانت ترى سرّ إعجاز القرآن في حسن اللفظ وحسن المعنى، وتسميه بالفصاحة. كما كانت الطبقة الثانية اعتبرت نظم العبارة معجزة، حيث أنّ الجاحظ كان قدّم هذه النظرية لأول مرة، وكانت الطبقة الثالثة التي اعتبرت الفصاحة مرجعاً للإعجاز، إذ شمل تعريف الفصاحة، عندها، مفهوماً أوسع. مما يعني أنّ انتخاب اللفظ والمعنى وما ينتج عنه من الأشكال البيانية ليس بفصاحة فحسب بل تشمل الفصاحة عندها كلّاً من الأسلوب، والأداء، واستخدام التراكيب النحوية أيضاً. وأولى الجرجاني بأهمية خاصة لهذه الفكرة ضمن نظريته الخاصة للنظم، وذلك موقفه من تعريف الفصاحة. ويمكن القول باختصار أنّ الجرجاني يرى أنّ اللفظ ليس له أيّ تدخل في الفصاحة والبلاغة والترتيب وتركيب العبارة وحسن الأداء، بل أنّ كلّاً من حسن ترتيب الألفاظ، وحسن انتخابها وفوق ذلك استخدامها المناسب، يمثّل روح الفصاحة، ويكتب: "وهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافة: قلقة ونابية

ومستكرهة" إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معنهما، وبالقلق والنبوّ عن سوء التلاؤم، وأنّ الأولى لم تلقِ بالثانية في معناها، وأنّ السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتالية في موادّها؟".

وبهذا، أوضح الجرجاني أنّ الذين يركزون على المعنى في الأدب، ويعتبرون عمق المعاني وروعها كميّاراً للحسن والقبح، هم بعيدون عن الحقائق كل البعد. إلا إذا نشأت ندرة بسبب الاستعارة فذلك أمر آخر. والأخير مذهب ابن قتيبة الذي رفضه الجرجاني بشدة. وبالجملة فلا يكون اللفظ وحده مؤثراً في البلاغة ولا المعنى وحده بل لكليهما موقع.

خلاصة القول أنّ الإعجاز القرآني يأتي من معانٍ تم فيها نظم الألفاظ بتركيب خاص أو ما يضمن حسن الأداء بكونها مربوطة ومنسجمة معاً. ويقال في نفس الوقت، إنّ الصورة البيانية تظهر من التركيب والأسلوب معاً. وذلك يعتبر جزءاً من نظم العبارة. وأضاف الجرجاني قائلاً: إنّ الذين يعتبرون بأنّ الفصاحة محدودة بالألفاظ وإنّ الميزات التي يؤيدون من خلالها أهمية اللفظ إنما هي بالواقع ميزات المعنى. لذا نرى أنّ الميزات مثل التصوير، والحلاوة في البيان، والمعنى الجميل، هي التي ليست لها علاقة باللفظ إنما لها علاقة بالمعنى، الأمر الذي يتم تحوله إلى اللفظ بخطأ. ويقول دعماً لنظريته: إذا كان الإعجاز القرآني في لفظ مفرد فذلك كل ما كانت تستخدم قبل نزول القرآن الكريم، وإذا كان في المعنى، فعناه أنّ القرآن استخدم الألفاظ في معنى آخر بدلاً من المعنى اللغوي الذي تم وضعه. وذلك خطأ واضح، إذ أنّ الاستعارات لها تداخل في الإعجاز القرآني. وذلك لا يقتصر عليه لأنّ القرآن كله ليس في الاستعارة". ولا يرى الجرجاني أنّ الغرض من المعنى ليس ما تم وضعه مقابل أيّ لفظ، إنما المعنى الذي يكون مدلولاً للفظ استخدم لاستعارة، كناية، وتمثيل أو أيّ لفظ استعمل لغير معناه الحقيقي. واعلموا الآن أنّ اللفظ له أثر ونفوذ

في الفصاحة بشرط أن يخلق جمالاً في الصورة البيانية والتصوير الذهني، لذا نرى أنّ كل ميزات فصاحة اللفظ مثلاً السلاسة، وسهولة الأداء والحلاوة وغير ذلك، تعتبر جزءاً من الفصاحة. ولكن هذه الفصاحة ليست بما نسميها معجزة قرآنية لأنها بإمكان كل من البشر. فأتضح أنّ فصاحة القرآن ليست في اللفظ ولا في المعنى ولا في نظام أو نظم الكلمات المعروف بيننا.

نظرية النظم لدى الجرجاني: قام الجرجاني بتأليف كتابين: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة في هذا الموضوع، ولا يمكن استيعاب مبحث يحتوي على آلاف صفحة، في صفحات معدودات. واعلموا باختصار، أنّ الجرجاني حاول إفهام الإعجاز القرآني ومن ضمنه الأدب الجيد، على نحو بأنه ما لم ينطق بشيء يبقى فكرة، وتستخدم الألفاظ للتعبير عن هذه الفكرة. واللفظ مجموعة الحروف، وتكون جملة بجمع وتركيب ألفاظ عديدة، ولكل لفظ معنى يخص به، نسميه معناه اللغوي. وفي بعض الأحيان تحت ألفاظ كثيرة لمعنى واحد، وهذا ما نسميه الترادف. ولكن في الحقيقة ليس الترادف بشيء، بل لكلمة معنى خاص. والآن يجب عليك أن تنتخب لفظاً للتعبير عن كلامك، يكون أنسب مع فكرتك الخاصة، كما يجب عليك أن تختار كلمات أخرى لتكمل بها كلامك.

وذلك سلسلة من الألفاظ كلها تم ربطها تحت قواعد النحو والصرف. فينبغي أن يكون كل لفظ متناسباً مع سابقه ولاحقه. أي قدر ما يكون الحرف الأخير من اللفظ السابق منسجماً مع الحرف البدائي من اللفظ القادم يساعد في سلاسة أداء اللفظ بسهولة. الأمر الثاني ما هو مكان هذا اللفظ في الجمل أي تأليف اللفظ. وكلاهما له أثر بالغ في حسن الكلام وقبحه. وهذا هو حسن النظم بأنه قدر ما يتم الاهتمام بذلك ستكون العبارة فصيحاً أكثر. ولكن هذه الفصاحة ليست بالإعجاز القرآني، وإنما تكون ناصرًا فيه أي أنّ الجرجاني يرى أنّ نظم العبارة ليس تلك فقط.

وهو يقول إنه يمكن التعبير عن حديث واحد في ألف تعبير مراعاة بقواعد النحو والصرف، يعني أنّ التعبير قد يكون مختلفاً، وتأتي كل طريقة البيان أو الأسلوب بموجب تركيب نحوي وصرفي، وتبرز صورة ذهنية جديدة من كل طريقة.

كما كتب الجرجاني جملة واحدة "زيد قائم" في خمسين عبارة تركيباً، وأفهم من خلال استخدام هذه الجمل الأخرى في تراكيب متعددة، كيف يتغير المعنى بتغير التركيب، ونصرف النظر عنها خشية الإطالة. فإنها تحتاج إلى كتابة مقال مفصل. على كل حال، تبين من تلك أنّ التراكيب النحوية لها مكانة وأهمية في تأثير الكلام تماماً، وفي تعبير آخر يمكن القول إنّ التنوع في استخدام التراكيب النحوية المختلفة والتوسع الجزئي في القواعد والأصول تم اختياره لأجل ضبط هذه التعبيرات. ولأجل هذا وضعت الأصول. الكلام يقتصر على الاسم والفعل والحرف. وتكون الجملة بهذه الأجزاء، ويتواجد الكلام من خلال الجمل، لذا ربط الجمل بموجب التركيب النحوي المناسب على نحو يخطر به على البال صورة جديدة، مما يسمّى النظم، بحيث أنّ الكلام يصدر منك، ويخلق التصوير في ذهن القارئ.

علماً بأنّ التصرفات المختلفة في كل تركيب نحوي مثل التقديم والتأخير، والحذف والزيادة والتكرار والحصر، والإضمار والإظهار واستخدام الحروف مثل الشرط والجزاء والاستفهام، تتمثل في الأصول التي تخلق هيئة خاصة في الذهن، مما يمثّل تصويراً ورسمياً إضافيين علاوة عن المعنى اللفظي. وإنّ البراعة في استخدام التراكيب النحوية والصرفية تسمّى نظماً وهو يساعد في تقديم أسلوب خاص والروعة المعنوية أو رسم الصورة. ويمكن سرّ الإعجاز القرآني في هذا النظم. واقروا ما يلي من البيت الأردوي كمثال:

دلِ ناداں تجھے ہوا کیا ہے آخر اس درد کی دوا کیا ہے

ترجمة: أيها القلب الغافل: ماذا ألم بك --- فما هو الدواء لهذا الوجد؟

ويمكن استخدام هذا البيت في التراكيب المختلفة، مثلاً:

1. (اے) نادان دل تجھے کیا ہوا ہے۔ اس درد کی آخر کیا دوا ہے (في صورة النثر)
2. دلِ احمق/بودا/ تجھے ہوا کیا ہے، آخر اس درد کی دوا کیا ہے۔
3. کیا ہوا ہے تجھے دلِ نادان، آخر اس درد کی دوا ہے کہاں۔
4. دلِ نادان تجھے ہوا کیا ہے، اس مرض کی بہلا دوا کیا ہے۔

قدّمت أربعة تراكيب، ويمكن أن تأتي بتراكيب أخرى غير هذه، ولكن بإمكانك أن تحكم بدون تحليل وبمجرد ذوقك الشعري أنه لا يوجد ذلك الجمال الموجود في البيت الأصلي في هذه التراكيب كلها. تفكر ما هو السبب في ذلك؟ في المثال الأول حول الشعر إلى النثر، فلون فقدان النظم هذا النثر بلون العيادة غير المرغوب فيها. فلا توجد لهذا النثر قيمة أدبية، وفي المثال الثاني استخدمت كلمة "أحمق" أو "بودا" مترادفة لكلمة "نادان"، ولو أنّ كلا اللفظين ليسا غير فصيحين من ناحية المعنى اللغوي، فقد قال غالب نفسه: "غم كھانے میں بودا دلِ ناکام بہت ہے". فاقراء بـ"غم كھانے میں نادان دلِ ناکام بہت ہے". فلو لا تجد دوراً خاصاً للانسجام الصوتي هنا، ولكن له تدخل ما. والحقيقة أنّ صفة القلب "نادان" نفي للفعل "دانستن" شيء فطري. فالقلب لم يخلق للمعرفة والفهم إنما هو مضغّة لحم. بينما الأحمق له صلة بتعطّل قوة التفكير أو للضعف المفرط. لذا اعتبره صفة للقلب عمل من الغاوة والسفاهة، لذا أنت ستفهم ماذا يطرأ عليك بعد قراءة "دلِ احمق"، وقد تكرر جوّ الشعر كله بسبب استعمال هذا اللفظ الواحد في موقع غير مناسب. وفي المثال الثالث، قدّم الاستفهام ولم يُغيّر الوزن. وبحسب قواعد اللغة الأردوية تأتي أداة الاستفهام قبل الفعل. ولكن حينها يراد بها الاستفسار عن أيّ شيء فكأنك تسأل القلب أن يخبر على الفور بماذا أصابه؟ ففي

جانب قلّ هذا التعبير من شأن تركيب القلب السفيه وحسنه، وفي جانب آخر قد تلاشت الصورة الخيالية للرحمة، والتعاطف، والعجز والعلاقة القوية للغاية، والتي كانت تتجلى من أصل الشعر، حيث أنّ السؤال الموجه إلى القلب الغافل بهذه الطريقة بمثابة السؤال الموجه إلى الطفل المريض البالغ من العمر سنة واحدة، بأن يخبر ماذا حدث معه. ولعلك تحس بقبح الصورة المعنوية بشكل جيد، ولكن إذا غيرتم لهجتكم فيمثل هذا السؤال نفسه غضباً وتضيقاً. وقد نشأ هذا الفساد كله بمجرد تقديم الاستفهام بينما خلق بلاغة نهائية بمجرد تأخير السؤال فتفكروا معنى "كيا هوا هے" و"هوا كيا هے". فالشرط الثاني لهذا البيت، في شكل الاستفهام المنكر، ينادي عن عدم علاقته وغنائه. وإذا أردت أن تقول هذا الكلام، فعليك أن تحدث به في البيت، لما أردت التذليل علناً، وفي التعبير الأخير، استخدم "دوا" مقابل "مرض". وهذا الاستعمال أقرب أصلاً. ولكن نظراً إلى محلّ الاستعمال، كلمة "درد" أنسب من كلمة "مرض"، وإضافة إلى ذلك، ثمة أمر يستحق النظر فيه، بأنه إذا تم استخدام كلمة "مرض" فإن كلمة "آخر" التي تناسب مع كلمة "درد" في الوزن، لا يمكن استخدامها. وقد ظهرت كلمات العجز، والجهد الجهد ثم مجيء خيبة الأمل، وعقد العزم الضعيف على بقاء فعال، كلها بسب استعمال كلمة واحدة وهي "آخر" فقط. وقد رأيت أنه لا يمكن تغيير أية كلمة للشعر ولا يمكن أيّ تصرف مفيداً في ترتيبه.

اقروا مثال الفعل والشرط والجزاء:

ستونِ دار پہ رکھتے چلو سروں کے چراغ جہاں تک یہ ستم کی سیاہ رات چلے

ترجمة: ضعوا مصابيح من رؤوسكم على عمود الصليب ولا تنوا --- حتى تتجلي هذه الليلة الليلاء من الظلم والعدوان.

الرسالة التي ينشرها جو الشعر الكلي وبالشدة التي نراها، يمكن وجود سرّها في

استخدام ألفاظه بعيداً عن معانيها اللغوية. وهذا ما يعتبره الجرجاني معنى إضافياً، ف"مصاييح الرؤوس"، "عمود الصليب"، و"اللية الليلاء من الظلم" تمثل صوراً فكرية من الجوِّ المجموعي، تولدت بسبب ترتيب الألفاظ الملائمة وتزيد فيها كل كلمة من قيمة الأخرى، ولكن التركيب النحوي الذي استعمل لربطها ببعض، ألقوا نظرة عليه، فاستعمل مجروح "ركهتے چلو" (الأمر الاستمراري). غيَّره بالفعل المضارع "ركهیں گے ہم" (سنضع)، تفكروا تجدوا ماذا حدث تغير طفيف هذا. "ستون دار پہ رکھیں گے ہم سروں کے چراغ" (سنضع مصاييح من رؤوسنا على عمود الصليب). فيجب علينا أن نغيّر الشرط الثاني لأجل هذا التغير ولذا التغير أيضاً، لأنه في البداية كان الأمر يتعلق بالأمر وجوابه والآن يتعلق بمجرد الفعل. مثلاً أمسكوا بالمصاييح في أيديكم طالما يكون الظلام. وارفعوا سرايلكم إلى ما يكون الطريق متسخاً. فلا يمكنك أن تغير الجزء الأول بدون إحداث التغير في الجزء الثاني لأنّ الحكم ينحصر في الجزء الثاني. إذا أردت أيّ تغيير فمن الضروري أن يكون في التركيب كله. أي لا نزال نرفع سرايلنا ما دام الطريق متسخاً فأصبحت الجملة مكوّنة من الشرط وجزائه. إن تضرب أضربك. فهل نظرت كيف تلاشى حماس البيان وجبل العزم والإرادة في التركيب الأول فجأة. ولم يبق الشعر إلا تعبيراً ذا مستوى بسيط. تحمل ليلة الظلم في طيها ظلاماً إضافياً ولكن الشاعر اضطرّ إلى استخدام صفة "السواد" نسبة للشرط الأول، على كل حال، لقد نحنتم أهمية التركيب النحوي.

اقرؤوا مثلاً آخر لهذا العزم والهمة:

موجِ خون سر سے گزر ہی کیوں نہ جائے آستانِ یار سے اٹھ جائیں کیا

ترجمة: هل تقوم عن عتبة الحبيب حين نرى أمواج الدماء تمرّ من على رؤوسنا! لا يوجد في هذا الشعر لفظ لا يستخدمه الشعب في حياته اليومية ولكن تفكّروا في تصوير كلمات "أمواج من الدماء" و"تمرّ على رؤوسنا"، ولاحظوا في حصر معجزة

النحو في كلمة "أيضاً"، وبعد الاستفهام التقريري. وزد على ذلك، استخدام كلمة "هل" و"هل نقوم" في الشطر الثاني. اقرؤوا الشعر جاعلين "لم" في مكان "هل" فتحسون انعدام الشعر ناهيك عن حسنه وجماله. ويسقط الشعر من الثريا إلى الثرى في لحظة من البصر. والسبب ليس إلا وجود السحر في تركيب النحو والصرف.

ففي "لم" استفهام إنكاري يقدم استفهاماً بسيطاً في هذا الشعر فقد محت هذه البساطة شدة الشطر الأول. فالجوّ الذي وجد لشدة العزم في شعر مجروح بفضل تراكييب الألفاظ تزداد عند غالب أكثر فأكثر، والسرّ كله في تركيب الألفاظ التي هي خادمة للمعاني الذي يضمن شدة العزم النهائية. ولقد أراق غالب نفس الدماء في مكان آخر من ديوانه فقال:

جئے خوں آنکھوں سے پہنے دو کہ ہے شام فراق میں یہ سمجھوں گا کہ شمعیں دو فروزاں ہو گئیں

ترجمة: دع العينين لتجريا ذنوب الدماء إذ هذا مساء الفراق --- لا، بل أظنّ أنّ الشموع تزداد لهباً وحدة.

والفرق واضح جداً بين "آنکھوں سے پہنے دو" (دع العينين لتجريا) و"گزر ہی کیوں نہ جائے" (تمرّ على ---) فإنهما جوّان لو أخطأت في كلمة لوقع في ضلال بعيد، فمثلاً إذا قلت:

موجِ خون سر سے گزر ہی کیوں نہ جائے آستانِ یار سے اٹھ جائیں کیا

ترجمة: دع موج الدم يمرّ من على الرأس ولكن، هل نقوم عن عتبة الحبيب. فكروا هل تحبّون أن تعزوا هذا التركيب الشعري إليكم؟ ناهيك عن الشاعر العظيم غالب.

ولقد تحدّث الجرجاني عن الاستعمالات المختلفة للاستفهام بقدر من التفصيل. لنقرأ بيتاً للشاعر مؤمن:

کچھ قفس میں ان دنوں لگتا ہے جی آشیان اپنا ہوا برباد کیا

ترجمة: بدأت النفس تطيب بالقفس شيئاً قليلاً فهل أصاب عشنا الخراب؟

أمعنوا النظر في معجزة كلمة استفهام "هل"، فيرجع فضل حسن الجو الشعري كله إلى كلمة واحدة وهي "هل"، وقد بلغ حسنه إلى الذورة حينما أخرها، وإلا فإذا كان الشطر على ما يلي:

کیا ہوا بر باد اپنا آشیان

ترجمة: هل تمّ خراب عشنا؟

فلم تكن تلك الروعة في الشعر كما توجد الآن.

إذا وُضعت بعض أصول للنقد فلا بد تطبيقها، على حد سواء، في كل لغة وأدب. وعلى هذا فقد قدّمتُ الأمثلة من اللغة الأردوية بصرف النظر عن اللغة العربية.

وبجانب حسن التأليف وحسن الانتخاب لاحظوا أهمية تقديم الفعل وتكرار الكلمات في هذا الشعر لمخدوم محي الدين خضر:

دور محفل سے وہ گاتا رہا تنہا تنہا سو گیا ساز پہ سر رکھ کے سحر سے پہلے

ترجمة: ظلّ ينشد وحيداً طوال الليل كونه بعيداً عن المجلس، ولكن لما كاد الصبح أن يتنفس غلبه النوم، ورأسه على آلة الطرب.

فقد استخدم كل لفظ في هذا الشعر في معناه اللغوي، ولكن تفعل فيه معجزة التركيب فعلها، فتبرز من الشطر الأول صورة، وهي كاملة مكتملة بنفسها، وحدّث عما زاد انسجام الألفاظ حسن الشطر الثاني ولا حرج. ولكن لو أخرت "غلبه النوم" ثم جوّزت لها في وزن الشعر فسترى أنّ التصوير الذي برز من أجل التقديم لزال مع

زوال انسجام الصوت، وسيبقى الشطر كله خبراً محضاً.

سحر سے پہلے ساز پر وہ سر رکھ کر سو گیا

ترجمة: نام واضعاً رأسه على آلة الطرب قبل أن يطلع السحر.

وكم يخلق حرف للنفي سحراً في التركيب يمكن تقديره من بيت الفرزدق الشهير:

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

ولم أجد هذا السحر بعد إلا في الشطر الثاني لشعر فيض أحمد فيض الذي قال:

كررها تھا غم جہاں کا حساب آج تم یاد بے حساب آئے

ترجمة: كنتُ أعدّ اليوم همومَ الدنيا عدّاً، فذكراك أملتُ بي مراراً كثيرة.

وهل يمكن إحداث معجزة بإدخال حرف النفي على كلمة حساب أمرٌ خطر ببال أحد وهو فيض أحمد فيض. ولو كانت أسباب الأدب العالي من هذا النوع جودة الطبع، والحذاقة، والذوق الفطري، ولكن لا يمكن إنكار الواقع بأن الأسلوب رهين بالتراكيب النحوية والصرفية.

والشاعر مير تقی میر، الذي يعادل إنكار ألوهيته في الأدب الأردوي الضلال فالكفر. لنزن بيتاً له أو بيتين في هذا الميزان ولكن ضيق نطاق الوقت لا يسمحنا لذلك.

وأثناء الحديث عن التصرفات المختلفة في الفعل سلّط الجرجاني الضوء على تقديم الكلمات وتأخيرها وتكرارها وإعادة النفي وغيرها من الأنواع. وأوضح أنّ هذه الأنواع المختلفة كلها لم توضع إلا لإبراز المعاني الخاصة. ولنقرأ شعراً أردوياً:

وہ جس کو بھلانے کی، ہم نے رو رو کے دعائیں مانگی تھیں رات وہ اس کا یاد نہ آنا یاد آیا تو روئے بہت

ترجمة: مَنْ تضرّعتُ إلى الله أنْ ينسينيها لما تذكّرتُ بالبارحة أنْ ذكرها لا تلمّ بي

سكبت عيناى الدموع.

"تذكرت أنها لا تلمّ بي" جزء من التركيب رفع بالشعر إلى الثريا، ففي البداية، فاجأه فكرة أنه لا يتذكرها ثم تطوّرت هذه الفكرة في صورة مستقلة بكى عليها كثيراً. وإنّ تفكّر في هذا الاتجاه ثلاثي الجوانب من الشعر فسترى أنّ العامل الوحيد هنا إعادة الفعل والتكرار. ولقد حاول الشاعر بشير بدر أن يقول في هذا الموضوع فيقول:

تو بڑا رحيم و كريم ہے مری یہ دعا بھی قبول ہو اسے بھولنے کی دعا کروں تو مری دعا میں اثر نہ ہو

ترجمة: اللهم لا ترفض دعائي، إنك رحيم بي رؤوف، اللهم لا تستجب دعائي كلما أسألك أن تنسينيها.

فيشير لفظ "أيضاً" واضحاً في الشطر الأول إلى أنّ الشاعر قد مارس استجابة الأدعية قبل هذا الدعاء أيضاً. والآن هو يدعو ألا يستجاب دعاؤه. فإذا كانت ذكراه محبوبة لديه إلى هذا الحد بأنه يحب أن يعلقه بقلبه، فوجب أن يسأله في الدعاء الآخر. ما الذي دفعه إلى الوقوع في هذه المشكلة. أثار هذا السؤال لفظ "أيضاً" الوارد في الشطر الأول. أدعيتك مستجابة وأنت لا تنساه إذ تحبّ أن تنساه فلم لا تسأله إياه. ولا يوجد هذا النقص في شعر الشاعر مظفر حنفي، فإنه يدعو في البداية متضرعاً ليستجاب دعاؤه، ومن الواضح أنّ هذا الدعاء آخر سبب له.

ذكر الجرجاني في "أسرار البلاغة" سرقات الشعر وتوارده، وحاول أن يضع حداً فاصلاً بينهما. والأدب العربي ليس متنوعاً من ناحية الأشكال تنوع الأدب الأردني الذي جاء بفضل اللغة الفارسية. فهنا يبدأ كل شاعر قصيدته بشيء واحد، ولكن لا يعتبرونه توارداً ولا سرقة، وكذا عالج الشعراء مواضيع الشجاعة والسخاء وغير ذلك كثيراً. ولكن لم يتهم أحد بالسرقة ولا بالتوارد. وتم توجيه التهم كثيراً، ولكنها لم تثبت أصلاً. فهنا نوعية السرقة والتوارد ليست بما عندنا في الأدب الأردني. يعتقد الجرجاني بأنه يمكن قرض الأشعار في نفس الموضوع، لأنّ الخيال ليس ميراثاً

لأحد. ولكن نقل الخيال كما هو، أو استعارة الخيال في تركيب جديد سيء يسقطه من درجته ليس بصحيح. اقرؤوا مثاله في الأردوية، يقول الشاعر مير تقی میر:

عشق کرتے ہیں اس پری رو سے میر صاحب بھی کیا دوانے ہیں
ترجمة: هام فؤادك بتلك الحوراء ذات خدّ أسيل، قد ضلّ فؤاد مير ضللاً بعيداً.

عالج غالب نفس الموضوع بطريقته الخاصة:

چاہتے ہیں خوب رویوں کو اسد آپ کی صورت تو دیکھا چاہیے
ترجمة: يحبّ أسدُ نساءً بيضاً فهلا رأيتَ وجهك المظلم؟

وفي الأخير، أدّى الشاعر جگر هذا المعنى حسب طبيعته ومزاجه كما يلي:

میں اور آرزوئے وصالِ پری رزاں اس عشقِ سادہ لوح نے بہکادیا مجھے
ترجمة: أنا وأمنية لقاء الحور البيض، قد أضلني هذا العشق الساذج.

فرايت أنّ اتحاد الموضوع ليس بسرقة ولا أنّ نسميه بالتوارد، ولكنه ثلاثة أحوال منفصلة للطبيعة ظهرت في صبغاتها الخاصة.

تعتبر نظرية النظم للجرجاني اليوم النقد النصي، وهي نالت قبولاً حسناً في كلّ من الشرق والغرب، ولكن السؤال هنا: إذا لم يبلغ نص أدبي مستواه أو لم يتم تطبيقها عليه أو لم يحدّد أهميته فهل يفقد هذا النص أهميته؟ ردّ عليه بالنفي.

هذه أمثلة قليلة لنظرية النظم للجرجاني، ويمكن أن نجد نقاشاً مفصلاً عن الاستعارات، والتشبيهات، والإشارة إلى الزمور والنقاط، وأهميتها في نظم الكلام، في كتابه "أسرار البلاغة". إذا وجدت الفرصة فسأقدمها لقراءنا الكرام.

وطبع كتاب "دلائل الإعجاز" لأول مرة، تحت إشراف السيد رشيد رضا في عام 1321هـ من مصر، وطبع كتاب "أسرار البلاغة" لأول مرة من مصر في عام 1320هـ.

مؤلفات أخرى: اشتهر عبد القاهر الجرجاني في البداية كإمام مستقل لعلوم النحو واللغة، حيث عرف به معظم كتّاب التراجم والسير، وأما مهارته في فنون البلاغة والنقد فظهرت فيما بعد، وفيما يلي بعض أهم مؤلفاته:

1. كتاب شرح الفاتحة
2. درج الدرر في تفسير الآي والسور: يوجد ذكر هذين الكتّابين في التراجم إلا أنهما لا يوجدان.
3. المعتضد: هذا شرح لكتاب "إعجاز القرآن" لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي. واشتهر هذا الكتاب باسم "الشرح الكبير". ولم يتم العثور على طباعته إلى الآن.
4. الشرح الصغير: هذا الكتاب أيضاً شرح مختصر لكتاب "إعجاز القرآن" المذكور أعلاه. ذهب به الدهر ولم يبق الآن إلا اسمه.
5. الرسالة الشافية: قد طبع هذا الكتاب الذي يتعلق بالإعجاز القرآني، مع ثلاث رسائله في إعجاز القرآن.
6. الإيجاز: هذا الكتاب شرح مختصر لكتاب "الإيضاح" لأبي علي الفارسي، ولم يطبع هذا الكتاب إلى الآن.
7. المغني: هذا الكتاب شرح مفصل لكتاب "الإيضاح" المذكور أعلاه في 30 مجلداً. جاء ذكره في جميع كتب التراجم والسير المشهورة. ولكن لم يطبع الكتاب ولا أشير إلى وجود أي مخطوط له في مكتبة ما.
8. المقتصد: هذا تلخيص كتاب "المغني في شرح الإيضاح": تم تأليف هذا الكتاب في شهر رمضان عام 454هـ. ولم يبلغنا طبعه، ويوجد مخطوط للجزء الثاني منه في دار الكتب المصرية بمصر.
9. الجمل: هذا شرح "العوامل المائة" للجرجاني نفسه. طبع الكتاب من ليدن في عام 1917م، ومن كولكاتا في عام 1803م، ومن مصر في عام 1247هـ. وكتب له عدة شروح.

10. التلخيص: هذا تلخيص كتاب "الجل".

11. العمدة في التصريف: هذان الكتابان في علم الصرف ولم يطبعوا، وتوجد نسخهما الخطية في دار الكتب في مصر وتركيا.

وهناك كتب أخرى للجرجاني غير تلك لم تذكر كما يلي ولا طبعت ولا أشير إلى نسخها الخطية. وكان الجرجاني شاعراً قديراً ولكنه الآن مشهور كأحد مؤسسي فن البلاغة والنقد فحسب.

توفي الجرجاني في جرجان في 471هـ أو 474هـ، الموافق 1078 أو 1082م.

الغالب والمنتبي شاعران كبيران- دراسة مقارنة

- أ.د. فيضان الله الفاروقي¹

ترجمة من الأردوية: د. أورك زيب الأعظمي²

أسد الله خان الغالب (ت1865م) وأبو الطيب المنتبي (ت1965م) شاعران يختلف أحدهما عن الآخر لغةً وثقافةً ومجتمعاً، وظرفاً جغرافياً وجواً سياسياً. فكان الغالب شاعراً للأردوية ونال شهرة بكلامه الأردوي أكثر مما ناله بكلامه الفارسي بينما كان المنتبي شاعراً للعربية معترفاً بفضلته في قرض الشعر. كان غالب يقول الشعر بدلهي في عهد الثقافة الإسلامية للحكم المغولي المنحط، التي عمّ فيها عدم الاستقرار وشاع الزوال الثقافي والسياسي ففي جانب كان الحكم المغولي يلفظ نفسه الأخيرة وكان الاستعمار الغربي يبذل قصارى جهده بكل صولة وشوكة مستخدماً كافة أسبابه لدفع الهنود في الخمود الفكري والسياسي. شهد الغالب بعيني رأسه حرب 1857م للاستقلال وفي جانب آخر كان المنتبي يقرض أبياته في عهد العصر العباسي الذي كان الحكم الإسلامي يعتبر فيه قوة دولية فتوفي المنتبي في 354هـ بينما لما يلق الشمل السياسي الشنت فكان العالم الإسلامي يضجّ بذكر العلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء ومحققّي اللغة العربية وناقدي الفنون فكان كندة، مسقط رأس المنتبي، سنداً موثقاً به بالنسبة إلى صحة اللغة العربية. وباجملة فكانت دلهي في عصر غالب تصرّح بلسان حالها عن زوال المسلمين السياسي والثقافي بينما كانت الكوفة هي الموثوق بها في صحة العلم والأدب والفن ولنفهم من هذا أنّ كلّاً من توزّع الخاطر وقلة أسباب الحياة قد أحاط بغالب بينما قد جمع للمنتبي كلّ من الاستفاضة من

¹ شخصية يختص بسيرتها وأعمالها هذا العدد

² مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المالية الإسلامية، نيو دلهي

علماء اللغة والأدب وشتى أسباب كسب المعاش من خلال المدائح أي قد جمع له كافة أسباب الرخاء والتفكير ولو أنه لم يشبع من كليهما على السواء.

وقضية اللغة أيضاً ليست بهينة فكان المتنبي شاعراً للعربية ومهر بها مهارة فائقة وكذا من خصائص العربية البارزة أنها تحمل بين جنبها ذخراً لا ينتهي للمفردات والتعابير فستجد لكل ما أوجده البشر من المعاني لفظاً مستقلاً وللشاعر هذه نعمة ربانية لا تعدلها نعمة أخرى ومن الخصوصيات الأخرى المساعدة للشعر، التي تحملها العربية هي التنوين الذي يلعب دوراً بارزاً في صياغة الكلام حيث يصبح آخر حرف الكلمة كالنون ويختلط بأول حرف الكلمة اللاحقة بحيث يخلق إيقاعاً وجرساً جميلاً. بينما لا تتمتع اللغة الأردوية بمثل تلك السهولة، وكذا نالت القصيدة صدارة ومركزية في كل عصر للشعر العربي فيعبر الشاعر عن خوالج قلبه مدحاً وهجواً ورثاءً في صورة القصيد فلا يعتني هذا القالب الشعري بالرديف فقط بل لا يهتم بالقوافي كلفظ مستقل بينما الشعر الأردوي رصيده الغزلية التي يعرف بها الشعر الأردوي وهي أصعب أصناف الشعر صياغاً ففي جانب يراعى فيها كل من الرديف والقافية وفي جانب آخر يقدم في كل بيت منها مفهوم جديد وفي جانب ثالث وهو أهم مما سلف لا بد لكل بيت من أن يكون شعراً فلا يكون كلاماً موزوناً يحتفظ فقط بالقوافي ويراعيا. وكذا أن القصيدة، ولو شملت أربعة أجزاء، يعتنى فيها بشيء واحد مدحاً كان أو هجواً فإن وقع فيه شيء من الخلل فهو عيب للقصيدة فيجب على قارض القصيدة أن يتركز على شيء واحد وهكذا فتتوفر له تسهيلات جولات عديدة للغة والبيان بينما الغزلية تحرم هذه السهولة وكذا تتوفر لشاعر العربية سهولة أخرى وهي أنه مسموح لأنواع من التصريف في رديف الشعر فالحرف الأخير من الكلمة يقبل الضمة أو الفتحة أو الكسرة بشيء من الإمالة فيمكن مجيء أي كلمة على قواعد اللغة شريطة ألا تتغير الحركة فمثلاً في صورة الفتحة يمكن استخدام "نخبرينا" و"بنينا" و"ساجدينا" والحال أن الأول صيغة الخطاب للمؤنث والثاني صيغة الجمع للمتكلم والثالث صيغة جمع المذكر السالم في صورة حال وهكذا يكون مع الكسرة

والضمة فإن تغيرت حركة الحرف الأخير فهو عيب ويسمى "الإقواء" وعن طريق هذه التسهيلات يمكن للشاعر أن يعبر عن خاطرٍ بأساليب عديدة متنوعة بينما تحرم اللغة الأردوية مثل هذه المباحات وكذا يعمّ العربية محيىء الحرف الزائد لضرورة الشعر أو حسن البيان ولا يكرهون ذلك حتى أنّ فحول الشعراء يستخدمون الحروف الزوائد مثل "إن" و"ما" و"ذا" بينما يجوز في الأردوية استخدام الزوائد مثل "تو" ولكنها لا تستحسن ولذا يتجنبه فحول الشعراء فلم أجد في ديوان الغالب حرفاً واحداً لا مكانة له في الشعر وأما الحشو فلا يخطر ببالنا بشأنه ويمكن أن يعثر النقاد المدققون على حرف زائد استخدم في ديوانه ولكني لم أجد شيئاً منه وكذا تنقسم الحروف العربية في الشمسية والقمرية وهذا يفيد أنّ صوت اللام السابقة ينضمّ إلى الحرف اللاحق مثل "الشمس" و"الرحمن" وهي تفيد كذلك السلاسة والغناء بينما لا يتخلّل مثل ذلك في الأردوية وكذا يمكن توزيع الكلمة إلى جزئين وضمّهما في مصراعي بيت واحد وهذا عامّ بالعربية بينما لا يجوز بالأردوية وكذا يقوم التنوين بالعربية مقامَ جملة بالأردوية ولا تتمّ جملتها المفيدة إلا بكلمة أو كلمات كالجملّة الاسمية والحال والتمييز وما شابهها.

ولا نريد من هذا التطويل إلا الإشارة إلى أنّ شاعر اللغة العربية يتمتع من التسهيلات التي لا يحظى بها شاعر الأردوية أي قرص الشعر بالعربية أسهل من قرصه بالأردوية. نعم إنّ في الأردوية سهولة يمكن للشعراء أن يستفيدوا منها حسب قدراتهم وهي قواعد الإضافة الفارسية ولكن يشترط في ذلك أن تكون الكلمتان فارسيتين أو إحداها فارسية والأخرى عربية أو كلتاها عربية فإن كانت الكلمتان أردويتين أو إحداها أردوية والأخرى فارسية فلا تجوز إضافة إحداها إلى الأخرى، وأكثر الغالب استخدام هذه القاعدة وأجاد.

تمّ تقرير شعر المتنبي في المنهج الدراسي لمدارس الهند الدينية منذ فجر تاريخها فقد تمّت ترجمته إلى الفارسية والأردوية كما كثر التعليق عليه فقد عني علماء الأدب الهنود بالمتنبي وكلامه مما لا نراه بغيره من شعراء العربية كما برزت إلى حيّز الوجود

مؤلفات ورسائل عن المتنبي وكلامه ولكن هذا كله يتعلق بخلق السهولة في دراسة كلام المتنبي وتدرسه وذلك لأنّ كلامه يحوي ذخراً ملبوساً لمفردات العربية يُعينُ الباحث في فهم التفسير (القرآن) والحديث. ولكنّ لم أجد كتاباً صدر من قلم الهنود تناول كلامه بالبحث والنقد، أما المحاولات المعاصرة في هذا الصدد في صورة الكتب والرسائل فنجد فيها قلة التأمل ويشوبها المبالغة الشديدة حتى ادّعى بعضهم أنّ كافة شعراء الفارسية معترفون منه ولا تسأل عن الأردوية فهي وليد الفارسية والحق أنهم ما رعوا المتنبي حقّ رعايته ولا درسوا التراث الشعري الأردوي وعالميته حتى بدأ الباحثون في زماننا يعتبرون الغالب متنبي الهند وهذا ظلم عليه لا يغفره. فنجد أنّ العالم العربي لا يعرف الغالب البتة فالمقالات المعدودة التي كتبت بالعربية عن الغالب لا تلقي على الغالب إلا نظرة عابرة ومن بين تلك المقالات ما قام بكتابه الأدباء العرب ولكنّ يبدو من دراستها أنّ الكاتب لم يفهم حتى أبياته العامة السهلة وأما الوصول إلى محاسن كلامه فلا نرجوه منهم ... ولكنّ العرب كتبوا عن المتنبي وكلامه في كافة عصورهم وعن كافة الجهات ما لم يكتبوا عن غيره من شعراء العربية وبدأت هذه السلسلة من معاصري المتنبي وهي تستمرّ حتى الآن وقد أجمع النقاد والأدباء العرب على أنّ المتنبي أشعر شعراء العربية وأكبرهم وكذا تمتع الغالب من القبول العام في العالم الأردوي وكتب بها عنه ما لا يحظى به شاعر آخر غير العلامة إقبال فاعتبروا الغالب أكبر شعراء الأردوية ما عدا مير وفي أيامنا هذه اعترف العالم بأنّ الغالب شاعر عالمي كبير.

الغالب والمتنبي شاعران كبيران ولكن هناك تبايناً بين خلفيتي كليهما فإن كان الحديث عن فنهما فلا بدّ لنا من الاعتبار بأصول للشعر معترف بها على السواء يمكن لنا تنفيذها على كلا الشاعرين. وفي هذا يبرز أوّل سؤال عن ماهية الشعر ومتى وكيف يصير كلامٌ موزونٌ شعراً ولم لا يصبح كذلك ثم ما هو السرّ في عالمية الشعر، وقد تحدّث الناس في كلّ زمان عن ماهية الشعر ويجري هذا الحديث مع وجود

مختلف مذاهب الفكر عن الأدب. وأرى شخصياً أنّ مجموعة كلمات منظومة لا تثير وجدان القارئ أو السامع فالشاعر يتأثر بآثار الحياة والكون المتنوعة ثم يبلغ ذلك التأثير إلى القارئ في صورة كلمات، والأهم في ذلك النظر في مدى فهم الشاعر لحقيقة وتأثره بها ثم التأمل في وسائل الإبداع وأنواعه التي استخدمها الشاعر في هذه العملية فكم من تجربة فكرية تتخذ في دواخل الشاعر لعدم مقدرته على التعبير المطلوب فالذي يصل من قبل الشاعر إلى القارئ ليس إلا مجموع الكلمات فندرس ذلك المجموع ثم نقيم به سعة خيال الشاعر وعلو فكره ودقته وخلود الشعر وحصره في حدود الزمان والمكان أو تجاوزه تلك الحدود بمجرد النظر في طريق تعبيره فلاجل نفخ الشعرية في طريق التعبير يستخدم الشاعر عادةً الصنائع والبدايع تارة وأخرى السلاسة والإيهام والإيهام و و ولكن الشعر الذي يتم قرضه عن هذا الطريق لا يبلغ درجة الشعرية العليا فلا بد للشعرية العليا من صياغ الخيال في القلب اللفظي بحيث ثور صورة في ذهن القارئ ولذلك فهو يتوجه إلى الصورة البيانية أو الكلمات التي تفوق المعاني اللغوية العامة فتدلّ هذه الصورة البيانية على سعة خيال الشاعر ودقته وعمقه وسحر البيان ولكني لا أقول إنّ الصورة البيانية ضرورية للشعر إلا أني أقول إنّ الصورة البيانية نموذج أعلى للصياغ الشعري، تبرزه استعارات بديعة.

وإن سرحنا النظر على كلام المتنبي فيبدو لنا أنّ الشاعر حادّ ذهنه ومبدعٌ يبلغ إلى المعاني الدقيقة النادرة ثم يبينها بأسلوب تملأه المهارة فالكلمات التي يختارها تدلّ على الشوكة والأدب الأعلى ولا يترك أسلوباً لأجل السلاسة كما لا يعتني بالصنائع والبدايع خير اعتناء وفكرته عميقة سامية وملاحظته قوية دقيقة ويشوب كلامه الابتكار. إنه يعرف خيراً بأنه شاعر كبير حتى يحقّق الآخرين ويذلّ غيره من شعراء العصور. إنه يستخدم التشبيهات والاستعارات النادرة إلى حد لا يغني عنه المتأخرون من الشعراء فحين يريد المدح يخلط بالمبالغة ندرة يسبق بها من تقدّمه ومن تأخّر عنه وكذا لما يهجو يصمّم بذهنه الحادّ المبدع مساوئ المخاطب ويصوّر للمعايب تصويراً

يقعد البشرية حياءً ويثقل على الذوق السليم التلفظ بتلك الأبيات وعندما يقرض أبيات النسيب يسبق عمر بن أبي ربيعة في تصوير الهجر والوصال وعواقب العشق وسوء حال العاشق.

ولأجل فهم تفرّد المنتني ودرجته في الشعر يجمل بنا دراسة تحليلية موجزة للتراث الشعري لشعراء العرب القدامى وأساليبهم للتعبير.

يبتدئ شعراء العربية قصائدهم بذكر ما بقي من ديار الحبيب وذكرها وإعادة ما جرى معها. أبدع امرؤ القيس هذه الطريقة ثم تقبلها الشعراء بقبول حسن حتى جعلوها فاتحة لقصائدهم فما قاله امرؤ القيس في هذا الباب كان مصطبغاً بصبغة الشعر إلى حد لم يبلغها المتأخرون من الشعراء في لطافة اللغة ودقة البيان ولتنقل بيتين من قصيدته يشتملان على الوقوف بديار الحبيب والبكاء عليها والخطاب مع ما بقي من الديار وطول سلسلة الذكريات القديمة:

وقوفاً بها صحي عليّ مطيهم يقولون: لا تهلك أسى وتجلّ
وإنّ شفاي عبّرة مهراقة وهل عند رسم دارس من معول
أي العاشق المارّ بالديار يبكي ويبكي وأصحابه يحاولون أن يعزّوه كيلا يهلكه الهم والغم
ويصبر صبراً جميلاً ولكنّ العاشق يعرف الواقع فهو يقول: لعلّ مرضي يشفى حينما
تصبّ عينيّ الدموع، والحال أنّ البكاء في هذا الخراب لا يعود بفائدة.

لم يبلغ المنتني هذا المفهوم ولكنّ أوجد فيه معنى لم يخطر ببال القدامى فهو لا يبكي على الخراب ولا يهتمّ به على الالتزام بل يودّ أن يسمع ذكريات الماضي وأهالي الديار بلسان الخراب فهو يكلمه وعندما لا يحور أيّ ردّ منه يغضب قائلاً:

ملث القطر أعطشها ربوعاً وإلا فاسقها السمّ النقيعا
لحاه الله إلا ماضيها زمان اللهو وانخود الشموعا

وبعدما قرض أبياتاً جيدة مليئة بالتشبيهات النادرة يسقط كعادته من السماء إلى الأرض ويصف جسد الحبيب السمين قائلاً:

ذراعاها عدوا دملجها يظن ضجيعها الزند الضجيعا
فن كانت ذراعاها كما وصف فماذا يكون إذن جسدها ومن عجيب الظرافة أن
العاشق، على حدّ قوله، نحيف إلى حدّ إن وقع في شقّ لسان القلم فلا يؤثر في تحرير
الناسخ وهبّ ماذا يحدث به إذا مال إليه الحبيب ولو مرة واحدة. يبدو من عميق
دراسة نفسية المتنبي أنه لم يكن سيئ الذوق بل كان يقرض مثل هذه الأبيات بوعي
منه وشعور ولا يعتني بالقراء والحضرة.¹

جرّني الحديث إلى موضوع آخر فلقد كنت اتحدّث عن إبداع المتنبي. اقرأ بيتاً لأبي
تمام الذي يقول:

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتنق الله سائله
أي الممدوح جواد إلى حدّ يهب نفسه إذا لم يجد شيئاً للإنفاق فليتنق السائل الله ولا
يسئله شيئاً.

يقول المتنبي:

يا أيها المجدي عليه روحه إذ ليس يأتيه لها الاستجداء
احمد عفاتك لا فجعت بفقدهم فلترك ما لم يأخذوا إعطاء
فقد أبدع المتنبي معنىً غريباً ففي البيت الأول ذكر العطاء العام الذي ينتهي إلى

¹ مدافعاً عن المتنبي في كتابه الشهير "الوساطة بين المتنبي وخصومه" نقل القاضي علي بن عبد العزيز
الرجزاني أبياتاً لحيد بن ثور وطرح سؤالاً: إذا كانت تلك الأبيات مقبولة في السمانة فلم لا تقبل
أبيات المتنبي هذه ولكن القاضي قد نسي تماماً أن حيد بن ثور قد قرض تلك الأبيات في هجو
السمانة بينما كتبها المتنبي في مدحها. (الأستاذ الفاروقي)

وهب النفس ثم يبدو من البيت الثاني أنّ السائلين يحبّهم الممدوح إلى حدّ يهتمّ ويحزن إذا لم يزوروه فأرى أنه نهاية في تعبير الجود والسخاء فلم يبلغه شاعرٌ غيره فيما بين شعراء العربية فعجز البيت الثاني لإعجاز في شكل الشعر أنه أورد معاني كثيرة بكلمات سهلة موجزة أي كلها تركه السائلون فهو عطاءٌ لك من قبلهم فلقد كان المتنبي قرأ كافة التعابير التي استخدمها القدامى ومن ثمّ جاء بشيء جديد وهذه هي ميزة المتنبي.

يذكر شاعرٌ عربيّ نخافته لأجل همّه اللاحق به من العشق فيقول:

ذاب فلو زجّ بجسمانه في ناظر الوسنان لم ينتبه
بين المتنبي هذا المعنى كما يلي:

كفى بجسمي نحولاً أني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني
فكأنّ الصوت هو الدليل على وجود الجسد وإلا فلا. ويقول في موضع آخر:

ولو قلم ألقيتُ في شقّ رأسه من السقم ما غيّرتُ من خط كاتب
وقد ذكر القاضي الجرجاني مئات من أبياته في "الوساطة" كما زادها الثعالبي في "يتيمة الدهر" بعدما نقل نظريات ومختارات الجرجاني فنقل من أبيات المتنبي ما أصبح مثلاً سائراً. وكذا قام الدكتور طه حسين بدراسة مشبعة للمتنبي وتحدّث عن البواعث الخارجية التي لم يكن بدّ من تأثيرها على أشعار المتنبي فكّابه "مع المتنبي" شهير للغاية لا سيما في إيضاح نفسية الشاعر والأسباب الخارجية وراء قرضه لقصيدة رائعة وإشارة موجزة إلى جماله الأدبي وغيرها من الخصائص والميزات ولكن نشهد أنّ كلّ أديب وناقد من الجرجاني إلى الدكتور طه حسين والعقاد لا يقوم إلا بالدفاع عن المتنبي. فيقول القاضي الجرجاني:

"وأنت لا تجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من أبيات تختار معاني تستفاد ألفاظ تروق

وتعذب وإبداع تدلّ على الفطنة والذكاء وتصرف لا تصدر إلا عن غزارة واقتدار".¹
ويمضي قائلاً:

"ثم تعدّيت بهذه السمة إلى جملة شعره فأسقطت القصيدة من أجل البيت ونفيت
الديوان لأجل القصيدة وعجلت بالحكم قبل استيفاء المحبة".²

وهذا هو الحق فلا يخلو من العيب أحد من البشر وقد قام الصاحب بن عباد بتأليف
كتاب ضخم في الردّ على المنتني باسم "الكشف عن مساوئ المنتني" ولكنه مع ذلك
أجمعت العرب على أنها لما تلد شاعراً كبيراً كمثل المنتني.

وعظمة الغالب الفنية مختلفة في علوّ تحيّل وسعته ودقّته وإدراك أدقّ الحقائق فيما
يتعلق بالحياة والكون وعرفان نفسية البشرية وتعبير ألوف من هذه التجارب النفسية
في قالب شعري عجز عنه الآخرون إضافة إلى ذلك يعتبر الغالب من أعظم شعراء
العالم من ناحية تنوّع المعاني في أشعاره وإمكانيات كثيرة من جهة المعاني في فهم
وتفهم أشعاره. يقول الناقد الفدّ شمس الرحمن الفاروقي:

"واعتقد حتى الآن أنّ الغالب ليس من أكبر شعراء العالم فحسب بل هو فاق معظم
الشعراء الكبار في قرض الشعر الذي تكثر فيه إمكانية المعاني".³

وكان لدى المتأخرين من شعراء الأردوية مثال ونموذج من شعر الغالب ولكن لم
يستطع أحد منهم أن يقرض ولو غزلية واحدة على طراز الغالب مستوفية لتلك المكانة
الأدبية الفذة، ولو أنّ الأدب الفارسي قد خلق شعراء فاقوا الغالب في حسن البيان
ولطافة الخيال ولكن لا نجد من بين شعراء العربية من يبلغ شأوه (الغالب) في
تاريخها الطويل الممتدّ على خمسة عشر قرناً.

¹ الوساطة، ص 55

² المصدر نفسه، ص 77

³ تفهيم غالب، ص 23

الشعري يقوم بناؤه على الخيال الذي يبحث عن وسيلة للتعبير عن فكرة تجول في الخاطر فما كان مدى تفكير الشاعر أي مدى تعمق مشاهدته وتوسعه وإلى أي حقائق وصل هو ثم كيف صور تلك الحقيقة في خياله وأين تقوم وسيلته للتعبير عن تلك الصورة في مجال الأدب؟ فكأن المضمون والخيال والتعبير أشياء ثلاثة لا يستغني عنها الشعراء ولو انتموا إلى أي بلد أو ولدوا في أي زمان فيمكن لنا أن نقرر هذه الأشياء الثلاثة أصولاً مشتركة للمقارنة بين شاعرين من مختلف اللغات. وقد كتب عن فن الغالب إلى حد يمكن أن نسميه بمكتبة على حدة. وفهم فن كلا الشاعرين ابتداءً بنقل أبيات تتشابه معانيها فيعيننا تحليلها في الوصول إلى نتائج لم تعين من قبل.

فيقول المتنبي:

وكلّ طريق أتاها الفتي على قدر الرجل يخطو الخطا
أي يمكن تقدير عزيمة الإنسان وعلو همته بأفعاله وأعماله. يقول الغالب:

توفيق به اندازة همت به ازل سے آنکھوں میں وہ قطرہ ہے جو گوہر نہ ہوا تھا
فالتوفيق هو توفر الأسباب للفعل الذي يريد الإنسان أن يقوم به وهو لا يكون إلا حسب همة الإنسان وعزميته. هذا هو الواقع وهو يسري في أمور الدين كما يسري في أمور الدنيا، ومثاله مثال قطرة أنكر علو همتها كونها دراً صيرت دمعاً للندامة وأقيمت في العين.

للمتنبي بيت شهير في الافتخار بذاته فيقول:

الخليل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
فقد ذكر المتنبي الخيل والليل والبيداء لكثرة السفر كما اختار السيف والرمح للشجاعة والرجولة وبين القرطاس والقلم لأجل الشعر والأدب أي ذكر صفاته الثلاث في

صياغ شعري جيد وفوق ذلك ليست هذه الأوصاف عارضة مؤقتة فهذه المظاهر تعرفه معرفة جيدة مع كونها غير ذات روح وشعور وذلك بكثرة الاستخدام والممارسة فكأنه علاقة شعورية بين الشاعر وهذه المظاهر. ولو أنّ الشعر جيد للغاية ولكنه ضيق نطاقه. فانظر إلى الغالب الذي يخاطب الكون كله فيلفته إليه ويقول:

جام ہر ذرہ ہے سرشارِ تمنا مجھ سے کس کا دل ہوں کہ دو عالم سے لگایا ہے مجھے
فکأنّ كلّ ذرة من الكون كأس هي سكران من نحر أمنيّتها للعلاقة معي وإني قلبٌ
يتعلق بي ذرةٌ كلا العالمين، ولكنّ لمن هذا القلب الذي علّق بالعالمين؟ سؤالٌ لا ردّ
عليه. وهذا مما يلفت أنظارنا أنّ كلّ مظهر من مظاهر الكون يجذب ويميل بصفة
أودعت فيه فتفكر تتوّع الصفات التي ادّعى الغالب اتصافه بها، فيبدو كلّ من علوّ
الفكر وسعة الخيال وجمعها في الكلمات المحدودة من بيت الغالب هذا.

يقول المتنبي:

وإذا خفيت على الغبي فعاذر آلا تراني مقلة عمياء
ما زال المتنبي يشكو معاصريه بجانب شعوره القوي بتفوقه عليهم في الشعر، وفي
الشعر المذكور أعلاه ذكرت نفس الشكوى وكذا قال الشاعر الفارسي سعدي
الشيرازي فأجاد:

گر نه بیند بروزِ شپره چشم چشمه آفتاب را چه گاہ
لم يرد المتنبي في هذا البيت من هو غيبي في الواقع ولكنه سخر به من الشعراء
المعاصرين، أما الغالب فكان على ذروة الأدباء وكان يعرف تفوقه على المعاصرين من
الشعراء كما كان يعرف أنّ مكانة الشعراء المتقدمين دونه ولكنه لم يحقر أحداً من
المعاصرين أو المتقدمين أبداً وكان لا يؤمن بالإيذاء والإهانة. إنه كان يعرف كما ذكر
قيّمته ولكنه لم يقل إنّ الشعراء المعاصرين أغبياء وإنهم فاقدوا البصيرة في نقد الشعر

بدلاً من ذلك إنه جاء بمضمون نادر عمّ فيه الأغبياء والأذكياء بدون تعيين. اقرأ بيته التالي فتجد فيه تلك الشكوى الخالية من تحقير الناس مع أنه أعمّ مما قاله المتنبي فيقول:

آگهی دام شنیدن جس قدر چاہے بچھائے مدعا عنقا ہے اپنے عالم تقریر کا
ترجمة: مهما تفتش الیقظة شبكة الاستماع لا يقع فيها فحوى كلامي فهو كالعنقا لا
يقع في مثل هذه الشبكات لعلو طيرانه.

تأمل في ألفاظ البيت فهو مليء بعموم المعنى وسعة الخيال وندرة التعبير فهل بلغ
بيت المتنبي هذه الدرجة العليا من الفن. وبما أن العنقا طيرٌ مفروض لن يمكن وقوعه
في الشبكة فضبط فحوى عالم الخطاب أمرٌ لا يمكن ولن يمكن.
يقول المتنبي:

يا لائمي كفّ الملام عن الذي أضناه طولُ سقامه وشقائه
يلح من البيت شيء من الترحم والتعزي ولا نجد في المعنى شيئاً من الندرة وقد
تناول الغالب هذا المعنى فأخلده فيقول:

ضعف میں طعنه اغیار کا شکوہ کیا ہے بات کچھ سرتو نہیں ہے کہ اٹھا بھی نہ سکوں
ترجمة: لا شكوى لطنن الأغيار في شدة الضعف فإنّ الكلام (الطنن) ليس برأس
لا أطيع رفعه.

منع المتنبي عن اللوم ترحماً وأما الغالب فهو لا يعتني بطعن الأعداء ومثل هذا يقع
مع المحبة إذا كانت هي خالصة "لا يخافون لومة لائم". اقرأ عجز البيت فستجده
معجزة فيقول: ولو هو لا يقدر على رفع الرأس بسبب النحافة ولكنه لا بأس بطعن
الأغيار فإنه كلام ليس برأس لا يطاق رفعه.

يقول المتنبّي:

يشكو الملام عن اللوائم حرّه ويصدّ حين يلهنّ عن برحائه
فقد أبدع المتنبّي معنًى عجيباً بما أنّ العاشق يجري لومّه إلا أنّ حرارة العشق شديدة
إلى حدّ يتجنّب اللوم أنّ يبلغ سويداء القلب فيعود ويعتذر إلى اللائمين قائلاً بأنّ هناك
حرارة شديدة لا يمكن لنا الصبر عليها وبالجملّة فاللوم لا يمكن تأثيره في القلب لأنّه لا
يقدر على أنّ يدخل فيه. هذا معنًى طريف وله تعبير شعري وفيه تأويل عجيب لعدم
تأثير اللوم وقد تمّ فيه التركيز على حال شدة حرارة القلب التي لن يمكن للوم أنّ يقرّ
فيها. ورد في شعر الغالب هذا المعنى فرّعه به من الثرى إلى الثريا. يقول:

هے دلِ شوریدہ غالب طلسم تیج و تاب رحم کر اپنی تمنا پر کہ کس مشکل میں ہے
ليس في هذا القلب حرارة فحسب بل تجري فيه عملية كبح الهوى وجماحه مرة بعد
أخرى وأما الاضطراب فهو زائد عليه. تتمكن أمنيته في القلب الهائم فيما بين حراقة
العشق وأزیز الكوائف والتوتر واضطراب القلب. انفلت لوم المتنبّي وأما أمنية غالب
فقرّها القلب في كلّ حال من الأحوال وفي نفس القلب هناك حراقة وحرارة وأزیز
وتوتر فكيف بتلك الأمنية التي تغلّي غليّ البيضة في الماء الساخن فيلتمس الشاعر من
العشق الرحم على أمنيته. واللطافة في البيت أنّ الترحم على الأمنية هو نفس المطلوب.
أمامك معنيان عن حرارة العشق فاحكم أنت بنفسك أيهما أشعر بالنسبة للأسلوب
والصورة البيانية واختيار الكلمات وندرة المضمون فيما يتعلق بنيل المطلوب.

يقول المتنبّي:

وما كلّ مَنْ قال قولاً وفي ولا كلّ مَنْ سيم خسفاً أبى
أي ليس كلّ رجل مثلي في الإباء فالمعنى جميل وأسلوبه شعري كما أنّ بحره سلس
والبيت مليء بالعواطف الثائرة ولكن هل لا يمكن بشأن الإباء أنّ يتقدّم أحد

ويفوق هذا المعنى. اقرأ بيت الغالب التالي:

تشنه لب بر ساحل دریا ز غیرت جان دهم گر بموج افتد گمان چین پیدشانی مرا
ترجمة: إِنَّ خَيْلَ إِلَيَّ أَنَّ الْأَمْوَاجَ (المرتفعة) أَسَارِيرَ عَلَى جِبْهَةِ الْبَحْرِ فَأَمُوتَ مِنَ الْغَيْرَةِ
وَالْإِبَاءِ عَطْشَانًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ (فإنَّ أسارير الجبهة مركز الاستنكار والاستكراه).
تأمل رفعة الخيال فتعبير البحر بالناصية ثم تعبیر الأمواج المرتفعة فيه بالأسارير ومن
ثم الاستنتاج بأن سقايته من البحر يمكن ألا يسرّ البحر خيالاً دقيق ولطيف.
يقول المتنبي:

إنَّ المعين على الصبابة بالأسى أولى برحمة ربها وإخائه
العشق وما يلزمه عنصرٌ مشتركٌ للشعر الشرقي فتجد في كلّ مكان ذكر العشق والناصح
والواعظ واللائم وغيرها وقد ذكر المتنبي في بيته المذكور أعلاه الحقيقة أنّ الحال التي
يمرّ بها العاشق لا يستطيع اللائم فهمها فيزيد لومه العاشق ألماً فن يعزّي العاشق في
هذا الألم فهو الصديق المخلص له فيبت المتنبي مجردُ الخبر وإظهار الحقيقة النفسية.
اقرأ نفس المعنى لدى الغالب فيقول:

یہ کہاں کی دوستی ہے کہ بنے ہیں دوستِ ناصح کوئی چارہ ساز ہوتا کوئی غم گسار ہوتا
ترجمة: من أين هذه الصداقة فالناصح أصبح صديقاً لي، ليته كان أئيباً مؤانساً أو شافياً مخلصاً.
بدأ الغالب بالاستفهام يعني أنّ الناصح يخلص النصيحة ولكن هذه النصائح ليست بما
يقتضي الحال وفي عجز البيت يتنّى الشاعر بالمعين على الصبابة بالأسى ثم يذكر عجزه
وكيفيته المتزايدة للصبابة ولقد أتى بكل هذه الأحوال في بضع كلمات فاليست مليء
بالكيفية ويثير عاطفة الشفقة والرحمة بينما لم يتجاوز شعر المتنبي عن أن يكون خبراً
محضاً أو رأياً مختاراً.

يقول المتنبي:

لا تعذل المشتاق في أهوائه حتى يكون حشاك في أحشائه
حاول المتنبي أن يخلق معنىً جميلاً فيقول مخاطباً العاذل: لو وضع قلب العاشق في
صدرك فلا تعذله أبداً فستمرّ بما يمرّ به العاشق فأين العذل واللوم؟ وقد جاء الشاعر
الفارسي سعدي بما هو أجود منه فقال:

محاسب گر مے خورد معذور دارد مست را¹

ترجمة: لو طعم المراقب انخر لأعذر الأثيم المائد.

وقد أدّى الغالب، بادئ ذي بدء، هذا المعنى بأسلوب سهل فيقول:

عاشق ہوئے ہیں آپ بھی اک اور شخص پر آخر ستم کی کچھ تو مکافات چاہیے
فہناک فرق کبیر بین نقل کیفیتہ العشق وكون الواحد عاشقاً حقیقیّاً. مثاله مثال
رجل يعطى مائة ألف روية ورجل يكتسب هذا القدر من المال ففي المثال الثاني
يجب على المرء أن يمرّ بكافة المراحل وهو ليس عبارة عن نقل كيفية فحسب. الآن
يعرف الحبيب ما هو العشق فإنه نفسه خاض غماره.

لا ينتهي المعنى إلى هذه الغاية فعجز البيت يشمل معنى آخر مستقلاً بذاته وهو أن
الظلم الذي مارسه معي كحبيب ذوقه كعاشق الآن نخلق هذه المعاني في بيت واحد
مما يختص به الغالب ولا غير.

لقد أكثر الناس باتهام المتنبي بسرقة المعاني من الشعراء الآخرين ولكن تلك
السرقاات ليست إلا بنوع من الجدة والابتكار في المعنى. وهذا ما أدلى به القاضي

¹ صدر البيت:

قاضي آر با ما نشيند برفشاند دست را

ترجمة: لو جالسنا القاضي لأطلق سراحنا.

الرجاني والثعالبي وأثبتاه بالأمثلة ولكن ما قاله المتنبي نفسه في هذا المعنى هو خير مثال للابتكار والروعة الفنية، وهو كما يلي:

وهاجي نفسه من لم يميز كلامي من كلامهم الهراء
أي من لا يقدر على التمييز بين كلامي وكلام غيري من الشعراء فكأنه يهجو نفسه
أي هذا بعيد عن الذوق السليم. فكأنه يقرّ بفساد ذوقه ودناءة مائه. قرص المتنبي
أبياتاً عديدة في هذا المعنى فقد هزأ بمعاصريه مرة كما عارض القدامى مرة أخرى
فيقول في مكان:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فكلا بيتي المتنبي أجود ويعدّ من أبياته الرائعة ولكنه يتمّ عنهما تحقير الآخرين بل هو
أساس الشعر. وفي الجانب الآخر يعرف الغالب منزلته في مجال الشعر وهو أيضاً كان
يعرف الآخرين وعجزهم عن وصول مكانته وكما اتهم الغالب بسرقة المعاني ولكنه لم
يأت بأدنى مرارة أو شدة في لهجته أبداً فبدلاً من تحقير الآخرين إنه خلق معنى آخر
لطيفاً يختصّ به فيقول:

مبرّگان توارد به شعر منّ که دزد متاع من ز نهاں خانۀ ازل بر دست
ترجمة: لا تظن بشعري تراثاً مسروقاً لأنّ السارق (المتقدمين من الشعراء) اختطف
كلامي من خزانة الأزل.

فورود خیال معین فی اذهان الشاعرين وذكره یسمی توارداً ویسمیہ العرب السرقة
الشعرية بأنواعها وهذا عامّ بين الشعراء، أما نقل مضمون معین بدون أيّ جدة وابتكار
في المعنى فهذه هي السرقة فالتوارد ليس بعييب ولكنّ الغالب لا يحبّ حتى التوارد
فيقول: لا تظن بشعري توارداً أي إذا وافق معنى في شعري معنى القدامى فلا تظنوا
أنّي نقلته منهم بل كان ذاك متواجداً في خزانة العالم الأزلي فن سبّني سرقة من

متاعي فلستُ بسارق بل المتقدمون هم السارقون. هذا معنى لطيف ملؤه الظرافة.

يقول المنتني:

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني إن النفيس غريب حيثما كانا
أي لا يعرف الناس درجته ولا يعلمون آلاءه فأراد الشاعر أن يقول: إذا لم يعرفه
الأجانب فلا عجب فإنه غير معروف فيما بين أبناء وطنه وأفراد عشيرته فاقراً الشعر
وافهم معناه فقد قدّم الافتخار بنفسه والشعور الشديد بعلو كعبه في صورة خبر
فالتقص في شعر المنتني أنه يطلب التقدير على أساس معرفة مكانته الأدبية من الأهل
يعني الأب والأم والزوجة والابن والبنت وإلى غير ذلك من أعضاء الأسرة أو أهل
البيت والحق أن المطلوب منهم فقط الوداد والحب والاعتزاز به فإنه انحصر في أهل
الوطن مثل الأجانب لكان معقولاً وهذه الشكوى عامة لدى الشعراء العظام في كل
عصر ومصر فإنه يشعر بالجهل عن مرتبته، والسبب المعقول وراءه أن الناس لا
يصلون إلى ما يصل إليه عقله فنجد ذكر الوحدة والغربة لدى كل شاعر كبير وقد
ذكر الغالب معنى الغربة بأساليب عديدة تختلف عن أسلوب المنتني فاقراً ما يلي:

تھی وطن میں شان کیا غالب کہ ہو غربت میں قدر

بے تکلف ہوں وہ مشت خس جو گلشن میں نہیں

ترجمة: متى كان لي شأن وتقدير في الوطن حتى أتوقع التكريم في الغربة. أنا
كالخشيش المتبسط الذي ليس في القرن (يعني عند موقد النار الذي يعتبر كوطنه)
(تذروه الرياح من مكان إلى مكان).

وقال أيضاً:

نہ جانوں کون ہوں کیاں ہوں مگر صحبت مخالف ہے

جو گل ہوں تو ہوں گلشن میں جو خس ہوں تو ہوں گلشن میں

وفي النسخة الأخرى نقل صدر البيت كما يلي:

نہ جانوں نیک ہوں بد ہوں مگر صحبت مخالف ہے

ترجمة: لا أدري من أنا وما أنا ولكني أدري بهذا القدر أنّ المرافقة لا تلائمني فإن كنت زهرة فأنا لدى القرن وإن كنت هشيماً فأنا في البستان.

فالنكتة في البيت أنه لم يرحّج أحداً من الجانبين وهذا هو العدل ولكنه بفحوى الكلام يتعيّن جانب الخير للقاتل في مثل هذه الأساليب، إنه اتبع أسلوب القرآن الكريم كما ورد "إِنَّا أَوْثِيَّاكُمْ لَعَلَّيْ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ". (سورة سبأ: 24) وقال حسن بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

فشركا لخيركما فداء¹

وبالرغم من اعتباره كريم النفس فقد اعتبر الغالب نفسه كفّاً من الغناء ولم لم ينل الغالب قبولاً عاماً فإنه لم يشر إليه فقد سبّب هذا الإبهام احتمالات عديدة ومنها أنّ أبناء وطنه لم يعرفوا درجته العليا فإن حدث كذلك في الوطن فكيف له أن يأمل تقدير درجته في الغربة فالقرن الذي هو وطن الحشيش والغناء مجازاً أو حقيقة كان من الممكن أن يختلط في القرن بالنار فيظهر نوره المختفي في ذاته ولكنه لم نتج له هذه الفرصة فنجد في الشعر عدم الالتفات لأجل عدم المعرفة عاماً في الوطن كان أم في الغربة ولكن الغالب أوضح بإيراد كفّ من الغناء بأنه لو كان في مكانه المناسب لأمكن ظهور مؤهلاته وجداراته.

يقول المنتبي:

مَنْ يَهْنُ يسهل الهوان عليه ما لجرح بميتٍ إيّلام

¹ صدر البيت:

أتهجوه ولست له بكفاء

أدّى الغالب نفس المعنى كما يلي:

رنج کا خوگر ہوا انسان تو مٹ جاتا ہے رنج مشکلیں اتنی پڑیں ہم پر کہ آساں ہو گئیں
ترجمة: عندما يكون الإنسان معتاداً على الألم فلا يشعر به، وقد نزلت عليّ المصائب
إلى حدّ أصبحت هي الهوان عليّ.

أورد المتنبی نفس المعنى في ثلاثة أبيات له وهي:

رمانی الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء عن نبال
فصرتُ إذا أصابتني سهام تكسّرت النصال على النصال
وهان فما أبالي بالرزايا لأني ما انتفعت بأن أبالي
يقول المتنبی:

غدا بك كلّ خلو مستهأماً وأصبح كلّ مستور خليعاً
فمعنى الشعر يكون كما يلي حسب ألفاظها:

من كان خالياً عن جذوة العشق أصبح مستهأماً ومن كان يخفي عشقه خلع ستار
الإخفاء وبمعنى أقرب من كان لابساً خلع لباسه يعني أصبح فاطر العقل وتهتك في
الهوى. فالمعنى واضح وإليك اختيار الألفاظ وتركيبها. ذكر الغالب نفس المعنى بخيال
وسيع للغاية يدهش العقل بهذه الوسعة الفكرية فيقول:

حریف جو شش دریا نہیں خودداری سائل جہاں ساقی ہو تو باطل ہے دعویٰ ہوشیاری کا
تفکر کیف صور في صدر البيت أنّ الشاطئ جامد لا يتحرك بينما النهر في جنبه
يتوّج وهو أروع صورة لفظية لـ"خلو" الذي استخدمه المتنبی. عمّم الغالب هذا المعنى
فيقول: الساحل أبی لا يميل إلى النهر الذي حضنه ولكن إذا طغى النهر فلن يكون

الساحل حريفاً ومقابلاً له فيتهدم الشاطئ وينكسر كسرة كسرة وينحل وجوده في النهر فكذا حيثما كنت أنت ساقياً دعوى الصحوه باطله يعني لا يستطيع أحد أن يبقى على حاله.

ليالي المهجر والفراق موضوع عام لشعريات الشرق فقد أكثر شعراء العربية والفارسية والأردوية قريضهم فيها وكذا كان هذا موضوعاً خاصاً لشعراء العربية قبل المتنبي وقد حاول المتنبي أن يقدمه بأسلوبه الخاص ونجح فيه فيقول:

أحاد أم سداس في أحاد لييلتنا المنوطة بالتناد
فالشاعر يذكر طول ليل المهجر ويتخيل أن سلسلة هذا الليل الطويل تنتهي إلى قيام الساعة. ذكر امرؤ القيس هذا المعنى بأسلوب شعري جميل فيقول:

ويا لك من ليل كأن نجومه بأمراس تكان إلى صم جندل
اعترض مؤيدوا ومخالفوا المتنبي على بيته المذكور أعلاه من مختلف الجهات فيقول القاضي الجرجاني إن "نحاس" و"سداس" لم يجئ استخدامهما من قبل العرب فهم يستخدمون مجرد "أحاد" و"مثنى" و"ثلاث" و"رباع" و"عشار" وثانياً أن تلك الأعداد لا تعني إلا تكرار العدد أي "أحاد" يعني "واحداً واحداً" و"مثنى" يعني "اثنين واثنين" فصاعداً فاعتبار ليل واحد بـ "أحاد" و"سداس" خطأ فاحش ويمضي قائلاً: لو أراد المتنبي الإحاطة بالليالي السبع فهذا أيضاً لا يسوغ فإنه لو ضرب ستة في واحد لكان ستة ولا سبعة وإن أراد كثرة العدد فلم استخدم سبعة ولم استخدم عدداً أكبر من ذلك ثم اعتبار هذا الليل الطويل بـ "لييلة" خطأ آخر فهذا مصغر الليل. وأرى أن المتنبي أراد هنا مجرد طول الليل وقال إن إحدى لياليه طويلة إلى حد ينضم فيها ست ليالٍ أخرى وهكذا فيمكن توجيه سبع ليالٍ ولكنه يصعب إثباته من نص الشعر. ذكر الغالب هذا المعنى بكلمات صريحة كما يلي:

تا قیامت شبِ فرقت میں گزر جائے گی سات دن ہم پہ بھاری ہیں سحر ہونے تک
ترجمة: تنقضي (الحياة) في ليلة الفراق والهجران (الممتدة) إلى يوم القيامة. اشتدت
عليّ هذه الأيام السبعة إلى أن ينجلي السحر. إنه أتى بسبعة أيام مكان ست أو سبع
ليالٍ وأحاط بالزمان وفي صدر البيت أتى بليلة الفراق اعتباراً بها ككيفية مستمرة تمرّ
مع مرور الأيام والليالي وكلمة "سحر" هي استعارة عن الموت.

فما يبدو من بيت الغالب عموماً هو الهمّ والاضطراب واليأس بينما اضمحلّ بيت
المتنبی في أصول الرياضي المعقّدة وينتهي إلى خبر محض.

يقول المتنبی:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وشرّ المنايا أن يكنّ أمانيا
البيت مؤثر للغاية وجيدّ بالنسبة إلى موضوعه فإن أصبح الموت طيباً فيمكن لنا تقدير
شدة المرض وظلمه ويزيده المتنبی بما أنه لو أصبح الموت أمنية فيمكن لنا فهم مدى
صعوبة الحياة. أدّى الغالب هذا المعنى بكلمات وجيزة للغاية فيقول:

مختصر مرنے پہ ہو جس کی امید نا امیدی اس کی دیکھا چاہیے
ليس الغالب شاعراً قنوطياً فهو يعرف كيف يعيش مواجهاً مصائب الحياة فالحقيقة
التي تمّ إيضاحها في هذا البيت هي عين ما ذكرها المتنبی إلا أنّ في بيت الغالب زيادة
وهي أنه جعل البيت إنشاءً بينما بيت المتنبی خبر محض. ويقول الغالب في موضع
آخر كما يلي:

بس! هجوم نا امیدی خاک میں مل جائے گی یہ جواک لذت ہماری سعی لاحاصل میں ہے
لا نجد تشابهاً كبيراً بين المتنبی والغالب بالنسبة إلى الموضوعات فإنهما مختلفان جواً
فكرياً فللغالب ميدانٌ يختلف عن مجال المتنبی ولكن سعة الخيال وفهم الحقائق

والقدرة الفائقة على التعبير والتراكيب اللفظية البديعة التي تطوي الأخيلا، كل هذه توجد لدى الغالب أكثر مما يوجد لدى غيره من الشعراء والمنتني ليس بخارج منهم. وبالجمله فالموضوع طويل للغاية ويقتضي كتاباً مستقلاً بذاته فما ذكرناه في هذه المقالة الوجيزة ليس إلا إشارات وسنفضّلها في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى.

كل حرف من الكتاب .. كتاب

- أ.د. فيضان الله فاروقي¹

ترجمة من الأردوية: د. محفوظ الرحمن²

قال الشاعر الفارسي سعدي الشيرازي:

فرشتهء كه وكيل است بر خزان باد چه غم كند كه به ميرد چراغ پير زنه

ترجمة: الملك الذي جعل حفيظاً على الخزان ماذا يحزنه لو ينطفئ سراج امرأة عجوزة؟

لا شك أنّ الموت حق، حتى الرياح لا تعرف متى تنطفئ شعلة الحياة لشخص معين، فما بالك بالملائكة. نعم، من فهم مأساة الظلام لم يستطع أن يفهمها الآخرون ومن شعر بها لم يستطع أن يخبر بها أحداً غيره.

قد مرّت أربع سنوات على وفاة الأستاذ ضياء الحسن الندوي، ولكن لا يرضى القلب بأن أكتب له كلمة "المغفور له" (المرحوم). وصلني نبأ وفاته حوالي الساعة التاسعة والنصف صباحاً، ووجدت وقتاً كافياً لرؤيته الأخيرة إلى وقت التدفين، ولكنني لم أجده صامتاً في حياته أبداً وكان الأستاذ ضياء الحسن مبتسماً دائماً في كلّ الأحوال ووجدت البهجة على وجهه في كلّ الظروف. فكيف أراه صامتاً ولذلك استقر في ذهني بل في قلبي وجهه البسام الذي رأيته في منزلي قبل يومين لوفاته حينما تشرف بقدومه الميمون، وكانت هذه زيارته الأخيرة لمنزلي:

وقت رخصت دل نے رکھ لی تھی غنیمت جان کر جو بوقتِ ناز اک جنبش تری ابرو میں تھی

¹ شخصية يختص بسيرتها وآدابها هذا العدد

² أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المالية الإسلامية، نيودلهي

ترجمة: حفظ قلبي حركة لحت على حاجبك حين الدلال على أنها غنيمة منك عند الوداع.

عقد أقرباؤه وأصدقائه من أهل العلم والفضل جلسات التأبين وكتبوا عنه المقالات، وكما صدر عدد ممتاز لبعض المجلات عن حياته وخدماته وكتب كل واحد منهم عن الأستاذ ضياء الحسن حسب حبه له، ولكن الأمر المشترك في كل المقالات هو أنّ الأستاذ ضياء الحسن لم يحصل على شهادة الدكتوراه ولم يهتم بالكتابة في حياته. إذا كانت عظمة أيّ إنسان محدودة في كتابة المقالات والبحوث والكتب والدراسة والتدريس فأنا أريد أن أقول إني لا آخذ هذا بعين الاعتبار. توطدت أواصر الصداقة بيني وبين الأستاذ ضياء الحسن منذ عشرين سنة تقريباً، وأقول بدون أيّ مبالغة: إني لم أجد إنساناً ذكياً متواضعاً وصديقاً وفيّاً مثل الأستاذ ضياء الحسن الندوي. كانت اللباقة بارزة في ذكائه حتى أحبه الكبار والصغار على حد سواء. لا يأتي الحب في قلوب الناس من الإعلانات والشقشقة اللغوية بل تكون له شروط خاصة، ما كان الأستاذ يدفع ثمن الحب نقداً بل كان يدفعه مسبقاً.

لم تكن قرابتي من الأستاذ ضياء الحسن الندوي مهمة جداً لدرجة البحث عن سبب لتجاهلها، كنت من أقرباء زوجته رضية سلطانة من بعيد ولكن هذه القرابة كانت كافية لشخص يعيش للحفاظ على القربى، حتى التزم عقلي وشعوري بأنه أخي الأكبر منذ 25 سنة. لم يكن حبه وإشرافه شفويّاً معي بل كان يشارك في كل أموري دائماً كما كنت أشارك فيها أنا بنفسني. كان الأستاذ رجلاً غريباً لي وكما كنت له حينما تم تعييني كأستاذ مساعد مؤقت في الجامعة المليية الإسلامية في عام 1979م لكن توثقت العلاقة بيني وبينه خلال 24 ساعة حتى أنه كان في حالة أن يقدم إلي التوجيهات والمشورات الشخصية. لذلك قال لي يوماً إنّ المادة التي تدرّسها هذه الأيام كان يدرّسها أستاذ ممتاز ولذلك عليك أن تدرّسها على حذر لأنّ هذه مدينة دلهي وليست مدينة إله آباد. في الحقيقة مثل هذه النصائح تحدّد فروق

المناصب، على كل حال بدأت التدريس في الجامعة ولكن كيف درّست وماذا درّست، أصبح هذا العمل قصة في تاريخ الجامعة الدراسي لا حاجة لتكرارها.

وتم تعييني في جامعة اللغة الإنكليزية واللغات الأجنبية في حيدر آباد عام 1983م، وكانت الصدفة أنّ الأستاذ ضياء الحسن ترك هذا المنصب وعاد إلى دلهي وشعرت في وقت قليل بأنّ هناك كثيراً من محبيه. كان معظم الدارسين من الذين يدرسون في دورات اللغة العربية بدوام جزئي مثل الشهادة والدبلوم وما إلى ذلك لتعلم اللغة العربية وكانوا خبراء في مجالهم، كنت أستطيع أن أدرّسهم في الفصل ولكن من أين أتى بفن الأستاذ ضياء الحسن أمام الدارسين:

گر مصور صورت آں دوستاں خواہد کشید حیرتے دارم کہ نازش را چساں خواہد کشید

ترجمة: إذا أراد مصوّر أن يأخذ صور تلك الأحباء، يحيرني كيف ينجح في إبراز دلالهم.

نال الأستاذ ضياء الحسن الندوي قبولاً حسناً في الأوساط العلمية في حيدر آباد وما وجدت في أيّ حفلة أو جلسة إلا أنّ الناس يتذكرونه فيها. كانت له صلة عائلية مع معظم أصدقائه ولا تزال هذه العلاقات باقية حتى بعد وفاته. أخبرني بعض الأصدقاء شخصياً بقصص مساعدته للفقراء وتكران ذاته وتواضعه الشديد في مدينة حيدر آباد. ومما لا شك فيه أنّ هذا دليل واضح على عظمة أيّ إنسان أن يذكر في غيابه ولا يبقى حصول مصلحة منه. كان الأستاذ عبد الحلیم الندوي معروفاً بهيبته الخاصة، لم يكن إبقاؤه راضياً مع منافسيه أمراً سهلاً وأن يفوز بثقته كذلك، ولا يفعل ذلك إلا من كان بصيراً بطريق الجمع بين الدين والدنيا، التقليد والحرية. كان الأستاذ عبد الحلیم الندوي قد أصيب بمرض اختلال الذهن والأمراض الأخرى في آخر أيامه. وترك الناس زيارته في تلك الأيام ولكني أتذكر أنّ الأستاذ كان يذهب إلى منزله باستمرار في هذه الحالة الكثيبة، وكان يستمع إلى كلامه المؤلم وكان يقوم بالواجبات اللازمة في منزله وجاء وقت فقد الأستاذ الندوي ذاكرته تماماً ولم يعد بإمكانه أن يتعرف على

أحد ولكن الأستاذ ضياء الحسن كان يذهب إليه مثل السابق وكان يستمع إلى كلامه اللاذع بلطف وكان يعطي التعليمات اللازمة لعائلته ويقدم المشورة اللازمة بل كان يشارك بنفسه فيها، وداوم على هذا العمل إلى قبل يوم من وفاته.

أريد أن يخبرني أحد ما كانت المصلحة وماذا كانت المنفعة للأستاذ ضياء الحسن بأنه كان يفرغ وقته للذهاب إليه وفي الوقت الذي فقد الأستاذ عبد الحلیم الندوي ذاكرته. في الحقيقة كان هذا الوفاء والإخلاص الذي يميز الأستاذ ضياء الحسن عن الآخرين وأعطاه هذا الشيء العظيمة التي لم تكن من نصيب الآخرين. "وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ" [سورة فصلت].

حينما أخذ الأستاذ مشير الحسن رهينة في ولاية كشمير، قبلها بأيام خرج من منزل الأستاذ ضياء الحسن قائلًا: اليوم أنا ذاهب إلى مدينة سري نغر وسنحتفل بعيد الفطر في دلهي. أنا أتذكر وجه الأستاذ مشير المبتسم حتى الآن. ثم كانت الحادثة الفاجعة التي هزت الأستاذ ضياء الحسن هزة شديدة، كان يلتقي مع أرباب السلطة للحكومة المركزية في دلهي إلى 36 ساعة ولم يترك أي باب لهم إلا دقة، لم يعرف الصباح من المساء والليل من النهار، الأوقات كلها كانت واحدة، وكان الأكل والشرب في ذلك الوقت شيئاً مؤلماً عنده بل كان يشعر كأنها شتيمة. ولكن حينما هزمت التدابير على يد القدر جلس الأستاذ ضياء الحسن ممسكاً بقلبه. قال الأستاذ ضياء الحسن إن مرض القلب أصابه في نفس ذلك اليوم وبسبب إهمال أرباب الحكومة وقد غضبت غضباً شديداً عليهم ونشأت في قلبي كراهية شديدة ضدهم حتى لم أستطع تحملها.

مما لا شك فيه أنه كان هناك الكثير من أقرباء الأستاذ مشير الحق الذين كانوا يبذلون قصارى جهودهم في هذا الصدد وحزن عليه كل واحد منهم ولكن الأستاذ ضياء الحسن الندوي قد تأثر كثيراً بهذه الحادثة حتى لم يستطع أن يحضر جنازة الأستاذ مشير الحق وأدخل بعد نوبة قلبية شديدة إلى المستشفى. كيف كانت عاطفة

الأخوة والصداقة له ولمن كانت هذه ولماذا كانت؟ كان الأستاذ ضياء الحسن الندوي على مكانة سامية للأخلاق الحسنة والإخلاص وأريد أن أذكر أمثلة من حياته لكي نفهم مكانته. قد رجعت من مدينة حيدر آباد إلى دلهي في شهر مارس عام 1987م، وكما ذكرت قبل ذلك لم تكن قرابتي من الأستاذ ضياء الحسن الندوي مهمة جداً لدرجة البحث عن سبب لتجاهلها. كان ذلك اليوم الثاني لشهر مارس ويوم الاثنين، وقد تم تعييني كأستاذ مشارك في جامعة دلهي وجامعة جواهر لال نهرو في وقت واحد وكنت متردداً ماذا أفعل، كان الأستاذ نثار أحمد الفاروقي يلح عليّ أن أنتسب بجامعة دلهي ولكنه كان في باكستان في ذلك الوقت. جاء الأستاذ ضياء الحسن الندوي إليّ حوالي الساعة العاشرة صباحاً. هذه هي النقطة الرئيسية التي تدعو إلى التفكير. أجلسني على سكوتره (الذي كان يسميه حمار الحديد) وذهب بي إلى قسم اللغة العربية لجامعة دلهي وكان كل مكان في دلهي بالنسبة لي مجهولاً سوى الجامعة المليئة بالإسلامية. وكان الأستاذ سليمان أشرف رئيس قسم اللغة العربية في جامعة دلهي وتحديث الأستاذ ضياء الحسن مع الأستاذ سليمان أشرف عن هذا الأمر ولكنه اعتذر عن إلحائي دون شهادة الاستلام، وقلت له إنني قد تحدثت مع موظفي جامعة الإيفلو وستصل كل الأوراق اللازمة خلال أسبوعين ولكن الأستاذ أشرف ظلّ متمسكاً بموقفه، كانت الساعة الثانية عشرة حينها واتخذ الأستاذ ضياء الحسن القرار النهائي وقال لي: قم. وذهب بي من جامعة دلهي بسرعة فائقة إلى جامعة جواهر لال نهرو. وكانت الأستاذة السيدة هويولا رئيسة القسم في ذلك الوقت. تحدث الأستاذ ضياء الحسن معها قليلاً وفي خمس دقائق تم تعييني في جامعة جواهر لال نهرو وقال إذا لم تلتحق اليوم لكان هناك انقطاع في الخدمة الوظيفية، وهذا هو مكانك لتبقى فيه بعد الآن. في الحقيقة من يستطيع أن يظهر مثل هذا التعاطف اليوم؟ وما له مني؟ ولم يكتف بذلك بل دخل في كل أمور حياتي ولذلك أنا اعتبره أخي الأكبر من أعماق قلبي.

ذات يوم جاء إلى منزلي الساعة الثالثة ظهراً وطلب مني أن أذهب معه إلى مستشفى هولي فيملي وكان ذلك يوماً شديداً الحر، وكان قد جاء من الجامعة بعد أداء واجباته المهنية وكان مستعداً للذهاب مرة أخرى، شيء شاق بالنسبة لي وسألته عن السبب، فقال إن فراش قسيمي مريض ونذهب إلى المستشفى لزيارته. الفراش مريض ويذهب رئيس القسم بل عميد الكلية للحصول على معلومات عن صحته، في الحقيقة كان يذهب إليه لمساعدته. وحينما رجعنا من المستشفى علمت أن الأستاذ يعود كل يوم ويلتقي الأطباء ويسألهم عن صحته وكما يحصل على المعلومات عن تكاليف المستشفى وكانت هذه جوانب من عيادته للمريض. فاعتبروا يا أولي الأبصار. وكذلك أخبرني بعض الأخوة عن مثل هذه الأشياء بشكل شخصي في حيدرآباد ودلهي. كانت حياته حافلة بمثل هذا الإخلاص والمساعدة الخالصة.

ذات يوم سألت الأستاذ ضياء أنك تعمل العمل الصالح دون أن تكشفه أمام أحد فما الذي تنوي فعله؟ وفي الحقيقة قلت هذا مزاحاً ولكنه تحول إلى الجدل، وقال يا أخي فيضان: أنا أنجل أن أسأل الله أن يجازيني بشيء مقابل هذا. وما ساعدت أحداً من الناس أملاً في مقابل. أسأوم الله تعالى على شيء؟ وخدمة خلق الله هي عاطفة داخلية للإنسان وبسبب ذلك يفعل الإنسان ما يفعل. نعم، إذا رحمني الله بهذا العمل فيكون الخلاص والعفو من عند الله، وفي الحقيقة فهمت ذلك الوقت تفسير هذه الآية الكريمة: "وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا أَتْبَعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ" ١٠. وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ١١ [سورة الليل]. انجل عند طلب الجزاء من الله تبارك وتعالى والأمل أيضاً منه:

اے بے خبر جزا کی تمنا بھی چھوڑ دے

ترجمة: أيها الغافل: تخلّ حتى عن رغبتك في الجزاء.

كان للأستاذ ضياء الحسن ذوق رفيع وكان ذكياً للغاية، تلعب اللباقة دوراً عندما

يكون الذكاء والذوق الرفيع في مكان واحد، كان حس الظرافة بارزاً كثيراً في الأستاذ ضياء الحسن الندوي حتى أنه سبب السرور والبهجة لأصدقائه إن كان في حفلة أو جلسة، سواء كانت ندوة أو مؤتمر أو محاضرة أو حديثه الخاص، فإن أسلوبه في التحدث له لونه المميز. كان في ندوة العلماء مؤتمر وكان الأستاذ صباح الدين عبد الرحمن يقدم مقالته وكان الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي يستمع إليه وفي الوقت نفسه كان يحك بقبضة عصاه على ظهره، وكان الأستاذ ضياء الحسن الندوي يجلس خلفه مباشرة وقرأ هذه الآية: "وَلِي فِيهَا مَنَارٌ أُخْرَى" بصوت عالٍ ثم صار يستمع إلى المقالة وكأن شيئاً لم يحدث، نظر الشيخ إلى الخلف وابتسم ابتسامة لطيفة. نقل القرآن الكريم قول موسى عليه السلام حينما قال الله تبارك وتعالى "وَمَا تِلْكَ بَيِّينَتِكَ يَمُوسَى" ^{١٧} قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهْشُبَهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَارٌ أُخْرَى ^{١٨} [سورة طه]. كأن حكاية الشيخ ظهره بعصاه تفسر "مَنَارٌ أُخْرَى" ولا يمكن لأحد أن يستمتع بهذا الذوق الأدبي إلا من عرف الخلفية الكاملة للآية ويتوجه عقله إليها فوراً. لم أسمع الأستاذ ضياء الحسن أبداً يستخدم عبارات وكلمات بذيئة. وفي الحقيقة كانت تنبثق روح الظرافة من ذوقه الأدبي الرفيع في كل الأحوال وكانت طيبة مزاجه تجعلها أكثر دقة. ذات مرة ذهبت والأستاذ ضياء الحسن إلى منزل الأستاذ عبد الحلیم الندوي وكانت تلك الأيام أيام الشتاء وكان الأستاذ الندوي جالساً على الوسادة المفروشة على الأرض، مغطياً نفسه بلحاف، وكان شرشف أبيض ناصع يغطي الوسادة، كنا نتحدث ودخلت علينا حفيذة الأستاذ الندوي التي كانت في الثالثة من عمرها آنذاك، ووضعت إحدى قدميها على الشرشف والأخرى في حضن الأستاذ الندوي. تركت قدم الطفلة أثراً على الشرشف الأبيض، حينما رأى الأستاذ الندوي ذلك الأثر سألتها بغضب قليل ما هذا؟ فقال الأستاذ ضياء الحسن فوراً: "الخطوة التالية من الأمل" فكّر قليلاً كيف كان حضوره العقلي، وكيف كان ذوقه اللطيف وإلى

أي مدى وصل هذا الشخص. قال غالب:

ہے کہاں تمنا کا دوسرا قدم غالب ہم نے بزم امکاں کو ایک نقشِ پا پایا
ترجمة: غالب: أين الخطوة الأخرى لرغيتي، فلقد وجدت الكون كأثر من خطوتي الأولى.
من المؤكد أنّ أشخاصاً آخرين يحفظون هذا الشعر ولكن استنباط المعنى بهذه الطريقة
خاصة الأستاذ ضياء الحسن الندوي.

ذات مرة كُنا عائدين من كلية تربية الأساتذة للجامعة المالية الإسلامية، هرع الأستاذ
ضياء الحسن إلى سيارة موظفي الجامعة وكان فيه مقعد خال ولكن الأستاذ عبد
الحليم الندوي جلس عليه من الجانب الآخر، وحينما لم يجد الأستاذ ضياء الحسن
المقعد خالياً رجع إلى الإسكوتر وجلس عليه معي قائلاً بابتسامة شقية: "وَمِنْهُمْ مَّنْ
يَمَشِي عَلَى أَرْبَعٍ" [سورة النور: 45]. ومرة كُنا ذاهبين إلى جامعة جواهر لال نهرو
ومرّت أمامنا سيارة أمبيسدر سوداء قال لي: "انظر إنها سياه كار" أي سيارة سوداء،
(وكذلك سياه كار بالأردوية يعني شخصاً له أعمال سوداء أي سيئة) وكانت مثل هذه
العبارات الفكاهية والذكية على طرف لسان الأستاذ ضياء الحسن الندوي ولكن
يتمتع بها مَنْ رزقه الله شيئاً من الذوق الرفيع. ذهبت مرة إلى مستشفى "أرون"
لزيارته وكان الأستاذ مصاباً بمرض القلب وبعض العضلات الأخرى ولكن لم
يحدث أي فرق على هذه الظرافة. سألته كيف وجدت الطعام في المستشفى؟ قال
بدون توقف للحظة وهو يبتسم: "لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ" [سورة الغاشية].

كان الأستاذ يسمي سكوتره (Scooter) حمار الحديد، قلت له ذات يوم إنك ظالم،
فقد سميت من يمشي على رجلين باسم من يمشي على أربع، فالتفت إلي وقال: إذن
سمّ ذا رجلين من يمشي على أربع. وفي الحقيقة بعد رده القاطع على هذا الأمر لم يبق
لي شيء أناقشه فيه، فكان بمثابة توفير دليل على حماقتي أقوله. قد حفظت كثيراً مثل

هذه الجمل الفورية للأستاذ ضياء الحسن التي تدلّ على ذوقه الأدبي السليم ويمكن لي أن أكتب مقالاً طويلاً عن هذا الموضوع.

كان ذوق الأستاذ ضياء الحسن عالياً للغاية وكان عندي سوء الفهم الخاطئ عن نفسي لكنني سرعان ما أدركت أنّ لديه قدرة فائقة على الكلمات ولا يمكن له أن يتحمل أدنى خطأ في الكلمات والنطق. سواء كانت الكلمة عربية أو أردوية أو أيّ تعبير كان الأستاذ ينطقه بوضوح شديد ويشير إلى الخطأ.

إذا كنا نصليّ صلاة الفجر معاً فيذهب الأستاذ بي إلى منزله ويقدم الفطور الشهي والشاي الفاخر، وكما نتحدث عن الموضوعات الأدبية وأحياناً كنت محظوظاً فيأتي إلى منزلي. كان الأستاذ متأثراً جداً بالشاعر الأردوي نشور واحدي وقد حفظ معظم قصائده الغزلية وكان من النادر جداً أن أقرأ شعراً ولم يقرأ الأستاذ شطره الثاني.

كان اطلاعه على الشعر الفارسي واسعاً جداً وقد حفظ كثيراً من أبيات حافظ الشيرازي.

ولكن ما كان دائماً مفاجأة بالنسبة لي وما اعتبره المستوى العالي هو أنه من الممكن أنّ من يفهم قسماً من الشعر العربي الذي يُدرس في مقررات المدارس أو الجامعات والذي يتبادر إلى الذهن فور سماعه إلى مفهومه الكامل فهو أستاذ ناجح أو طالب ذكي للغاية. أما إذا خرجوا من قيد الكلمات فرحمة الله على الطالب والأستاذ. أنا أتحدث عن عامة الأساتذة والطلبة ولا أتحدث عن الخواص. وكان من عادة الأستاذ ضياء الحسن الندوي أنّ شعراء العرب الذين لم تدخل قصائدهم في المقرر الدراسي، كلها نوقشت قصائدهم، لم يحدث أبداً أنه طلب إعادة الشعر لفهم الكلمة. كانت نظرتّه على المفردات العربية عميقة وواسعة لدرجة حينما يُقدم أيّ شعر يفهم الأستاذ المعنى الكامل إلى نهاية ذلك الشعر ثم يتحدث عن مزاياه كأستاذ ماهر ببلاغة شديدة، كان يقرأ نفس المعنى في الشعر الأردوي أو الفارسي وإذا لم يتذكر، فيقوم بتأليف المعنى بنفسه. وأحياناً نقوم بهذا العمل معاً. وقد جمعت كثيراً من ترجمات

منظومة للأبيات التي وضعناها ولكن مع الأسف الشديد لم يجمع الأستاذ تلك الأوراق المبعثرة ولم أكن أتوقع أن هذه الشمس ستغرب بهذه السرعة الفائقة.

كانت دراسته عميقة للغاية يتناول أي كتاب ويقرأ مقتطفات مختلفة أو مقالات من ذلك الكتاب ثم يتركه وكان يقول بعد معرفة الموضوع ونظرية الكاتب لا يبقى شيء فيه ما نسميه زيادة في العلم والمعرفة. كانت لديه نظرية خاصة عن حسان بن ثابت رضي الله عنه وأبي العلاء المعري وابن المعتز والمتنبي وغيرهم. وأما تعليقه على نجيب محفوظ فهو أمر تأخر كثيراً. ويمكن لي أن أكتب مقالاً مستقلاً عن أفكاره الأدبية بسهولة وأدعو الله أن يوفقني لذلك.

قد سجلت الملاحظات والتجارب الشخصية عنه ولكن ما لم أفهمه هو أكثر من ذلك بكثير، ولن أدعي المعرفة التامة بالأستاذ ضياء الحسن الندوي على الإطلاق لأنني لست واحداً أعرف كل صفاته، وأشعر حتى اليوم بشيء غالي قد سلب مني فقد كان صديقي الحميم ومواسي وقلبي عاطفياً من أجل تورية الذوق الأدبي وكما قال عمر بن أبي ربيعة:

بكيْتُ لعدد ما حييتُ فإن أمت فواحزنا من ذا يهيم لها بعدي
ولم يمض يوم من الأيام بعد وفاته إلى الآن إلا تذكرته فيه بذكر اسمه وسيستمر هذا إلى يوم وفاي وأدعو الله أن تبقى هذه السنة من بعدي أيضاً:

ہاں اے فلک پیر جواں تھا ابھی عارف کیا تیرا بگڑتا جو نہ مرتا کوئی دن اور
ترجمہ: --- نعم. یا ابد الآباد: کان "عارفی" شاباً لما يبلغ أشده، فما كان يضرك إذا لم تمته الحين!

لن ننساك يا فاروقي!

- المفتي محمد ثناء الهدى القاسمي¹

ترجمة من الأردوية: حامد حسن²

توفي البروفيسور فيضان الله الفاروقي أستاذ مركز الدراسات العربية والإفريقية (جامعة جواهر لعل نهرو) والمدرس السابق لقسم اللغة العربية بالجامعة المليّة الإسلامية وقسم اللغة العربية والفارسية (جامعة بروديه) ومركز اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية (حيدرآباد) وعضو العشرات من المعاهد التعليمية والجامع العلمية ومدوّن "تاريخ اللغة العربية والفارسية وآدابهما" (المجلد الثاني والثالث) ومساهم "Encyclopedia of Islam" (مئة مجلد) وموسوعة اللغة الأردوية وتاريخ الأدب العربي والفارسي لأربعمئة سنة تامل نادو القديمة وكاتب "Lucknow: A Centre of Arabic and Islamic Studies during 19th Century" والمتضلع من اللغات الأردوية والفارسية والعربية والإنجليزية والهندية والقاطن في 188 إيه، أبو الفضل إينكليف، جامعة ناغار (نيو دلهي) توفي في الساعة الثانية ليلاً من 22/ يوليو 2020م في مستشفى إسكورت هارت (نيو دلهي) وكان مصاباً بالكورونا وداخلاً في المستشفى منذ أسبوع. صلى جنازته ولده الثاني أبو طلحة الفاروقي ظهر ذلك اليوم ودفن بمقبرة قرب آئي تي أو. لم يحضر جنازته إلا القليل من الناس نظراً لقيود وضعها منظمة الصحة العالمية. خلف ولدين (عرفان الله الفاروقي وأبو طلحة الفاروقي) وبناتاً اسمها (آمنة الفاروقي) وزوجة. يعمل ولده الأكبر في جامعة حكومية بينما يعمل ولده الثاني في شركة. وابنته طالبة البكالوريا.

¹ نائب مدير، الإمارة الشرعية لمناطق بيهار وأديسه وجهارخاند

² ماجستير في اللغة العربية وآدابها من الجامعة المليّة الإسلامية بنيو دلهي

ولد البروفيسور فيضان الله الفاروقي بن المغفور له سبحانه الله الفاروقي في الخامس من يوليو 1952م في كَوْرِيَابَار إحدى قرى مديرية أعظم كره (مديرية مئو حالياً). وكانت أسرة جدّه للأم تسكن بقرية سُنْهِي (إحدى قرى هذه المديرية) وكان خاله حفيظ الرحمن المعروف بـ"أيمن" موظفاً حكومياً في كانفور ولكنه ترك الوظيفة لميله الشديد إلى الدين وأصبح موظفاً في مكتب دار العلوم بمئو ناث بانجان لكي يعلم أولاده ويربهم تربية دينية كما كان يعلم بعض المواد لطلاب الصفوف العليا، وكان شاعراً قديراً. جاء البروفيسور فيضان الله الفاروقي خاله (بمئو ناث بانجان) وهو ابن ست سنوات ليكتسب العلوم الدينية وأقام بها من 1959م حتى 1965م فنال التعليم الابتدائي حتى مبادئ اللغة العربية ثم ارتحل إلى إحياء العلوم بمباركفور وأقام بها حتى 1967م فدرس كتب الصفوف العربية المتوسطة، وفي العام 1967م التحق بالصف السابع لدار العلوم بديوبند وقرأ صحيح البخاري على الشيخ نغر الحسن في 1968م كما أتم اختصاص الأحاديث النبوية ونال الفراغ.

بدأ حياته الوظيفية من دار العلوم بمئو في 1969م وعلم كتب الصفوف العليا للمنشيء حتى العام 1971م، ولما التحقت بصف تحفيظ القرآن الكريم في 1971م تحت رعاية الشيخ حسين أحمد الناصري أقمت بحجرة البروفيسور فيضان الله ذات الرقم 13 للطابق الأعلى، وكان يسكنها الشيخ حسين أحمد أيضاً. كما كان يسكن حجرة مجاورة للدرجات على الطابق الأعلى الشيخ افتخار الحسن وكان يسكن الجانب الغربي الأقصى الشيخ نياز أحمد من جهان غنج. كانت الكراسي توضع خارج الحجرات بعد صلاة العصر وكانوا يجلسون عليها مستمتعين بلقاءات علمية وأدبية. كنت أصغر طالب فلم يسمح لي الحضور فيها ولكن كنت أشهد جلساتهم من بعيد كما كانت أخت موسى ترى أخاها الرسول.

ولعلّ البروفيسور المرحوم غادر الدار (دار العلوم) في 1972م والتحق بكلية شبلي المرحوم (بأعظم كره) لينال العلوم الجديدة فتخرج منها في 1974م واكتسب مواد اللغة

العربية والإنجليزية والتاريخ بتقدير جيد جداً. ثم ذهب إلى جامعة إله آباد ونال منها شهادتي ماجستير في اللغة العربية وآدابها والدكتوراه في 1976م و1986م. كان مشرفه البروفيسور إيس إيم رفيق. ولقد سبق أن تعين مدرّساً في الجامعة المليّة الإسلامية في 1979م والتي خدمها حتى 1980م وفي نفس السنة (1980م) تزوّج في 25 ديسمبر من ابنة محمد مصطفى المرحوم من أهالي باره بنكي وقد بارك الله في زواجهما، وفي فبراير 1980م جعل مدرّساً في قسم اللغة العربية والفارسية بجامعة بروده وخدمها حتى فبراير 1983م وفي مارس 1983م انتسب بمركز اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدر آباد وبقي بها حتى 1987م وفي مارس 1987م جاء دلي وجعل أستاذاً مشاركاً بمركز الدراسات العربية والإفريقية لجامعة جواهر لعل نهرو وفي يونيو 1997م جعل أستاذاً فيه، المنصب الذي احتله حتى 2017م السنة التي تقاعد فيها عن الخدمة.

قضى البروفيسور فيضان الله الفاروقي حياته كلها، ما عدا سنوات أمضاها في دار العلوم بمئو، في تعليم العلوم الجديدة، وكانت له اليد الطولى في العلوم الجديدة وعلم الاجتماع، وقد اعترف بعلو كعبه في العربية والفارسية في البلاد كلها. كتب عشرات من المقالات في اللغة العربية وآدابها قدمها في الندوات العلمية كما نشرت في الجرائد الرائعة للهند، وكانت له قدرة على القريض وفهمه فهماً جيداً ولكنه لم يعتبرها شرفاً له. ولقد كان عالماً دينياً على الرغم من تمتعه بالشهرة وذيق الصيت فلم يغيّر ما به وله كمثل العديد من التدوين والقاسمين فكان يسعى لنشر وترويج العلوم الدينية، ولقد بنى كُتّاباً بداره ينفق عليها من جيبه ليحظى فيها أطفال الحارة بالتعليم الديني الأساس فكان يصطفي له معلماً جيداً كما كان يربي الطلاب والباحثين الذين كانوا يأنسون إليه في رحاب الجامعة.

ولقد وهبه الله قدرة على التأليف والترجمة فقام بترجمة كتاب¹ للشيخ مصطفى

¹ يعني به The History of the Qur'anic Text

الأعظمي في تاريخ النص القرآني في أكثر من 800 صفحة وقدمها إلى المفتي سعيد أحمد البالنفوري ليعيد النظر فيها وكان يحب أن يطبعها مكتبة دار العلوم بديوبند، ومن سوء الحظ أن مؤلف الكتاب ومترجمه ومعيد النظر فيها قد قضوا نحبهم جميعاً وهكذا بقي العمل مخطوطاً لما ير النور.

لم ألتق بالبروفيسور المرحوم بعد أن غادر دار العلوم بمئو فأخبرني أحد أصدقائي محمد أشرف خان الذي يعمل في قسم الفنون للجامعة المالية الإسلامية أن البروفيسور المرحوم يقطن بالقرب منها فطلبت منه الإجازة لزيارته وذكرت له لقائي به إذ كنت طفلاً فتذكر وعادت إليه ذكريات تلك الأيام فن خلالها ذكر الشيخ فيض الحسن الذي كان يعلني "القطبي" وكان أخاه من الخال ثم جعل مسجلاً لهياة اللغة العربية والفارسية لإله آباء وهكذا ذكرني أشياء كثيرة وضيّفتني كثيراً وعديداً. ثم رجعت من عنده، ولقد مضى على هذا الحدث سنوات طوال ولم أجد الفرصة للقائه مرة أخرى إلا أن ذكره كانت حية في مكنون قلبي وكنت أذكره في جلسات ولقاءات مع الشيخ حسين أحمد الناصري --- ثم بلغني أنه غادر الدنيا الفانية، والحق أن كل من جاءها سيغادرها ولكن حينما يبلغنا رحلة شخصية روحية يحزن القلب ويبكي فلقد مضى لسبيله من مارس إلى اليوم شخصيات علمية وروحية عديدة وجاء في الحديث أن من علاقات القيامة رفع العلم (أي ذوو العلم) فهل رفع هذه الكثرة الكثيرة من ذوي العلم ينبئ عن أن الساعة قد اقتربت ودنت، ندعو الله أن يغفر لمن فات، وأن يلهم الصبر لمن ورثه، وأن يوفقنا لما يرضيه فلا ندري متى نلفظ النفس الأخيرة وأين وكيف. اللهم آمين.

صديقي الوفي- فيضان الله الفاروقي

- أ. د. مقصود أحمد¹

إنّ البروفيسور فيضان الله الفاروقي المتوفى 22 يوليو عام 2020م كان رجلاً صالحاً لين العريكة طلق الوجه قليل الكلام وصديقاً مخلصاً وفيّاً وشاعراً موهوباً يقرض الشعر في الأردية والفارسية وأستاذاً متفانياً محبباً إلى تلاميذه.

أتذكر جيداً أنّ البروفيسور الفاروقي قابلني أول مرة في شهر يوليو سنة 1974م أمام مكتب قسم اللغة العربية والفارسية بجامعة الله آباد. فقد كنت وافقاً ذات يوم أمام المكتب المذكور فرآني وتقدّم إليّ وسلّم عليّ وصاحني متبسماً. ثم عزّف نفسه بي يقول: أنا من أعظم جراه وقد التحقت بهذه الجامعة في السنة الأولى للماجستير في العربية ولي بعض الأمور المكتبية المهمة فساعدني فيها من فضلك". فساعدته فرحاً قدر المستطاع. ثم أنا الآخر عزّفت نفسه به وأخبرته أثناء المحادثة الوجيزة أنني قد اجتزت الامتحان النهائي للماجستير في اللغة العربية في السنة الدراسية الحالية (1974م) وأريد الآن أن التحق بهذه الجامعة للحصول على شهادة الدكتوراه.

فبعد هذا اللقاء الذي تم بطريق الصدفة والتعارف الموجز انصرف الدكتور الفاروقي إلى غرفته التي قد اكترها بالقرب من أتالا (حيّ معروف في الله آباد). وأنا دخلت حجره الأستاذ العبقري محمد رفيق رئيس القسم عندئذ للاستشارة في بعض الأمور الهامة المتعلقة بأطروحتي.

والجدير بالذكر في هذا الصدد أنّ اللقاء المختصر السابق ذكره واللقاءات المتواصلة التي

¹ رئيس قسم اللغة الفارسية والعربية والأردية سابقاً، جامعة بارودا، غوجرات، الهند

تلتته مهّدت الطريق لتحول الغربة والابتعاد إلى الصداقة والاقتراب بمرور الأيام.

اجتاز الدكتور الفاروقي الامتحان النهائي للماجستير عام 1976م بنجاح باهر وأحرز الدرجة الممتازة. بعد التأمل الكثير والتشاور مع أقربائه وأصدقائه وأساتذته إنه قرّر أن يواصل دراسته العليا ويلتحق بنفس الجامعة باحثاً في اللغة العربية وآدابها. فاختار لأطروحته عنواناً هاماً وهو "لكاؤ- مركزاً للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر"، وقدم الطلب مع الوثائق الضرورية إلى مكتب عميد كلية الآداب. فتم تسجيله تحت إشراف الأستاذ الموقر البروفيسور محمد رفيق، عالم اللغات العديدة.

وبعد ثلاث سنوات إنه عين محاضراً مؤقتاً للغة العربية وآدابها بالجامعة المليّة الإسلامية بدلهي الجديدة. لذا انتقل إلى دلهي حيث أقام لمدة سنة واحدة أو أقلّ منها. ثم تم تعيينه كمحاضر دائم بجامعة بارودا، غوجرات فالتحق بها في بداية 1981م وقام بمهنة التدريس بأمانة وتفان لمدة سنتين (1981م-1982م)، ما إن مضى عامان كاملان حتى استقال من الجامعة المذكورة أعلاه وانتقل إلى CIEFL بجيدر آباد، الهند، حيث مكث أربعة أعوام. ثم قام بالاستقالة من هذا المعهد الشهير أيضاً سنة 1987م والتحق نهائياً بجامعة جواهر لال نهرو بدلهي الجديدة كأستاذ مشارك (Reader) وقام هنا بخدمة اللغة العربية وآدابها أكثر من ثلاثين سنة تدريساً وتأليفاً. إنه تقاعد عن وظيفته في شهر يوليو عام 2017م. وقبل تقاعده ترقى المرحوم إلى منصب البروفيسور وأيضاً ترأس القسم العربي مرتين بالجامعة الآتفة الذكر. واعترافاً بخدماته الجليلة في اللغة العربية وآدابها مُنح البروفيسور الفاروقي جائزة رئيس الجمهورية سنة 2019م وبالإضافة إلى ذلك تشرف بأداء حج بيت الله وزيارة روضة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام 2018م. تقبل الله حجه وزيارته بحبيبه الشفيع الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما أسلفنا أنّ البروفيسور الفاروقي تم قبوله في الدكتوراه تحت إشراف العلامة محمد

رفيق (المتوفى 5 نوفمبر سنة 1992م) فانتهاز صاحبنا هذه الفرصة الذهبية وشمر عن ساق الجدل للاستفادة من الأستاذ المبجل إلى حد ممكن. وفي أثناء الاتصالات المباشرة المستمرة إنه استطاع أن يشاهد الشخصية العلمية العظيمة للأستاذ الفاضل عن كثب. نتيجة لذلك، هو تأثر بعلمه الموسوعي تأثراً بالغاً تدريبياً وعقد العزم على أن يحذو حذوه في مجال العلم والأدب. فجهده جهده أن يتعلم منه أكثر ما يمكن عاملاً بتعليماته الغالية وتوجيهاته الموقرة، وتحقيقاً لأهدافه المنشودة وجه عنايته خصوصاً إلى الأمور الأربعة التالية:

1. تحسين اللغة الإنجليزية الدولية على قدر الإمكان.
 2. والتركيز على النحو العملي للغة العربية.
 3. وتصحيح نطقه بترك النطق الهندي وتبني النطق العربي الخالص.
 4. وتعليق الأهمية الخاصة على العربية الجديدة.
- لا شك أنّ عكوفه على الأمور المذكورة أعلاه ساعده إلى حد لا بأس به على تحسين علمه اللغوي والأدبي وممارسة عمله التدريسي والتألفي بسهولة وكذلك على تحقيق النجاح الرائع في الدين والدنيا.

والدي

- د. عرفان الله الفاروقي¹

ترجمة من الإنجليزية: شائسته برون²

مضت عدة أشهر على وفاة أبي، ولكنني لم أستطع أن أعبر عن حزني البالغ على هذه الخسارة الفادحة، وليس معنى ذلك أنني لم أحاول، فلقد حاولت مراراً وتكراراً، يوماً بعد يوم. ولكنني فشلت فشلاً ذريعاً، فقد لازمني الحزن واستحوذ عليّ فأقلقتني قلقاً غريباً، وفي الواقع غلبني حزن موت والدي على كافة العواطف --- حقاً قتت بالأعمال والأمور اليومية ولكن بحيث أثقلت هذه الكارثة حواسي وهزّت وجودي من حيث لن يمكن بيانه.

لا يعني أنني لم أفقد أعزائي من قبل، ولم أذق مرارة فقدان فرد من أفراد الأسرة أبداً. توفي أفراد عديدون من عائلتي لأسباب مختلفة، فمات بعض أقربائي في حوادث موجهة، وبعض منهم ماتوا بسبب أمراض عادية. كما توفي البعض فجأة، والبعض منهم لقي حتف أنفه، ولكن أدركت في الثاني والعشرين من يوليو عام 2020م ما أسميه الحزن الحقيقي والفاجعة الحقة التي تلحق الأسرة بسبب وفاة عزيز من أعزائهم، فلقد عرفت بعد وفاة أبي ما هو الحزن وما هو الألم وما هي الكتابة.

أقول بكل صراحة إنّ هذه الفقرات التالية القصيرة محاولة مخلصة للتعبير عن الحزن على فقدان، يعتبر بعض من المفكرين أنّ الكتابة نوع من "الإنقاذ"، أنا أيضاً أميل إلى هذه الفكرة إلى حد بعيد، ولكن عندي الإنقاذ لا يكمن في عدم الارتفاع أو الخروج منها بل يكمن في السقوط أو الانغماس، فالفقرات التالية، ولو كانت عابرة،

¹ أكبر أولاد الشخصية التي يختص بسيرتها وأعمالها هذا العدد.

² باحثة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولانا آزاد الأردنية الوطنية (حرم لكّاؤ)

تعبير عن الحزن العميق على الخسارة، أرجو أن توفر هذه الكلمات مفهوماً صحيحاً لكلمة "الإقناذ".

كنت أكبر أولاد أبي (شقيقي أصغر مني بست سنوات ونصف وشقيقي أصغر منه بست سنوات تقريباً)، فأنا الحافظ الوحيد للعديد من اللوحات عن ذكرياته، تذكّرت فأعدت ذكرياتي عن أبي: ركوب دراجة، كان مرتبطاً بالمعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، (CIEFL: Central Institute of English & Foreign Languages) بجيدر آباد (جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حالياً). وكنا نعيش في الحرم الجامعي، أتذكر بوضوح أنني أشاهده على دراجته من نافذة منزلنا في الطابق الأول، كان كثيراً ما يصطحبني معه واستمتعت كثيراً بهذه النزعات، وكانت هناك مناسبات أخرى أيضاً (ولكن ليست عديدة) عندما ذهبنا في الطريق معاً، وهو كان على دراجته وأنا على دراجتي الثلاثية.

في أوائل العام 1987م تم تعيينه في جامعة جواهر لال نهرو (JNU) كأستاذ مشارك، وانتقلت عائلتنا (نحن الثلاثة فقط) إلى دلهي، وهو يبقى خارج البيت طوال النهار ولكن، بعد عودته إلى البيت، كان يأخذني غالباً في المساء إلى منطقة معهد تدريب المعلمين (TTI: Teacher Training Institute) بقرب الجامعة للعب تنس الريشة، ولقد أعطاني مسدساً مائياً قبل مناسبة الهولي والمفرقات النارية (بدون ضوضاء)، وكانت حكاية القصص عند النوم من الأمور العادية كلّ يوم، فجميع القصص التي كان يرويها أبي كانت من إنتاجه، متخيلة من عنده كأنها رويت من قبل.

في السنوات الأولى، كنت أنام مع أبي في سريره، كان هناك حارس في منطقتنا يقوم بدوريات في الليل، وكان يصفر وينقر الأرض بعصاه، كنت خائفاً كثيراً من صوت الصفيّر والنقر لأسباب غامضة، ربما كان الخوف نتيجة لبعض التأديب الأبوي السابق، كما أتذكر أنّ والدي أخبرني في وقت ما أنه إذا لم أتصرف وأسلك

جيداً، سيأتي "بابا" ويأخذني معه بعيداً، فلذلك كان صوت الصفيّر والنقر يشعّرنني بأنّ شخصاً بغيضاً يقترب مني، وعندما استمرّ الخوف لفترة طويلة للغاية، أخرجني أبي ذات ليلة وعرّفني على الحارس، ومشينا معه بضع خطوات فصفّر الحارس ونقر الأرض بعصاه أمام عيني فكان ذلك نهاية خوفي.

عندما كنت في الثامنة أو التاسعة من عمري علّمني أبي طريق تطبيق الزيت في الشعر وتدليك الرأس، وطلب مني أن أدّهن شعره وأدلك رأسه، على كل حال أنه قام بتزييت شعري وتدليك رأسي لعدة أيام ليعلّمني كيف يتم ذلك، لأنني ما استطعتُ ذلك بدقّة، كان أبي حاذقاً في تزييت الشعر وتدليك الرأس، فكان كل مرة يقوم بتزييت شعري وتدليك رأسي وكنت أنام من خلال التدليك في معظم الأحيان، وكان أبي إما أن ينام بدون زيت شعره أو بتزييت شعره بنفسه. أتذكر أنني أخبرته ذات مرة أنّ شعره ليس قصيراً وهكذا فيصعب تزييت شعره وتدليك رأسه بدقّة -- - وحتى اقترحت مرة أن يقصّ شعره لكي يصبح التدليك أسهل إلى حد ما، فأخبرني عن أيامه عندما كان طالباً مدرسياً شاباً وكان من اللازم عليه أن يقوم، كل يوم، بتدليك رأس أحد أساتذته الذي كان شعره قصيراً نحو سنتيمتر واحد، ففهمت من ذلك أنّ تزييت الشعر القصير أصعب وأرهق.

بما أنّني كنت أكبر الإخوة في الأسرة فكان عليّ أن أكون مثلاً وقُدوة في الإشراف على التأديب والحفاظ عليه، وكان أبي صارماً بتأناً بشأن مجموعة من الأشياء، وكان من المستحيل عند انتهاك الضوابط السلوكية عدم مواجهة العواقب، وفي نفس الوقت إنه كافأني مراراً بسخاء وافر كما أنه قام بتوبيخ شديد أيضاً.

بالنسبة إلى دراستي، ففي البداية كان إنجازي جيداً إلى حدّ ما (أحرزت المرتبة الثالثة في الفصل طوال تعليمي الابتدائي) ولكن أدائي خلال المرحلة المتوسطة كان أقل من المرتبة المرجوة، وبدأ يخدر في المدرسة إلى درجات التدهور حتى رسبت في المستوى

الثامن، وكانت الخيبة في هذه المرحلة من التعليم لا تعتبر أقل من الأزمة بصفة خاصة في مواد العلوم الاجتماعية، ولم يكن أدائي في المرحلة الثانوية من التعليم مختلفاً أيضاً. حاولت مواصلة التعليم بطريق أو آخر، وكان الغياب عن الفصل أصبح من عادتي فلم أقم بما تتطلبه الحياة المدرسية. وكانت هذه المرحلة مرحلة صعبة بالنسبة له (أبي)، لقد تعرضت للتوبيخ والتأنيب والعقاب، ولكن الآن عندما أفكر عن تلك اللحظات، أشعر بقلقه المتزايد بسبب تخلف ابنه الأكبر وفشله الكامل في الحياة.

لم يكن لانحرافي أي حد، بل كنت أصعد كل يوم إلى مستويات جديدة من الانتهاك، وقد فررت من بيتي مرتين، مظهراً كرهاً مبدئياً عن التعليم، بل وكنت عنيداً في عدم الاهتمام بأساسيات حياة المراهقة المتوازنة، ولمدة طويلة لم أعتبر نفسي مسؤولاً عن كل ما فعلته خلال تلك السنوات، لقد وجدت دائماً تلك المرحلة من الحياة تعبيراً عن الشعور بالغضب، ورد فعل للسلطة الأبوية ولتأديباتهم الخانقة، ولكن في الفترة المتأخرة بدأت أفكر عن تلك السنوات بطريق مختلف قليلاً.

على كل حال نجحت في امتحانات المرحلة الثانوية بكّـ وجدّ في محاولتي الأولى، ولكن ما أحرزت أي مكان بين زملائي، إلا أنّ نجاحي في الامتحان بالدرجة الأولى كان بمثابة نعمة منقذة شجعتني قليلاً نحو مواصلة التعليم. واخترت للمرحلة الثانوية تيار العلم. وفي غضون بضعة أشهر عدت إلى مزيد من التدهور. لقد فشلت في الرياضيات في الفصل الحادي عشر ولم أتمكن من إتمام الامتحان إلا بعد إعادة كتابة الامتحان الإضافي. ومرة أخرى فشلت في الفصل الثاني عشر، وفشلي يشير إلى عدم انتباهي الملحوظ، أو يمكن أن أقول عدم قدرتي ببحث طالب. على الرغم من أنّ أبي لم يسفر عن خيبة أمله ولكن لا شك في أنه اهتزّ من داخله. لم يكن من السهل بمناسبته أن يرى ابنه الأكبر يفشل في جميع المواد الأساسية (الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا). ولكن، من حظ سعيد، لم يخيبه ويكسره رسي في التعليم

الثانوي العالي. ومع الإدراك المطلوب، سعى كل ما في وسعه ليتأكد من عودتي إلى المدرسة، حتى استنفد موارده فوق المستطاع.

لعب شعوري بالندامة دوره فبذلت جهدي ونجحت في امتحان الصف الثاني عشر، وما زلت أتذكر ذلك اليوم الذي ظهرت فيه نتيجتي، كما نحن الاثنين فقط (كان البقية من الأفراد في منزل جدي للأُم بما أنها كانت أيام الإجازة) فبُنت نتيجتي عبر الإنترنت، وعندما رجعت كان أبي جالساً على السرير في ناحية وقلت له: "إنني قد نجحت في الامتحان". فتعجّل أبي إليّ وحملني في حضنه وبكى بكاء الطفل المولود الذي لا يكاد يتعزى قريباً.

كان من المتوقع بعد النجاح في امتحانات المرحلة الثانوية أن تكون الأمور أفضل إلى حد ما ولكن مسار الحياة لم يتغير بل تدهور بشكل غير مرجو، التحقت بكلية عادية من كليات جامعة دلهي في البكالوريوس، والسنوات التي قضيتها في الكلية لم تكن ذات أهمية كبيرة، فكنت أذهب إلى الكلية كل يوم ولكن لم يكن هناك أي حماس قابل للذكر، كنت أقرأ القليل من الأدب والتاريخ، ولكن لم يدفعني إلى الدراسة كطالب جدي وواصلت الحياة المقررة المروعة.

أكملت البكالوريوس بشقّ النفس بدرجة غير مرغوب فيها (48 في المئة) وباشرت وظيفة في مركز الاتصال، كان ذلك في عام 2003م، والحصول على وظيفة بمرتبة عشرة آلاف روبية شهرياً لم يكن شيئاً عادياً بالنسبة لي بل اعتبرته إنجازاً كبيراً، وكثيراً ما ذكرت ذلك بالافتخار وجادلت مع أبي، ولكن أبي لم يكن مسروراً بهذه الوظيفة، أثبتت لي الوظيفة مصداقيتي بشكل عام ومهاراتي في التحدث باللغة الإنجليزية بشكل خاص، كنت أتحدث بغطرسة عن زملائي الكبار في الشركة وعن بلاغتهم ومهاراتهم في العرض وما إلى ذلك، وحاول أبي دائماً أن يقنعني بأنني مخطئ، وقال لي بأن أقرأ عن الشخصيات العظيمة واستفيد من المثقفين الكبار المشهود لهم بدلاً من

الافتنان بالزملاء في الشركات الالامعة والمستهغلة. ما زلت أذكر حتى الآن كيف كان أبي يلخص ذلك بصورة واضحة بقوله: "هؤلاء الزملاء في الشركة، على الرغم من بلاغتهم ومهارتهم، لا يزالون مقتصرين على 150-200 كلمة، بل إنهم محصورون على تلك المجموعة بشكل مؤسف، من ناحية أخرى، مستودع اللغة بأكمله يكون بخدمة أكاديمي أو مثقف يستخدم كيف يشاء، فلا تتخذ بسطحية دنيا الشركات. ابحت عن العمق والمعنى فهو شيء وحيد يعرفك القيمة الحقيقية للأفكار والمعرفة". في ذلك الوقت لم أحترم كلماته حق الاحترام كما كان ينبغي لي، ولكنه استمر في محاولته وبذل كل جهد ليقتني، أخذني إلى جامعة جواهر لال نهرو وصاحبني العديد من تلاميذه، وعرفني على بعض من زملائه في الأقسام الأخرى، حتى التمس عمي (الذي كان في منصب جيد في شركة) أن يشجعي على مواصلة دراستي.

لا أعرف كيف حدث ولكنني تركت الوظيفة وعدت إلى دراستي، وللدخول في الماجستير، شاركت في امتحانات الدخول للعديد من الجامعات، والله أعلم كيف، ولكن نجحت في امتحان الدخول في قسم علم الاجتماع في جامعة جواهر لال نهرو، وعندما أخبرت أبي عن النجاح، كانت كلماته "الآن أنا مقتنع لا داعي لي للقلق، أتمنى أن يحلفك النجاح دائماً إن شاء الله".

لقد غيرتني جامعة جواهر لال نهرو بعد الدخول في الماجستير وكان أبي يتوقع ويتقن من أعماق قلبه أن أقوم باستعداد لامتحانات الخدمة المدنية الحكومية ولكنني كنت أميل إلى الأكاديمية، أعتقد أن أبي صالح تدريجياً ترجيحاتي، لأن طموحي بدا لأول مرة غير عادي وكان سلوكي العام يقترح إلى الجدية المطلوبة.

في عام 2006م عندما تم اختيار مقالتي لمؤتمر دولي في قرطبة بإسبانيا، كان أبي يريد أن يتحمل النفقات مجرد أنه لم يكن يريد أن تفوتني فرصة المشاركة في مؤتمر دولي، لم أشارك في ذلك المؤتمر ولكن عرض أبي ترك في انطباعاً عظيماً وبعد أشهر قلائل،

ومن حسن حظي، أن مقالتي قبلت لمؤتمر علم الاجتماع الوطني المعروف الذي عقد في تشيناي ودفع أبي نفقات تذاكر الطيران والإقامة للمشاركة في ذلك المؤتمر.

نشاطات الدراسة في جامعة جواهر لال نهرو جعلتني مشغولاً كثيراً، وأصبحت اجتماعاتي معه قليلاً جداً، على الرغم من أنه كان يزور الحرم الجامعي كل يوم تقريباً لعملية التدريس، ولكن قلما التقيته، وكان كل ما التقيته التقيته للأموال، وما كنت أرغب في أيامي الأولى أن يراني أحد معه في الحرم الجامعي، لأنّ لباسه كان غير عادي بل مشير إلى طراز خاص من اللباس (الشيرواني، والقميص، والسلوار، والقلنسوة)، ولم يكن لدي أدنى فكرة عن ادعاءات الهوية وأهمية العديد من التعبيرات في المجال العام، وبسبب سذاجتي لم أكن أمرّ بمبنى مدرسة اللغات، وكنت أخرج من المبنى بسرعة لكي لا يرانا أحد معاً.

كلما ازداد اشتغالي بالدراسات والحياة الجامعية، ابتعدنا عن الآخر، مرة دعاني أبي وتمنى لي الخير وقال لي أن أكون على اتصال دائم معه. نجحت في الحصول على منحة للبحث (JRF: Junior Research Fellowship) مباشرة بعد إتمام الماجستير، وذلك مما جعلني أقل اتصالاً به من أجل المال، ولكن أبي لم يكتثر بذلك كثيراً، وأتذكر أنّ أبي مرة طلب مني أن أحضر له البان (التنبول) وكان من عادته أن يعطيني روبية إضافية علاوة على أصل القيمة مهما كانت قيمته، ولذلك كنت أنتظر مساء كل يوم للحصول على هذه الروبية الإضافية، وكذلك إنه كان يستخدم الغول (المنشيات) أيضاً والحصول على ذلك يعني حصول عشر روپيات إضافية أيضاً (في غضون عشرة أيام أو نحو ذلك)، ثم جاءت مرحلة توقف فيها كل هذه الأشياء، أدرك أبي أنّ جانب المال أصبح غير مهم لي وكذلك شعر على مرور الوقت بأنّ حافز روبية لن يعمل كذلك. ولم يكن من الممكن أن يكون أكثر صواباً في تقييمه لأنني لا أستطيع أن أتذكر متى توقف بالضبط عن مطالبي بإحضار البان والغول. وفي الحقيقة أنا لا أتذكر بالضبط أنه صدر

شيء في وقت ما يشير إلى عدم رغبتني بفعله.

عندما بدأت العمل أصبحت أكثر انشغالا وأكثر بعداً عنه، وفي غالب الأحيان كنت أتحدث مع والدي وأتحدث عليه وأبلغه سلامي من خلالها حتى مرّت أسابيع بدون مكالمات هاتفية معه وعندما زرنا (عائلي) كان أبي غالباً في غرفته، كنت أقابله لفترة وجيزة في البداية ثم أودعه وداعاً سريعاً أثناء المغادرة، وفي غالب الأحيان عندما دخلنا غرفته لنودعها أثناء مغادرتنا، وجدناه يصلي، وبما أنني علمت أنه يصلي باطمئنان، قررت ألا أنتظر حتى ينتهي من صلاته. وغادرت معتقداً أن سوف نلتقي مرة أخرى.

بصرف النظر عن الكثير المذكور آنفاً، كان أبي دائماً دعامة كبيرة لي، كل ما أعرفه عن الإسلام هو فقط بسببه، لقد أبلغتنا محادثات العشاء بقدر ما يتعلمه أيّ خريج من المدرسة في سنوات تكوينه بحيث طالب. كان الشعر هو حبه الأول وهذا ما يفسر بقائي في الأوساط الأكاديمية لعدة سنوات حتى الآن. ربما لم أعترف بذلك أمامه (ولا يمكن لي أن أعبر عن أسفي العميق بالكلمات) ولكن اليوم إذا أستطيع التحدث والقراءة والفهم فيما يتعلق بالدراسات الأردنية حتى أعتبر أحد علماء الاجتماع في هذا المجال، يعود الفضل إلى أبي وحده، لقد تعلمنا الكثير غير مباشرة لأنه لم يكن يعلمنا الأدب والشعر مطلقاً بل كانت طريقة حياته كذلك، وهذا هو عمل طبيعي له وكانت عملياته التربوية رقيقة بوضوح، فكان لديه الدوييت (مقطع شعري مكون من بيتين) لكل مناسبة والمقاطع الأخرى لإجراء المقارنات، ونظراً لجهلنا باللغتين العربية والفارسية، لا يستخرج اللؤلؤ من تلك الكنوز العظيمة.

وبالنسبة لعلاقته بالشعر وكونه جزءاً لا يتجزى من وجوده، فإنني أتذكر شيئاً ما بمناسبة حبه للشعر، أنه أحبّ الأنبياء بإفراط وكان مغرماً بشكل خاص بالدهسري والجونسا.¹ ونحن (أنا وشقيقي الأصغر) نحاول دائماً الحصول على الأفضل له، لم

¹ نوعان كريمان من الأنبياء

يكن يأكل كثيراً ولكن كل القليل الذي كان يأكله، كان يستمتع به ويتلذذ. أتذكر أن مرة اشترت الأنيج الجونسا من أوكهلا¹ بعد المغرب، وكالعادة جلسنا بعد العشاء على سقف البيت، وأكلنا واستمتنا بالأنيج، فالأنيج الذي حصلت عليه كان جيداً جداً، فسألته عما إذا كان يتخيل تذوق أنبجة، فبان عن رغبته فقدمتها إليه تواء، وحالما تلقيت القضمة الأولى كان قوله الذي أتذكره حتى اليوم: "سيموت المرء بعد طعمها". يا له من قول شعري تماماً! فن ناحية أشار ضمناً إلى أنه بعد تناول هذه الحلاوة واللذة يمكن للمرء أن ينجز كل ما هو موجود باسم الحياة، ومن ناحية أخرى أشار إلى أن طعم الأنيج المذهل يقدر على أن يقتل أحداً ببساطة.

عندما تقدمت قليلاً في العلم والثقافة وشرعت في الكتابة حول مواضيع، اتصلت به كلما فشلت في تمييز معنى أي كلمة باللغة الأردوية / الفارسية / العربية، أو احتجاج شعري باللغة الأردوية المبنية، أو بيت شعر فارسي يستخدم لإثبات الدعوى باللغة الأردوية وما إلى ذلك. وفي كثير من الأحيان اتصلت به عندما كنت لا أستطيع أن أفهم المعنى الدقيق لكلمة معينة. وكانت هذه المكالمات في وقت متأخر من الليل وغالباً لا يرد علي. فكنت أتصل بأبي منزجاً إلى حد ما وأطلب منها أن تسأل أبي الرد على هاتفه. لا أتذكر أي مكالمة لمجرد التمني والاستفسار بعد سلامته في السنوات الماضية. لقد كان دائماً رقيقاً للغاية وقدم كل مساعدة ممكنة. في كثير من الأحيان حدث أنني سأله عن شيء ما وهو يخبرني بعد أيام متعددة لأنه كان يريد أن يعطيني معلومات إضافية عن ذلك الموضوع، وبينما شعرت بالامتنان لاهتمامه، لم أتمكن دائماً من استخدام البصيرة لأنني انتهيت من العمل / المقالة / المحاضرة من قبل استفساره. ولذا كان يقول: "أنتم لا تقومون بالبحث الصحيح. إنكم فقط تجمعون المعلومات وتتظلمونها". حتى عندما عملت معه في العديد من مشاريع الترجمة، أصررت على السرعة ولكنه استغرق

¹ Okhla منطقة كان يقطنها

ساعات لإنهاء فقره، وظل غير معتذر بصفافه بشأن "التأخير".

والشيء الآخر الذي يستحق الذكر خاصة هو مناسبة العيد. ذهبنا إلى المسجد معاً وبعد الصلاة حان وقت اعتناق العيد. ولقد وجدت نفسي دائماً في نوع من اضطراب من ذلك. أصرّ أبي دائماً على المعانقة بالطريقة الصحيحة؛ من اليسار إلى اليسار (من القلب إلى القلب)، وهو يقول إنه بدل المعانقات الثلاث، يجب أن يكتفي باعتناق واحدة ولكن لمدة أطول. ولكن من الغريب، شعرت دائماً بشيء من القلق لذلك، وفي كل مناسبة تقريباً كنت أرغب في قطع عملية المعانقة ولكنه يوقفني للحظة أو لحظتين. لم أستطع الشعور بالدفء آنذاك. والآن تعطيني تلك المعانقات ألماً رقيقاً.

كنت أخافه إذ كان حياً، وأعارضه في كثير من الأشياء والأمور، ورعت شيئاً أو بعض الأشياء الذي يشير إلى فشله بحيث الوالد. وا أسفاه، خطر ببالي بعد مدة طويلة أن نهجه المراعي تجاهي كان متحيزاً لي. بينما تلقى الجميع رسائل مكتوبة بخط يده (ولم تكن قراءة خط يده مهمة سهلة وعادية)، فالرسائل المرسلة إليّ كانت مكتوبة على آلة الكتابة. وقد أمضى جزءاً هاماً من حياته متمسكاً بإيمان قوي ثابت، ولا يتخلّى عني، غير مبالٍ بالعنف الشديد الذي عارضته به. والآن وقد أفكر في هذا تزامن ثباته وعنفه هذا، يجري على لساني المقطوعة التالية لإقبال:

مانا كه تیری دید کے قابل نہیں ہوں میں تو میرا شوق دیکھ، مرا انتظار دیکھ
ترجمہ: ولو أني لا أستحق أن أراك بعيني هاتين --- ولكن فانظر إلى توقي إليك
وانتظاري بك.

أفقد أبي الأمل فيّ أو تخلّى عني؟ (وهذا هو شيء طبيعي وواضح جداً نظراً لعدم اكتراثي المبدئي بما هو جيد بالنسبة لي)، فليس لدي أي فكرة (أو ربما لدي فكرة

واضحاً جداً) عن المسار الذي كان من الممكن أن تسلكه حياتي. إنه للأسف الشديد اتضح لي بعد أن فقدته.

خالفناه في أمور ومسائل، خاصة في الآونة الأخيرة، وحالفنا الغلبة، وعندما كان مصاباً بالمرض القتال ولم يرغب أن يدخل المستشفى، أجبرناه (أنا وأخي وأختي) على إقلاقه إلى المستشفى فوافق الأب على رأينا للبرّة الأخيرة. واستجابة لما أصررنا عليه، غادر المنزل. ولعل هذه كانت منة أخيرة تفضل بها علينا.

وداعاً للمرحوم فيضان الله الفاروقي

(بروفسيور جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي)

- د. عرفان أحمد¹

ترجمة من الإنجليزية: حنا فاطمة سيد²

السيد الفاروقي أو حضرة الأستاذ كما كنتُ أدعوه، الآن في ذمة الله.

توفي السيد الفاروقي اليوم بسبب فيروس الكورونا في مستشفى بدلي.

كيف يمكن لشخص مثلي أن يكتب عن رجل التقى به مرةً أو مرتين فقط ولكنه بعد ذلك فتح له بابه حقاً بلطف ليعيش مع عائلته وكأحد من أفراد العائلة؟

كيف أكتب عن شخص بدا لي في بعض الأحيان أنه مثل والدي، وقام بتوبيخي بلطف مرةً أو مرتين ليمطر عليّ شآبيب رعايته وحبّه لي؟

كيف أكتب عن السيد الفاروقي الذي طرق بباب غرفتي ذات مرة في الليل وطلب مني أن أكتب خطته لإنشاء معهد أبحاث حول دراسة الإسلام وتعزيز القرى بين الأديان؟

كيف أكتب عن شخص أنشد لي بيتاً من اللغة الأردية بابتسامة أظهرت عن أسنانه البيضاء مصبوغةً باللون القرمزي لأوراق التبّول؟

دلي، جامعة ناغار/ أبو الفضل، أوائل التسعينيات.

بعد أن عشتُ بضع سنوات في مدينة باتنا (Patna) بولاية بهار حيث انتقلت إليها من قرية غير معروفة من مديرية شيوهار (Sheohar) في نفس الولاية، ذهبتُ في

¹ أستاذ الأنثروبولوجيا في معهد ماكس بلانك، ألمانيا

² دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

العام 1991م إلى الجامعة المليية الإسلامية للحصول على درجة البكالوريوس في علم الاجتماع. وكنت في الثامنة عشر من عمري أو نحو ذلك. ولم أوفق أن أقيم في سكن الطلاب الجامعي، وكان يستغرق السفر من وإلى الجامعة وقتاً كثيراً. وفي غضون ذلك، اقترب الامتحان السنوي. وكنت أحتاج أن أستعد للامتحان بجدية؛ لأنها كانت أول مرة يجب عليّ أن أجيب عن الأسئلة باللغة الإنجليزية. لذلك تفكر شقيقي الأكبر- الذي كان آنذاك طالباً في جامعة جواهر لال نهرو وكان السيد الفاروقي قد علمه بها- كيف أخرج من هذه المشكلة، فقد استأذن السيد الفاروقي إذا أمكن لي البقاء معه في منزله لمدة شهر فترة الامتحان بما أنّ منزله كان قريباً من الجامعة. فقد وافق على طلبه السيد الفاروقي عن طيب خاطر. وهكذا فانتقلت إلى منزله حاملاً حقيبة صغيرة. وفي وقت لاحق عندما حاول أخي دفع نفقتي رفضها بابتسامة (فجزاه الله أحسن الجزاء).

وكنت أقضي معظم الأوقات في الخارج وأذهب إلى منزله للنوم فقط. وبعد بضعة أيام من الإقامة، اكتشفت بأنني كنت مثل أحد أفراد العائلة. وكانت البيئة الأسرية عقلية وودّية وقبل كلّ شيء هادئة بشكل جميل. وتعلّمت هناك عن الأطعمة المطبوخة بولاية أترابرايش التي كان بعضها مختلفاً عن تلك التي تطبخ في ولايتي (بيهار).

والمياه التي كانت الحكومة تقدّمها كانت غير صالحة للشرب. فكان أهالي "أبو الفضل" (اسم المنطقة) يشترونها ويظهر هذا شيئاً بديعاً لي.

وكان هناك وقت محدّد لتلاوة القرآن الكريم وفهمه والأدب المتعلّق به يومياً (نحو 15-25 دقيقة) في المنزل؛ وكنا جميعاً نحضره. والسيد الفاروقي كان رئيس هذه الجلسات. وبعد ذلك كنا نأكل أجمعين.

وخلال إقامتي هناك، كنت أقضي الكثير من الوقت في مكتبة الجامعة، التي ظلّت

مفتوحة حتى الساعة 9 ليلاً أو نحو ذلك. وبعد ذلك، كنت أعود إلى "بيتي الجديد"، غالباً سيراً على الأقدام. ومن حين لآخر، كنت أركب الركشا إن امتلكت النقود. وذات مرة ذهبتُ مع أصدقائي لتناول الشاي في مطعم الجامعة (الذي لا يوجد الآن) بعد إغلاق المكتبة ووصلتُ إلى المنزل متأخراً عن الوقت المعتاد المتوقع فأبدى السيد الفاروقي عن استيائه اللطيف سائلاً: كم وقتاً يستغرقه السير من المكتبة إلى المنزل؟ ولم يقل لي أكثر من هذا، وهذا فاجأني. وبعد هذه الحادثة، لم أذهب قطّ مع أصدقائي لتناول الشاي بعد إغلاق المكتبة.

وكانت الفترة التي عشتُ فيها هناك فترةً متوترةً ينشر فيها العداء للإسلام وأتباعه، الذي أثاره حزب بهاراتيا جاناتا ودعمه منافسوه سرّاً ولم يعلنوه إلا قليلاً. وكانت فترة العنف ضد المسلمين وحركة ذبحت المسلمين وانتهت إلى هدم المسجد الباري (الواقع في منطقة أيوديا بولاية أتراباديش). وفي مثل هذه البيئة أراد السيد الفاروقي إنشاء معهد لدراسة الإسلام وتعزيز القربى بين الأديان.

تعلم السيد الفاروقي في جامعة إله آباد. ولقد ذكر لي بشيء من السعادة، في إحدى المناسبات القليلة جداً التي لم يتكلف فيها، أنه كان نجماً في دفعته في الجامعة. وكما شاطر معي مدى سروره عندما تلقى نبأ تعيينه أستاذاً مشاركاً في جامعة جواهر لال نهرو بنيودلهي. ولم أكن أعرف عنه إلى ذلك الحين أنه كان مولعاً بالشعر. وفي الواقع، إنه نفسه كتب القريض. ولكنني لست متأكداً هل إذا كان من قريضه أم من قريض الآخر ما أنشد لي من البيت الذي علق بذاكرتي حتى الآن وهو:

چاہتا ہوں تم کو اکثر بھولنا آدمی ہوں مجھ سے ہوجاتی ہے بھول

ترجمة: وكثيراً ما أريد أن أنساك --- زلة وقعتُ فيها غير مرة فإني من ولد آدم.

ولقد مضى على مكوثي مع السيد الفاروقي وعائلته ما يقرب من ثلاثة عقود، ولكن لا أزال

أعترز باللحظات والفرص التي أمضيتها معهم - الحب الخالص المتبوع بالشعور بالمسؤولية عن التربية. ولستُ وحيداً في هذا الشعور بل هناك عشرات من الطلاب والأشخاص الذين قد تعامل معهم وهم يعرفون ذلك منه فقد ترك الفاروقي أثراً في حياتهم.

أما بالنسبة لفكرة إنشاء المعهد، فربما يحملها الآخرون بشكل أو آخر. وقد احتفظ ولداه- عرفان الله الفاروقي وطلحة الفاروقي (المعروف بالثاني)- اللذان يدرّس أولهما علم الاجتماع في جامعة جنوب آسيا دلهي، وأما الآخر فيدرّس علم الهندسة المعمارية في جامعة جيندال، وهما يواصلان إنارة سراج العلم والمعرفة- الأمر الذي افتخر به السيّد الفاروقي ورضي عنه.

وأتأسف إلى الآن ليتني لم أذهب للشاي تلك الليلة، وليت المكتبة ظلّت مفتوحة طول الليل، وليتني رجعتُ إلى منزل السيّد الفاروقي في الوقت المحدّد!

وداعاً يا فاروقي، يا مرشدي ومرّبيّ، أدخلك الله الجنة وأحلّك مقعد صدقٍ أميناً.

اللهم ألهم الصبر لعرفان والثاني وآمنة، وفوق هؤلاء الأمّ الحنون. آمين يا ربّ العالمين!

أبي

- آمنة الفاروقية¹

ترجمة من الإنجليزية: أ.د. شوقية فايق حواورة²

إن الحديث عن حياة عائلة والدي، وإلقاء بعض الضوء على أدواره المختلفة كأحد أفراد الأسرة، لم يكن يبدو لي صعباً في البداية، ولكن حينما تقدّمت قليلاً برز إلي كتحدٍ فإنني لا أعرف من أين أحدد المنحى الذي سأكتب عنه، لأنه، كما نعلم، لم يكن والدًا فحسب، بل كان معلمًا شفوفاً وصديقاً حميماً ومرشداً لجميع الأسئلة الدينية والروحية.

كانت عائلتنا من الطبقة المتوسطة، فكانت لديها، مثل أيّ عائلة أخرى، آمال وقضايا بل القضايا أكثر من الآمال. وإن أعدّ من ذكرياتي المبكرة، فكان أبي دائماً يتأكد من أننا جميعاً نفعل بعض الأشياء معاً كعائلة، حتى نبقي في هذا الصدد، وبالتالي أصبح هذا نوعاً من القاعدة غير المسددة. وتناول العشاء معاً كان واحداً منها.

أودّ أن أعتبر نفسي محظوظة بما فيه الكفاية لأن والدي قد اتخذ هذه القاعدة غير المذكورة، ولأنه مهما كان القليل الذي تعلّته عن الشعر والفلسفة والأدب الأردني والدراسات الإسلامية (لقد تعلّمت بالطبع القليل جداً مقارنة بإخوتي لأنني كنت أصغرهم) يرجع فضله تماماً إلى محادثات العشاء تلك. وبعد السنوات العديدة من ذلك العشاء العائلي الصغير وتلك المحادثات توفّر لي وإخوتي الكثير من المعلومات حول الشعر والفلسفة والأدب والدراسات الإسلامية. لقد أعطتنا هذه السنوات

¹ ابنة الأستاذ فيضان الله الفاروقي

² عضو في أكاديمية التدريب العالي وسفير مجتمع ويكيت وخبيرة مايكروسوفت العالمية وفائزة جائزة الرئيس للإبداع والتميز

فهماً لمدى أهمية بقاء الشخص مع عائلته إلى نهاية يومه، ومدى التأثير الكبير الذي تركه له هذه الفرص العائلية الصغيرة.

إذا كان بإمكانك إطلاعك على بعض منها، فإن رواية القصص كانت جزءاً من طقوس يومية ليلاً بالنسبة لي، فكنت أصرّ عليه دائماً أن يذكر لي قصة واحدة وبعدها فقط سأنام، فكان يروي لي أبي قصصاً يخلقها لـ"ملا دويازا" (Mulla Do-piyaza)، اسم الشخصية التي سمّاها كذا وهي مضحكة، وغامضة بعض الشيء، ولكن طاوية بين جنبها عبرة ما.

وذكرى أخرى ثمينة لدي وهي: عندما اعتدنا لعبة "موتهي موتهي" (Muthi Muthi) - لعبة جماعية بالكفوف المغلقة جعل الوالد أن يضع بعض النقود فيها، وكان علينا جميعاً أن نخمن كم هي فيناها من نخمن صحيحاً، ولكن سيتعين عليه مشاركة النقود التي ربحها مع الأعضاء الآخرين أيضاً. في السنوات القليلة الماضية لعبتها مع ابنة أخي خديجة.

في بعض الأحيان، كانت لهذه اللعبة طريقة أخرى مختلفة حيث كان هناك سحب ورقة لشوكولاتة ذات خمسة نجوم، ومع كوكا كولا مجاناً. نظراً لأن الشوكولاتة كانت واحدة فقط وكنا نحن الثلاثة ننازع لها، فقد كتبت على الورقة أسماءها جميعاً، وتلك لكي نجد حصتنا متساوية.

من بين كل هذه الألوان والانطباعات التي تركها لنا والدي، فإن الشيء المهم هو الحرص على التعليم والمعرفة، لتتقدم في مجال العلم يوماً بعد يوم.

وبما أنني بنت فقد شهدت الكثير من الفروق في معاملة وتربية الطفلة والطفل في أسرنا الشاملة كل ذوي قربي الوالد والوالدة. ولكن أبي لم يفرق أبداً ولم يضع أي نوع من العوائق عليّ كأثني. فكانت لدي الحرية الكاملة في أن أحلم وأن أصير ما

أريد أن أصبر، وكان يؤكد بشكل خاص للغاية على أهمية أن أكون مستقلة مآلاً. وعندما بلغت من السنّ وكبرت فكانت أغلب مناقشاتنا حول مكانة المرأة في الإسلام وحقوقها وواجباتها. إنّ حديثه العادي اليومي الذي أعطاني الكثير من الوضوح لأتمكن من الوقوف على أسس خاصة بي كما أعتقد، والآن أفهم سرّه في قضاء حياة راضية ومرضية.

فعل الوالد شيئاً واحداً بسيطاً، لقد فعل كل ما هو ممكن (صغيراً أو كبيراً) بصفته لنفسه ولعائلته والأشخاص من حوله، حتى بالنسبة لشخص غريب. في العادة كان يفعل ما يفترض به أن يفعله، وترك الباقي على الله. من خلال قضاء مثل هذه الحياة العادية والبسيطة، فقد أثر في العديد من الأرواح. كم مرة نعتقد أنّ كون المرء عادياً يمكن أن يكون له مثل هذا التأثير غير العادي على حياة العديد من الأشخاص.

كان موته بمثابة صدمة مفاجئة لنا جميعاً، ولكنه دعي إلى خالقه الذي نرجع إليه نحن جميعاً. مرّ نحو عام على وفاته، وقد توصلت إلى هذا الإدراك، أنه لا يوجد قدر من الكلمات، أو الوقت يمكن أن يمنحني الإنقاذ من هذا الحزن على وفاته المفاجئة، ولكن لدي ذاكرته وذكريات حياته لتهديني في الحياة. أود أن أنهي هذا الحديث بشعره التالي:

کبھی ملے مجھے تعبیرِ خواب کی صورت کبھی میں دیکھوں تمہیں خوابِ منتظر کی طرح
ترجمہ: أحياناً وجدتک تتأویل للرؤيا، وأحياناً أراک کلم أنتظره.

وقفات مع الأستاذ الفاروقي

- د. محمد نعيم¹

تعتبر فترة الدراسة إحدى أهم المنعطفات في حياة المشتغلين بالدراسات العليا أو التعليم الجامعي، يمر الطالب خلالها بتجربة ممتعة ومريرة معاً. إذ هي تأتي حرة طليقة عن الكثير من المحظورات والعقبات والتي تعود بها في النظام المدرسي. وهذه الفترة تختلف كماً وكيفاً بالنسبة لشخص إلى شخص. فهي تمثل زماناً ينشأ فيه شعور الوعي تجاه العلوم والمعارف كما يعرف الطالب بمختلف أطوار الحياة ومقتضياتها ونصيبها من الثقافة والعلم. ويقوم خلالها الطالب أو الباحث بجولة ممتعة تمتد من التعليم والتربية والنشوء الفكري والنضوج المعرفي حتى العمق العلمي والمهارة الوظيفية في مجال يختاره عن طريق التدريبات العملية.

وطرافة هذا الجانب من السفر العلمي هو أنّ الطالب يلتقي طلاباً آخرين يشبهونه سناً وفكراً ومدارك وربما أكثر منه، يأتون من خلفيات ومناطق تتنوع حضارة وثقافة ومستوى للعيش كذلك. ونرى هذا الجانب من المجتمع الهندي بارزاً في الجامعات الهندية المختلفة، غير أنه لا يحول دون الاعتراف بمنبع الحكمة والمعرفة. وبالتالي، ينهض مواطننا مثقفاً كريماً.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الحرم الجامعي يلعب دوراً ريادياً في بناء شخصية الطالب وصقل مواهبه ويحفزه إلى المضي قدماً في مسيرة الحياة التنافسية. فالبينة السائدة طول الحرم الجامعي وعرضه هي من الدوافع الأساسية في إنهاض شامل ونمو تام للطلاب والباحثين. ولا شك في أنّ النظام الدراسي للجامعات وهيكلها، يأتي في

¹ معلّم اللغة العربية، معهد كوسمو لتعليم اللغات الأجنبية، نيودلهي

مقدمة مبادراتها التعليمية.

هذا، وما زال دور الأساتذة والأوساط الأكاديمية قوة دافعة لدفع عجلة التعليم والتثقيف. فهم يمثلون كواكب نيرة تحمل إشراقات أنوار المعرفة التي تزداد أضعافاً مضاعفة كلما توزع بين أصحابها بدون زيادة ونقص. فالأساتذة هم الذين وجدناهم مخلصين يبذلون ما عندهم من غال ونفيس بلا خوف لومة لائم ولا تمسهم مخافة النقصان والضياع في حين. وتلك هي العاطفة الصادقة والحب نحو نشر العلم وإشعال مصابيح التي تظل مشرقة حتى بعد رحيلهم. فطوبى لمن تصادفوا بأمثالهم واستفادوا بهم أثناء سفرهم الدراسي.

وما زلت أتمتع بحظ وافر من أمثال هؤلاء الأساتذة الجامعيين الذين كانوا يمتلكون قلباً نابضاً بروح التبادل العلمي، إلى جانب تمتعهم بغزارة الثقافة والمعارف. فكانت لي وقفات مع العديد من الأساتذة بصفتي طالباً وباحثاً تعلّمت فيها واستفدت. حقاً، إنها كانت فرصاً ذهبية ممتعة قلما نتاح لشخص مثلي. ولو أنّ هذه الوقفات تختلف طولاً وقصرًا، إلا أنها لا تقل أهمية من حيث الاستفادة والانتفاع.

والحمد لله، كانت لي وقفات مع الأستاذ الفقيه الراحل رحمه الله، بصفتي باحثاً على المستويين: الشهادة ما قبل الدكتوراه والدكتوراه كذلك تحت إشرافه الكريم. فكان مشرفاً شفوياً ومرغوباً إليه، مع امتلاكه ناصية العلوم والمعارف لا سيما الأدب العربي الكلاسيكي والثقافات الإسلامية الفقهية. وبهذه المناسبة، يسعدني أن أحيط السادة القراء علماً بأنه أتيحت لي وقفة ممتازة مع الأستاذ لأول مرة عندما تقدمت للمقابلة الشفهية للماجستير في جامعة جواهر لال نهرو بنيو دلهي. ولم تكن بيني وبينه أواصر في سابق الأوان ولا الأساتذة الآخرين في مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لعل نهرو.

ومن المعروف أنّ المقابلات الشفهية آنذاك، كانت تعتبر نقطة تحول بالنسبة للقبول

مجلة الهند.....وقفات مع الأستاذ الفاروقي

والرفض. إذ كانت تشكّل 30 درجة وكانت تؤدي دوراً مهماً في تحويل مجرى حياة الطالب الأكاديمية. بجامعة جواهر لعل نهرو كانت ولا تزال إحدى الوجهات المفضلة لدى الطالبين والباحثين بفضل ما يوجد فيها من بيئات التبادل العلمي والنقاش المفتوح حول الموضوعات ذات الصلة بالمجتمع والسياسة الدولية منها والوطنية.

وبالتالي، دارت بيني وبين الأستاذ الراحل سلسلة الأسئلة والاستفسارات، رددتُ على بعضها بينما بقيت أخراها غير محاب عنها. وأخيراً، من حسن حظي، نجحت ودعيت للالتحاق بالجامعة على مستوى الماجستير باللغة العربية وآدابها. حقاً، إنها كانت لحظة سعيدة حاملة بالنسبة لي في عام 2009م. وأني أذكر بدقة أنه وقت ما قلت عن مدرسة تخرجت فيها ولم تكن غريبة، إلا أنني وجدت أسارير وجهه تغيرت، ومن هنا توالى موجة الأسئلة واحدة تلو أخرى، وأسفرت عن التكرم بقصص النجاح أخيراً.

ودعني أشارككم أنه كلما تهيأت لي فرصة الاستفادة بالأستاذ الفاروقي، استفدت منه ومن مجالسه الموفورة بالرأفة والحنان والتبادل العلمي حول الموضوعات ذات الصلة بالثقافة والأدب. خلال هذا السفر الجميل، توصلت إلى أنّ الفقيه، رحمه الله، حظي بقدر وافر من الدقة العلمية والثقة في الأدبين: العربي والأردني، كما استوعب الآداب الأخرى إلى جانب العلوم الإسلامية القحة.

أما التعاملات والسلوكيات السليمة مع الطلاب الباحثين والزملاء الأكاديميين منهم، فكان قد رافقته الشفقة والاحترام المتبادل وليس غيره، لا يشوبه سوء النية والكرهية والتذمر أو أمثالها من أطوار شائعة. هذه وأنواعها من الوقفات، هي التي تميزه عما عداه من الأساتذة الجامعيين، والتي قلبا توجد في أشخاص فائزين بمثل منصبه الجامعي. فقد ترك آثاراً تذكارية لا تزال ألسنة الأوساط الأكاديمية في الهند بتذكارها ندية وتردادها ذكية. أسأل الله العلي القدير أن يتغمد الفقيد الراحل بواسع غفرانه

مجلة الهند.....وقفات مع الأستاذ الفاروقي

ورحمته ويجزل مثوبته من عنده ويسكنه فسيح جناته مع عباده الصالحين.

وأخيراً، يسرني أن أتقدم بباقات التهاني والتبريكات إلى المهتمين بهذا العمل الجليل،
لاسيما الأستاذ الدكتور أرنك زيب الأعظمي، الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
بالجامعة الملوية الإسلامية، نيو دلهي، على إتيان هذه المبادرة الهادفة إلى تسجيل
المواقف عن الأستاذ الفاروقي، رحمه الله. فهي خير مثال للحفاظ على التراث العلمي
القيم وذكريات أصحابه بشكل أحسن. وشكراً.

رحيل الفاروقي.. خسارة هندية-عربية

- د. معراج أحمد الندوي¹

قطفت جائحة كورونا صباح الأربعاء الماضي (22 يوليو) حصادها الثاني من الثقافة العربية في الهند، إذ توفي البروفيسور فيضان الله الفاروقي أستاذ اللغة العربية في جامعة جواهر لال نهرو، إثر إصابته بفيروس كورونا الذي يهدد الحياة البشرية اليوم.

لقد كان الأستاذ الفاروقي علماً من أعلام الثقافة العربية الذين بذلوا جهودهم في ترويح اللغة العربية وآدابها تدريساً وتأليفاً، كما كان مثلاً للسلف الصالح بعبه وزهده وورعه وتقواه، وتميزه بالكرم، والشفقة على طلبته وحبهم، ورشدهم.

من ناحية أخرى، يعدّ فيضان الله الفاروقي مرجعاً أساسياً في القواعد النحوية والصرفية، كما كان مصدرًا مهمًا في الشعر العربي الكلاسيكي بالهند، والنقد البناء، وهو ما حفلت به محاضراته أو في محافل أدبية أخرى.

لقد كان الأستاذ الفاروقي يحفظ عن ظهر القلب كثيرًا من الشعر العربي والأردي والفارسي، كما تربّى على قيم مدرسة سلفنا الصالح، وحافظ على تلك الروح الخالصة من غزارة العلم والتبحر، ودقة النظر في القضايا العلمية واللغوية.

برحيله فقدت الهند والأمة الإسلامية والعالم العربي شخصية علمية عظيمة.. وهكذا بدأت تطوى المائدة للثقافة العربية التي بسطها الجيل السابق.

يذكرنا الفقيد الأستاذ الفاروقي بالزهد والتقوى، والتواضع، لهذا يمكن القول

¹ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عالية، كولكاتا، بنغال الغربية

مجلة الهند..... رحيل الفاروقي.. خسارة هندية عربية

أنّ مثله لا يموت، بل هو باقٍ في أعماق قلوبنا.
رحمك الله يا أستاذنا الفاروقي، وأن لك أن تستريح في جنات الخلد، بعد تلك
الجهود المثمرة، حيث كرّست حياتك للعربية، فكنت نعم الأستاذ.¹

¹ مع الشكر لصحيفة الرؤية، 25/ يوليو 2020م

يموت العالم.. والعالم يفوته

- د. معراج أحمد الندوي¹

في زمن كورونا يكثر الرحيل، ويخفّ الحمل الثقيل، فالموت سفر كامل، سفر آخر من هذه الدنيا الفانية. تفيدنا جائحة الكورونا درساً بأنّ الشجر أطول عمراً من البشر على وجه الأرض المعمورة. يرحل الراحلون، فيصيبنا رحيلهم بالحزن والألم، بالدهشة والخيرة، يذكّرنا رحيلهم أنه ليس البقاء إلاّ لله العليّ الحكيم.

وكلّ إنسان وإن عاش سنين طويلة، لا محيص له من الموت، فالرحيل عن الدنيا يقصّ علينا قصة الموت التي نتحاشى أن نسمعها ويسرد لنا الحكاية التي لا نكتبها، وهذه هي الحقيقة التي لا نذكرها كثيراً ولكننا في قرارة أنفسنا لا ننكرها، الموت المفاجأة الوحيدة التي تظلّ مفاجأة مؤلمة لا تتغير.

رحل صباح اليوم الأستاذ الفاروقي من هذه الدنيا الفانية وترك خلفه آثاراً وذكريات، ومضاتٍ ولمسات، غير أنّ كلماته وذكرياته وحكاياته ورائحته لا تموت فينا، وتبقى رائحته العطرة في قلوبنا.

كان الأستاذ الفاروقي مثلاً للسلف الصالح بعبه وزهده وتقواه، وكان المعلم الشفوق كما كان قلبه الكبير الذي يخفق بالحبّ حتى لمن أساء إليه، كان هو الإنسان المتواضع، مثله لا يموت لأنه باقٍ في أعماق قلوبنا.

لقد كرّس حياته في ترويح اللغة العربية وآدابها تدريساً وتأليفاً وبذل كلّ ما وسعه في نشر الثقافة العربية والإسلامية في الهند، كان مربياً للأجيال في العلوم والفنون، ورمزاً من مدرسة سلفنا الصالح، حافظ على تلك الروح الخالصة من غزارة العلم

¹ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عالية، كولكاتا، بنغال الغربية

والتبحر ودقة النظر في القضايا العلمية واللغوية.

ومن سماته البارزة أنه كان يحفظ عن ظهر القلب كثيراً من الشعر العربي والأردني والفارسي، له اليد الطولى في فهم الشعر العربي القديم والنقد الأدبي، وكان يروي في محاضراته الكثير من قصائد المتنبي في الحكمة والفلسفة ثم يقارنه بالآيات الأوردية التي قرضاها الشاعر الأردني غالب في نفس المعنى والمفهوم. كان يحاول الأستاذ الفاروقي أن يجدد فن العروض ويربي عليه طلابه في المشهد الأدبي.

واليوم أقلعت جائحة الكورونا الشجرة الخصبية المثمرة التي كان يستظلها الطلاب حين أغارت عليهم المشكلات العلمية واللغوية، وهو يسمع بكل هدوء ثم يجيب في ضوء التيار العلمي الجديد. فقدنا اليوم أستاذاً جسدياً ولكن ذكرياته ولمساته وجهوده لغرس القيم النبيلة تبقى فينا وتعطر نفوسنا.

الموت هو الرحلة الوحيدة والأخيرة التي لا تحتاج إلى دليل أو خارطة كي نصل إلى محطتها. الموت هو السبيل، لا بد أن نسلكها طوعاً أو كرهاً. يذكّرنا الراحل الفقيد الأستاذ فيضان الله الفاروقي أن تتأمل عن الحياة من قلب الموت حتى نحى راضين واثقين ونرحل بطمأنينة القلب مبتهجين بلقاء الله.¹

¹ مع الشكر للهندية، 22/ يوليو 2020 م

حوار مع البروفيسور فيضان الله الفاروقي

أجراه: د. محمد ريجان الندوي¹

[إننا سعداء جداً إذ نستفيد في هذا العدد من تجارب حضرة الأستاذ الفاضل فيضان الله الفاروقي. إنه من مواليد العام 1952م، ودرس وعلم وأفاد سنوات عديدة، فقد بدأ مهنة التدريس من الجامعة المليية الإسلامية بنيو دلهي، ثم درس في جامعة بروده، وبعدها في جامعة الإيفلو بـحيدرآباد، وفي النهاية ألقى عصاه في جامعة جواهر لعل نهرو وتقاعد عن خدمتها في 2017م. وقد استفاد من عبقريته عدد من أساتذة المدارس والجامعات الهندية. إنه خبير في مجال الشعر والنثر والنقد، وسنتحدث معه عن الأدب والشعر في هذا الحوار مع الإشارة إلى حياته وخدماته وآثاره العلمية والأدبية- د. الندوي]

س: أرجو منكم التفضل بإفادتنا بأبرز المحطات العلمية والشخصية؟

ج: كان والدي المحترم من خريجي المدارس الإسلامية وكان رجلاً دينياً بسيطاً فعلمني مبادئ العلوم الإسلامية والقرآن المجيد، ثم ألحقني بمدرسة إحياء العلوم القريبة من قريتي (كوريا بار، أعظم كره) وقضيت بها سنتين كاملتين قد حفظتُ من خلالها الكافية وهداية النحو من البداية إلى النهاية حتى حفظتُ الحواشي عليهما فقد ركب الأساتذة العجب حين اختبروني إذ إنني وضّحت لهم الأصول حتى الفروع، ثم قصدت إلى دار العلوم بديوبند وتخرجت منها سنة 1964م ثم عزمتم أن أكتسب مزيداً من العلوم والفنون فتم التحققي بجامعة غورخبور، وبعد ذلك وُفق لي القبول في جامعة إله آباد التي أكملت فيها الماجستير والدكتوراه ونلتُ هاتين الشهادتين في عام 1984م.

¹ مشارك التحرير لمجلة "أقلام الهند" الفصلية الإلكترونية، وقد أجرى الدكتور الندوي هذا الحوار لمجلته فنشره فيها (السنة: 2، العدد: 4)، نشره في مجلتنا شاكرين له ولمجلته.

س: مَنْ هم الذين أبرزوا في بناء شخصيتكم العلمية والأدبية؟

ج: في المراحل الابتدائية من الدراسة كنت متأثراً بخالي المكرم حفيظ الرحمن الأيمن (أيمن كان اسمه الشعري). في الحقيقة كان خالي المحترم رجلاً بسيطاً يبدو من صورته كأنه لا يعرف شيئاً من الدين والدنيا بيد أنه كان متقناً في العربية والأردية والفارسية والإنجليزية، وكان يدرس هذه اللغات والمواد المتعلقة بالعلوم الإسلامية في مدرسة إحياء العلوم، وكان شاعراً بارعاً مطبوعاً، إنني تأثرت بحضرته وشخصيته. وبعد ذلك إنني تأثرت كثيراً بأستاذي الجليل المفتي يس الذي كان رجلاً بسيطاً كذلك وكان إماماً في العلوم الإسلامية ومفتياً وفقهياً نادراً في الفقه الإسلامي وكان من صدور الفقهاء فدُعي إلى دار العلوم ليكون أستاذاً فيها، ولكنه لم يقبل هذه الدعوة. إنه كان معلماً ناجحاً ومقبولاً تأثرت بعلمه وفضله وعلو كعبه في الفقه الإسلامي إذ أن الناس لم ينكروا فتاواه قط لا في الهند ولا في خارجها. لازمته في بيته وسوقه، في حله وترحاله وفي ذهابه وإيابه فله دور كبير في تربيتي وثقيفتي. أما في الجامعات العصرية فعلي فضل لا يستهان به للأستاذ الفاضل العبقري السيد رفيق أحمد الذي كان مشرفي على رسالة الدكتوراه. كان يعرف سبع لغات كتابة ومحادثة من العربية والفرنسية والتركية والإنجليزية والفارسية ومن اللغات الوطنية المختلفة، كنت ألزمه في بيته ومكتبه وأسفاره. كان من عادته أن يتكلم العربية مع كل شخص حتى من شيخ الجامعة والبقال، يبتدئ كلامه من العربية ثم يترجم ما قاله إلى الأردية، حتى بدأ الناس يقولون عنه: رفيق مجنون. لو يتكلم العربية تظن أنه عربي مُحّ ولو يتكلم الفرنسية تعتقد بأنه نزل حالاً من فرنسا للمحاضرة والخطابة. قضيتُ معه خمس سنوات كاملات، وتعلّمت علوماً جديدة وفنوناً حديثة على حضرته.

س: كيف كانت مسيرتكم العلمية مع الأستاذ السيد رفيق أحمد؟

ج: كان الأستاذ السيد رفيق أستاذاً كبيراً يعلّمك النقاط العلمية خلال التجوال

وأثناء الحوار. مضت ثلاث سنوات ولم أكتب ولو بحرف للدكتوراه فذهبت إليه وسألته: يا أستاذي، ما بقي إلا وقت قليل لتقديم رسالة الدكتوراه فإنني أقرأ وأطالع فقط، فتي نبدأ الكتابة؟ فأجاب بكل طمأنينة. يا فيضان، اقرأ وقرأ حتى ينطق قلبك، وحينما تقرأ كثيراً تأتي الفكرة النيرة والأسئلة العلمية ولكن تجد الأجوبة والرد عليها خلال المطالعة والدراسة، فهكذا كان. وكان يقول لي: لو تحلم في اللغة العربية وتخيّل فيها فعني ذلك: الآن عرفت اللغة وإلا فلا. ومن مقالاته: إنّ أدنى مهارة لغوية أن تقدر على أن تسبّ وتشمّ في اللغة وتعبر عن غضبك عند الحدة.

س: ما هي الكتب العلمية والأدبية المفضلة لديكم؟

ج: كتابي المحبوب بعد كلام الله المنزل "حجة الله البالغة" للإمام الهندي الشاه ولي الله الدهلوي قرأته مرات عديدة، وبعد ذلك لو تأثرت بأيّ كتاب علمي واستفدت منه كثيراً في حياتي العلمية فهو كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي. وأما من كتب الأدب فالسبع المعلقات، مجموعة شعرية محببة، تأثرت بأسلوب المعلقات وابتكارها وجدّتها، ولكن لم أقتنع قط بأفكارها ومواضيعها.

س: ماهو اختصاصكم العلمي والأدبي؟

ج: اختصاصي الشعر الكلاسيكي والحديث. فقد حفظتُ منذ الطفولة ألوفاً من الأبيات العربية والأردية والفارسية. وما حاولتُ حفظَ الشعر قط إلا أنني طالعتُ أو سمعتُ البيت فاستقر في ذاكرتي وذهني والله الحمد على ذلك.

س: كم ديواناً للشعر حفظتموه؟

ج: ما حفظتُ ديواناً كاملاً لأيّ شاعر، ولكن حفظتُ ألوفاً من الأبيات والقصائد لامرئ القيس والفرزدق وأبي تمام والمتنبي ولأبي القاسم الشابي. ولمير وغالب وإقبال، ولشعراء الفارسية أيضاً.

س: مَنْ هو أشعر الشعراء لديكم في هذه اللغات الثلاث: العربية والفارسية والأردية؟

ج: أعتقد أنّ غالباً وإقبالاً لهما الفضل على شعراء العربية والفارسية، ولم يولد شاعر في هاتين اللغتين يتفوق عليهما.

س: فإذا تقولون أنتم عن المتنبي وحافظ؟

ج: لا شك في أنّ المتنبي شاعر كبير ولكن لم يبلغ درجة غالب وإقبال، بل إنه ضاع قريحته في المدح والفخر وفي مبالغة مدح الملوك والأمراء، أما حافظ فكان غالب يتنى أن يبلغ شهرته ولكن أعطاه الله القريحة السليمة ففاق (غالب) عليه (حافظ).

س: هل أنتم تقرضون القصائد والأبيات في العربية والأردية؟

ج: لا أقرض القصائد والأبيات في العربية، ولكنني أكتب القصائد والأبيات في الأردية أحياناً.

س: ما هي الموضوعات التي تناولتموها في الشعر وهل أنتم تريدون نشر ديوانكم الشعري؟

ج: تناولت مختلف مواضيع الغزل والنظم، وهي قلائل لا تبلغ حجم الديوان، ولكن لا أريد نشرها.

س: مَنْ هم الشعراء الممتازون العباقرة من منظوركم الخاص في العصور العربية المختلفة؟

ج: أفضلهم امرؤ القيس فله سبق على جميع شعراء الجاهلية. إنه شاعر مطبوع عبقرى من حيث الفكر والإبداع. أما زهير بن أبي سلمى فإنه شاعر كبير ولكنه لم يكن شاعراً عبقرياً بل كان يفكر ويدبر ثم يقرض الأبيات، ولم يفق أحدُ امرأ القيس. وفي العصر الأموي نجد الفرزدق شاعراً عبقرياً وأما جرير فهو نابغة، تجد في شعر الفرزدق طراوة ولذة وإبداعاً. أما في العصر الحديث فكان أبو القاسم الشابي التونسي شاعراً عبقرياً ممتازاً ولكن لم يوفق إلا قليلاً من العمر فعاجلته المنية. كان

في شاعريته جذوة النار والفكرة والإبداع والجدة.

س: كيف ترون الشعراء العربية من الهند أمثال الشاه ولي الله و غلام علي آزاد البلغامي وأمثالهما؟

ج: لم أجد في شعر هؤلاء أيّ جدة وابتكار وندرة، كانوا ينظمون القصائد على منوال الشعراء الكلاسيكيين فقط ولا غير، ولكن كان يوسف البنوري شاعرًا ممتازًا عنهم.

س: أيّ مشورة للطلاب الهنود الذين يريدون أن يكونوا شعراء للعربية؟

ج: أولاً: يجب عليهم أن يلبّوا بالكلمات العربية ومدلولاتها حتى يفهموا الأبيات والقصائد بدون عون المعاجم، وأن يراجعوا دواوين الشعراء للعصر العباسي فقط، كما يجب عليهم أن يكونوا متضلّعين في القواعد وعليّ البيان والعروض، ثم في هذا العصر يمكن لهم أن يعقدوا أواصر الودّ والصدّاقة مع الشعراء العرب عبر الإنترنت أو وسائل التواصل الأخرى فيراجعوا إليهم ويستفيدوا من نصائحهم.

س: ما هي المؤلفات العلمية والأدبية لفضيلتكم؟

ج: لي مؤلفات عدة مطبوعة في اللغة الإنجليزية وهي كما يلي:

1. Lucknow: a center of Arabic and Islamic studies, during 19th Century.

وقد نقله الدكتور أورنك زيب الأعظمي إلى اللغة العربية باسم "لكناؤ: مركزاً للدراسات العربية والإسلامية خلال القرن التاسع عشر". تم نشر الكتاب المترجم من باكستان.

2. وقد قُتُ بنقل كتاب "منتخب أحاديث" الشهير لمولانا الشيخ يوسف الكاندهلوي إلى اللغة الإنجليزية.

3. وقد نشرتُ جزءاً من كتابي "An Applied Grammar of Standard

Arabic" (النحو التطبيقي) وسيتم نشر الجزئين منه قريباً إن شاء الله.

س: ما هي المشروعات العلمية والأدبية لديكم؟

ج: أولاً: شرعتُ في الموازنة بين غالب والمتنبي، المواد والخطة كلها موجودة سأبدأ الكتابة وأكمل هذا المشروع قريباً. وثانياً: كتاب تحت عنوان "النحو التطبيقي" أكملتُ الجزء الأول منه وبقي جزأه الثاني والثالث. أما المشروع الثالث: فهو الموازنة بين الشعر العربي والشعر الفارسي، هذا الأخير أمر عظيم ولكن تمّ أخذ المواد وسأبدأ العمل أيضاً.

س: أي نصيحة للطلاب والقراء..

ج: أقول بكل شدة وكلّ يوم لطلاب العربية وغيرها أن يستعدوا لامتحان الخدمات المدنية (IAS) فإنّ صاحب الخدمات المدنية ينجز برّنة واحدة ما لن يسعه هتافاتٌ وعراقيلُ لجمع غفير من الطلاب والأساتذة.

قصيدة
في مدح
البروفيسور فيضان الله الفاروقي

- د. أورك زيب الأعظمي¹

ألا هيّ وقومي بالصبح	ولا تُبقي لها حتى القدح ²
فإني في الثناء على كبير	قريع ³ في الرجال ذوي الجموح
يحبّ العلم مُدّ كان صبيّاً	يخلقُ حوله مثل القدوح ⁴
إذا حظي رجالاً بارعين	فيدنو منهم وبهم فروج
فقيه يستدلّ بالكتاب	وبالمأثور والسنن قوج ⁵
أديب فاق أقران زمانه	وفي القول يسوّى ذا القروج ⁶
فصيح في الكتابة والكلام	ولا سيّ له غير الفصيح ⁷
يُحظّي بالبراعة في الفنون	وبالأصناف للعلم فؤوج ⁸
فأحصى كلّ بدع في الكلام	خييراً بالفنون سوى الأزوج ⁹

¹ مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليّة الإسلامية، نيودلهي

² القدح: ما بقي من الماء في أسفل الإناء

³ قريع: مختار

⁴ القدوح: الذباب

⁵ قوج لكذا: شروب له

⁶ ذو القروج: لقب لامرئ القيس

⁷ فصيح: لبن خالص من دون الرغبة

⁸ فؤوج: من فوح رائحة الزهر

⁹ الأزوج: متخلف

له موجُ بحرٍ من علومٍ	تبقي ماؤه غير النشوج ¹
يقدم كل من يأتيه عدوا	من الطلاب شيئاً من فتوح ²
فيقنع كل من يأتيه سؤلاً	ولم أر في البلاد له كفيج ³
له نكت لها جذب عجب	قوي عقله عين النفوج ⁴
يضيف كل من يأتيه خيراً	وليس كلابه ذات النوج
إذا ما أشكل أمر عليك	وجدت جنابه غير النزوح ⁵
وجدت جنابه حين اقتربت	إليه فاقد الخلق القبيح
ينور ما يزور من البلاد	بليل قائم وبنهر روح
هو والعلم والتقوى كأنه	ينوط الجسم للهـاء بروج
بحث عن رجال يعدلونه	فلم أظفر بعلام فصيح
إلهي: لا تقصر من حياته	ومن فيضانه طي الكشوج
وزدنا، ربنا، علماً وتقوى	وما يرضيك من عملي صريح

¹ النشوج: الماء القليل

² فتوح: الماء الجاري في النهر

³ كفيج: نظير

⁴ النفوج: القسي التي تدفع السهم بعيداً

⁵ النزوح: البعيد

رثاء

البروفيسور فيضان الله الفاروقي رحمه الله

- د. أورك زيب الأعظمي¹

تعالوا لنبك خير كل أساتذ ²	توفاه رب الناس إذ كان مخلصاً
توفاه إذ كان رضيعاً لآله ³	توفاه إذ ألقى إلى داره العصا
توفاه إذ كان كثيراً نصيبه	ليخدم علماً أو لينشئ شبرصاً ⁴
لقد كان جواداً صوب البصارة	ولو كان ضمراً أو بدا لك أخوصاً ⁵
لقد كان ذا لونٍ شديدٍ بياضه	وفي اللحية السوداء وجهه دملصاً ⁶
وكان ضمير البطن والجسم والخطي	فما كان هياباً ولا كان بخلصاً ⁷
وما كان يشكو من طعامٍ محضّر	ولو كان حلواً أو تسميه أمصاً ⁸
لقد قام بالتعليم طول حياته	وقد قام بالتنبيه كلاً إذا عصا
لقد كان يولي بالصغار اهتمامه	لينشيئهم خيراً كمن صار جليصاً ⁹
وكان الفقيد صابراً أي صابراً	على كل ما جاء، ولم يتبعصاً ¹⁰

¹ مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المالية الإسلامية، نيودلهي

² حذفت التاء لضرورة الشعر

³ والآل يعني أهله وأصحابه معاً

⁴ شبرص: جميل صغير

⁵ أخوص: ضيق العين وصغيره

⁶ لمع كالبرق

⁷ بخلص: كثير اللحم غليظه

⁸ أمص: طعام مشوي

⁹ جليص: عمل التهذيب في الرباعي

¹⁰ تملل، اضطرب

وكان غيوراً لم يختر جبينه
وكان سديد القول والفعل والنهى
وكان أديباً ذا لسانٍ يطيعه
وكان يقوم ثابتاً ضد آفة
فما فرّ من داءٍ ولا راعه الوباء
وجدتُ أثري⁸ ذا حياء وعفة
ولم يؤذِ أحداً شيخناً في حديثه
لقد أثبتَ دونَ الجارِ كأنه
ويكرمُ كلاً طال سنّاً أو اقتصر
لقد جمّع كلَّ قديمٍ وما استجد
وكان يضاهي كلَّ فحلٍ وجهيد
وكان يفيدُ كلَّ جاءٍ وآتية

فلا في عليّ أو سفيل¹ تبصبصا²
وما كان يهدينا إذا لم يترصا³
أطال الكلامَ أو إذا شاء حامصا⁴
وثيقاً برّب كالبنا مرصصا⁵
وإذ هدّه⁶ الكورونا فما هو بلاصا⁷
يخاف الإله، لم يكن متبهلصا⁹
ولا بالثقال فوق آخر جصصا¹⁰
قطع من الصبر فلم يتجنصا¹¹
ويرجع تواً إذ رأى الحق حصصا
وكلّ مفيدٍ كان شينخي أحفصا¹²
ولو كان شيلياً، ولو كان أحوصا¹³
فما كان بخالاً ولا هو قترصا¹⁴

¹ السافل الناقص الحظ

² تبصبص: تملق

³ ترصه: أحكمه

⁴ قصيراً وممتداً

⁵ رصصه: أحكم بنيانه

⁶ هدّه: هدمه وضعضعه

⁷ بلاص: فرّ

⁸ الرجل الأثير: المكين المكرم

⁹ تبهلص: خرج من ثيابه

¹⁰ جصص: حمل

¹¹ تجنص: رعب رعباً شديداً

¹² اسم تفضيل من حفصه: جمعه

¹³ شاعر عربي شهير

¹⁴ قترصه: قطعه

وكان بديهاً في السؤال وردّه
وكان خبيراً بالعروض وما بها
وإن كان شعرٌ بالبيان معقّداً
وجدتُ كلاباً لا تهرّ ببابه
وكان تقيّاً صالحاً ذا كرامة
فيا ربّ، هذا عبدك البرّ فاسقه
ويا ربّ، فاغفرْ للذنوب التي جرت
ووفقْ جميعاً أن يروا ما رأى به
وكفرْ خطايا الشاعر الأعظمي إذ
وهذا قليلٌ من كثيرٍ لذكره
ولو كان شعراً أو بنثرنا شتأصاً¹
ويدي بياناً في البديع مؤصّصاً²
فزرناه فوراً أنه كان رخّصاً
بضيفٍ أتاها أو بمن قد تبصّبصاً³
وكلّ خصالٍ الخير شيخي تمصّصاً⁴
بكأسِ الرسولِ أو معيناً مخصّصاً
بدون مُرادٍ أو بما كان أحرصاً
وأن ينجوا ما سار سيراً مُفحصاً⁵
تتلهدّ للشيخ وبالكل فصفصاً⁶
وما اسطعتُ تفصيلاً فجئتُ ملخصاً

¹ شتأص به تخلص

² مؤصّص: قوي

³ تبصّص: سار سيراً سريعاً

⁴ أي لبس خصال الخير

⁵ أي بالبحث والتحقيق

⁶ أي لم يكذب فيما قال

في رثاء البروفیسور فیضان اللہ الفاروقی¹

- أ.د. زیبر أحمد الفاروقی²

پھر بزم دوستاں کو رلایا فلک نے آج اک دوسرا چراغ بجھایا فلک نے آج
تازہ تھا قلب و جاں میں ابھی ایک سانحہ اک اور تیر دل پہ چلایا فلک نے آج
اک مظہر کمال کہ فیضان کہیں جسے وہ مظہر کمال مٹایا فلک نے آج
وہ اک ستون قصر ادب قصر علم کا افسوس وہ ستون گرایا فلک نے آج
اک ذرہ منیر اٹھا کر زمین سے اپنی جمیں کو خوب سجایا فلک نے آج
وہ حسن خلق حسن عمل بیکر خلوص کیا درّ بے بہا تھا چرایا فلک نے آج
کیا شان تھی جو اہل زمین کو لبھا گئی کیا بات تھی جو پاس بلایا فلک نے آج
"کیا اعتبار ہستی ناپائدار کا" یہ درس ہم کو یاد دلایا فلک نے آج

نقلها إلى العربية: د. أوردنك زيب الأعظمي³

ولقد أبكت السماء مرة أخرى نحن الأحبة	إذ أطفأت سراجاً آخر من سرجنا (المنيرة)
ولمّا ينس القلب فاجعة أصابته	إذ رمت السماء بسهم آخر إليه

¹ هذه أبيات أردوية قالها البروفیسور زیبر أحمد الفاروقی حین وفاته فی 22 یولیو 2020م. نقلناها إلى العربية لاستفادة قراء المجلة.

² أستاذ متقاعد عن قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الملّية الإسلامية (نیو دلهی)

³ مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملّية الإسلامية، نیو دلهی

وإنما كان (الأخ) فيضان ¹ آية كمال حيّة	فاليوم عفتها السماء (يرفعها إليها)
إنه كان عموداً من أعمدة قصر الأدب والعلم	وأأسفاه! قد هدمت السماء (هذا العمود)
ويكأن السماء أخذت ذرة منيرة من السماء	فزيت بها جبينها أيّ تزيين
كان (الأخ) صورة لحسن الأخلاق والعمل والإخلاص	ولقد كان مثل درّة يتيمة فسرقها السماء
ولقد تحلّى (الأخ) بعلوّ جذب إليه (قلوب) الناس	ولقد تمتّع (الأخ) بما أجبرت السماء على رفعه إليها
الدنيا دار غرور وفتنة تخلف ولا تفي	ذكرتنا السماء هذه العبرة مرة أخرى

¹ البروفيسور فيضان الله الفاروقي